تطهير الجنان
من أدران الكفران

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥ م

رقم الإيداع: ؟؟؟ /٢٠٢٥م

الترقيم الدولي: ؟؟؟؟

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 -0502357979

تطهير الجنان
من أدران الكفران

تأليف

إسماعيل العضامي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

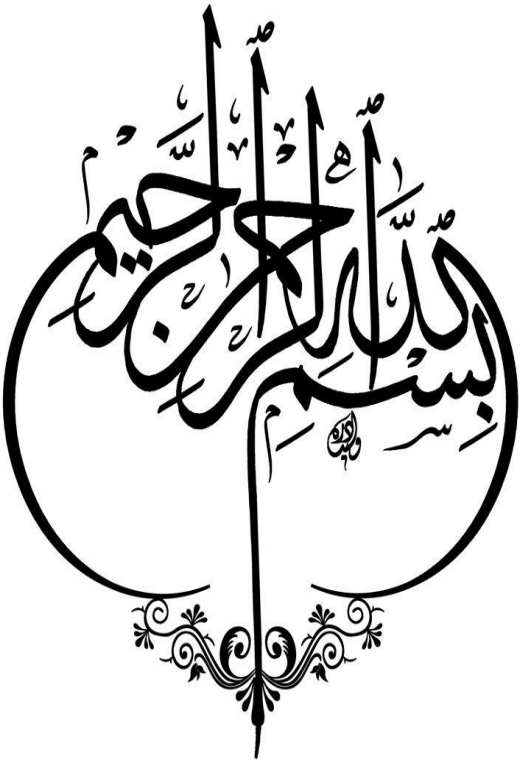
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّار

فلا يخفى على مسلم أهمية تصحيح الاعتقاد، كما لا يخفى على عاقل أن أكثر الخلق غافلون عن قلوبهم، متهاونون في عقيدتهم، وهنا يكمن الخطر حيث يخلُص الشيطان إلى عقائد المسلم فيفسدها وهو لا يشعر، ويمتلأ قلبه بالعقائد الفاسدة الخَرِبة التي تمحق إيمانه بالكلية، وتحبِط أعماله الصالحة كأن لم يعملها ولم يتعب فيها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور:٣٩].

وهذا البحث يناقش مسألة عقائدية من أهم مسائل الدين على الإطلاق، ألا وهي مسألة «**تطهير الجنان من أدران الكفران**» والتي ينبغي على كل مسلم أن يحيط بها علمًا، وألَّا يُقصِّر في تعلمها وتعليمها لمن لا يعلم؛ فإن أعمال القلوب أساسُ الإيمان، وأصلُه الذي يُبنَى عليه، ومنه وعليه تتفرع بقية الأعمال، فمن فسد معتقدُه فسد عملُه، وعلى حسْب قوة القلب وعبادته تكون قوةُ الأعمال وصلاحُها، قال الله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥].

فالشرك الاعتقادي أخطر أنواع الشرك على الإطلاق(١)، وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب كما هو معلوم أخطر الجوارح على الإطلاق:

---

(١) **أنواع الشرك ثلاثة**: الشرك الاعتقادي، الشرك القولي، الشرك العملي.

• **لأن القلب ملكُ الجوارح فباستقامته تستقيم**، وبعِوَجِه تعوجُّ، وبصحته تقوى وتنشط، وبمرضه تضعف وتعطُب، وبموته تموت ويكون عملها هباء منثورًا.

قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

• **ولأن القلب لا يقع الإكراه عليه**؛ فإن الإكراه يقع على الجوارح، لكن لا يُتصور أن يقع على القلب مطلقًا؛ فالإيمان إيمان القلب ابتداءً والكفر كفر القلب ابتداءً؛ قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل:١٠٦] ففي الآية عَلَّق الكفر على القلب لا على الجوارح(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [١ / ٢٠ رقم ٥٢] بَاب فَضْلِ مَن اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، ومسلم [٣ / ١٢١٩] باب أخذ الحلال وترك الشبهات

(٢) الكفر يقع بالقلب، ويقع بالقول ويقع بالجوارح، سواء اجتمعت أو انفردت، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله في البحث، وهذا عليه إجماع السلف، لكن قصدت هنا أن أصل الكفر يكون بالقلب، فقد يقع اللسان، وكذا الجوارح في الكفر ـ في حال الإكراه مثلا ـ مع اطمئنان القلب بالإيمان فلا يكفر العبد، كما في الآية التي في النحل، وقد يكون القلب كافرا مع إقرار اللسان والجوارح بالإيمان كما قال تعالى في المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، وقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، فلذلك جُعل الأصل في الإيمان إيمان القلب، ⇦=

- **ولأن القلب لا يتعب من العمل ولا يدركه الملل**

بعكس الجوارح؛ فإنها يدركها الملل والتعب والنصب، ولذلك خُفِّف عنها في عملها وعبادتها المناطة بها، وأما القلب فإنه لا يتعب أبدا ولا يتصور منه تعب في اعتقاده أو عبادته.

- **ولأن القلب فيه أصل الضلالة والهدى:**

كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

ومعنى هذا أن القلب يجتمع فيه الحب والبغض، والولاء والبراء، والكفر والإيمان، والإقبال والإدبار وهكذا، فهذه المضغة عجيبةٌ جدًّا ولذلك جعلها الله مَسكَنَ المعارف والعقائد.

ومن عجيبها أن يجتمع فيها الإيمان والكفران؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] فالعبد قد يجتمع في قلبه توحيد الربوبية وشرك الربوبية، مثال هذا: أن يكون عنده الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر، لكن يعتقد أن بعض المخلوقات (كالشمس أو القمر أو النجوم أو الجن أو الأصنام أو أصحاب القبور) يملك النفع والضر من دونه سبحانه فهذا شرك في الربوبية، وهكذا.

= والأصل في الكفر كفر القلب، مع كون الإيمان وكذا الكفر يقع بالقلب والجوارح واللسان منفردة ومجتمعة كما سأبين ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد يجتمع فيه توحيد الربوبية وشرك في الألوهية؛ كما هو حال عبَّاد القبور والأضرحة عندهم توحيد الربوبية وشرك في الألوهية في الوقت ذاته، وقد يجتمع فيه الشرك الأصغر مع توحيد الربوبية وهكذا.

وهذا المعنى يغتر به كثير من الهالكين الواقعين في بعض أفراد الشرك الأكبر الاعتقادي؛ ومن هنا جاءت خطورة هذا البحث؛ **فإنه يبحث مسألة عظيمة وهي مسألة الاعتقاد.**

- **ولأن العبد يكفر بانتفاء أصل واحد من أصول الإيمان في القلب**(١).

فلا يلزم إذن أن تتوفر في العبد جميعُ نواقض الإيمان الاعتقادية ليكون كافرًا، بل بوجود ناقض واحد يخرج العبد من دائرة الإيمان تمامًا، كما في نواقض الوضوء يكفي في نقضه وجود ناقض واحد حتى يحكم عليه بفساد وضوءه.

- **ومن أجل هذا: جعل الله تعالى أمهات العبادات قلبيةً**، وجعل عملَ القلب أعظمَ وأكبر فائدة من عمل الجوارح، وجَعَلَ أعمالَ القلوب أصولَ العبادات، فلو نظرنا إلى شروط لا إله إلا الله لوجدناها كلها أعمالًا قلبيةً خلا شرطًا واحدًا(٢).

---

(١) من أصول الإيمان في القلب: الإخلاص، المحبة، التعظيم، اليقين، التوكل، الصدق، القبول، الخوف، الرجاء...الخ.

(٢) شروط كلمة التوحيد سبعة وهي: الإخلاص والصدق واليقين والمحبة والقبول والعلم والانقياد، وكلها ـ كما تلحظ ـ أعمال قلبية بالدرجة الأولى خلا الشرط ⇦=

- **ولأجل هذا أيضًا:**

جعل الله أغلب أصول الإيمان في القلب، فإذا خلا القلب عن أصل من أصول الإيمان؛ دلَّ هذا على كفر صاحبه وانتفاء مسمى الإيمان وحقيقته عنه، مثال هذا: كفر إبليس فإنه لما ترك السجود لآدم إباء واستكبارًا على أمر الله تعالى دلَّ هذا على انتفاء شرط القبول القلبي عنه تمامًا وأيضا انتفاء شرط الانقياد، ومن ثم انتفى عنه الإيمان بانتفاء أصل من أصوله وهو القبول؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

وليُعلمَ ضرورةً أنه: لا يلزم من ترك صلاة بعينها أو واجبٍ بعينه انتفاءُ الإيمان عن قلب صاحبه؛ فإن العبد قد يترك الواجب عليه أداؤه لكن لا يكفر بمجرد الترك الظاهر الخالي عن تواطؤ القلب، لكن إذا صحب هذا الترك جحودُ القلب أو إباؤه واستكباره على أمر الله تعالى(١)؛ فإن هذا الذي يحكم على صاحبه بالكفر؛ لانتفاء عمل من أعمال القلب، مثل ما حدث مع إبليس تمامًا؛ وإلا فإن آدم ﷺ حدثت منه المعصية بارتكاب المحظور، ولم يُحكم عليه بالكفر والطرد من رحمة الله تعالى، وذلك **لأن معصية آدم ﷺ معصية بدن مع اطمئنان القلب بالإيمان واستقرار عمل القلب بالإذعان،** لكن

= الأخير وهو (الانقياد) وهو عمل جوارح محض، ولا شك أن العبد لابد أن يأتي بلوازم هذه الشروط ومقتضياتها من الأعمال والتروك كما هو معلوم في بابه.

(١) هناك أعمال للجوارح تركها كفر سواء تواطؤ معه عمل القلب أو لا، كما في ترك الصلاة، ومع عدم النطق بالشهادتين مع القدرة، وترك جنس العمل بالكلية.

غلبت عليه شهوته ونسي عهد الله له بعدم الأكل من الشجرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥].

- **ولأجل هذا أيضًا:**

عَلَّقَ الله سبحانه مضاعفةَ ثواب العمل أو تعظيمَ الذنب على عمل القلب:

فإن عمل الجوارح تابع لعمل القلب قوةً وضعفًا، فرُبَّ عمل عظيم للجوارح صغَّره وحقَّره عمل القلب، ورُبَّ عمل يسير عظّمه وضعَّف أجره وثوابه عملُ القلب

قال الإمام المحقق ابن القيم في المفاضلة ما بين عائشة رضي الله عنها **وفاطمة** رضي الله عنها: «إذا حُرِّر محلُ التفضيل لا يستقيم الخلاف لأنه إن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يُطَّلَعُ عليه إلا بالنص؛ **لأنه بحسْب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح،** وكم من عاملَيْنِ أحدُهما أكثرُ عملًا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة»(١).

وهناك أمثلة كثيرة على هذا المعنى:

- **فمثال هذا في تعظيم ثواب عمل الجوارح بتواطئ عمل القلب معها:** حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ قَالَ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ**

(١) بدائع الفوائد [٣ / ٦٨٢].

بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِن الْمَاءِ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ»[(١)].

وجه الدلالة في الحديث: أن هذه المرأة غفر الله لها بهذا العمل اليسير؛ وذلك لتواطؤ عمل القلب مع عمل الجوارح[(٢)]؛ فإنه قد اجتمع في قلبها من الرحمة والشفقة والرأفة على هذا الحيوان الذي قد كاد يقتله العطش؛ فلما سقته غفر الله لها، والجزاء من جنس من العمل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقريب من هذا: ما قام بقلب البغيِّ التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش يأكل الثرى **فقام بقلبها ذلك الوقت**: مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم من ترائيه بعملها، وما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر وملء الماء في خفها ولم تعبأ بتعرضها للتلف، وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذى جرت عادة الناس بضربه فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا؛ **فأحرقت أنوارُ هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البِغاء فغفر لها، فهكذا الأعمال والعمَّال عند الله، والغافل في غفلة من هذا الإكسير**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٤ / ١٣٠ رقم ٣٣٢١] بَاب إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الْأُخْرَى شِفَاءً، ومسلم [٤ / ١٧٦١ رقم ٢٢٤٥] باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها

(٢) **وهذه القاعدة**: أعني قاعدة مضاعفة ثواب العمل الصالح بعمل القلب، أو تعظيم السيئة بعمل القلب، لها شواهد كثيرة في الكتاب والسنة؛ حتى بلغت حد التواتر، ولعل الله ييسر ذكر طرفٍ رحيبٍ منها في بحث آخر.

الكيماوي الذي إذا وضع منه مثقالُ ذرةٍ على قناطير من نُحاس الأعمال قلبَها ذهبا والله المستعان»(١).

• **ومثال ذلك في الإثم والعقاب**: حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»(٢).

وجه الدلالة من الحديث: أن هذه المرأة لما حبست الهرة بلا طعام ولا شراب وتواطأَ مع هذا عملُ القلب من القسوة والغلظة ونزع الرحمة منه كان هذا سببًا في دخولها النار، وإذا علمتَ أن قتل الهرة حرام لكن ليس بكبيرة من كبائر الذنوب، لكن طريقة القتل هنا هي التي ضعَّفت الوزر والعقاب مع اجتماع عمل القلب.

• **ولأجل هذا أيضًا: كان باب الاعتقاد والإيمان أوسع وأرحب من باب الأعمال والأقوال**

وهذا معلوم أيضًا بالضرورة من دين الإسلام؛ فإن باب الاعتقاد أوسع من باب الأعمال؛ ولهذا يجتمع مع العمل الواحد للجوارح أعمال كثيرة للقلب، فالصيام مثلًا وهو عمل للجوارح يجتمع معه أعمال كثيرة قلبية كالإخلاص والمحبة واليقين والقبول والصدق والامتثال والإنابة والخشية

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٢) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٤ / ١٧٧ رقم ٣٤٨٢] بَاب حَدِيثُ الْغَارِ، ومسلم [٤ / ١٧٦٠ رقم ٢٢٤٢] باب تحريم قتل الهرة

والخوف والرجاء...الخ

- **ولأجل هذا أيضًا: فإن أعمال الجوارح تأخذ وقتها في العمل وتنتهي بانتهاء وقتها، وأما عمل القلب فهو دائم لا ينقطع البتة**

فالصلاة إذا قام بها العبد أخذت وقتها وانتهت، وكذا صيام شهر رمضان، وكذا الحج، وكذا الزكاة، وكذا بر الوالدين، وكذا عيادة المرضى... الخ

وأما عمل القلب فإنه لا ينقطع أبدًا عن العبد سواء كان قبل العبادة أو بعدها؛ ومعنى هذا أيضًا: تعلق الثواب والجزاء على عبادته الدائمة.

فالعزم على الصلاة والامتثال والقبول والإخلاص والخوف والرجاء يكون قبل الصلاة وبعدها، وقبل الصيام وبعده، وهكذا في كل الأعمال.

فالعبد إذا لم يكن عنده **امتثال قلبي وعزم على فعل الصلاة** حين يدخل وقتها كان آثمًا، وإذا لم يكن عنده امتثال قلبي وعزم على صيام رمضان إذا حضر وقته كان آثمًا.

وإذا حضرت العبادة وقام بها العبد وانتهى وقتها، **لابد من عقد العزم والامتثال والقبول القلبي على أدائها مرة أخرى** والقيام بها إذا حضر وقتها، فالعبادات القلبية سابقة على العمل ولاحقة له بلا شك.

- **ولأجل هذا أيضًا: اشُترِط لقبول عمل الجوارح عملُ القلب، ولا يلزم العكسُ.**

وهذا معلوم من دين الإسلام بالضرورة؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، فكل عمل ليس معه نية صالحة لا قيمة له

ولا جزاء ولا ثواب له(١).

وأما أعمال القلوب: فلابد للعبد أن يأتي بلوازمها من أعمال الجوارح وأقوال اللسان،

فالقبول القلبي لابد بالإتيان معه بلوازمه ومقتضياته من الانقياد الظاهري بالجوارح فعلًا وتركًا، والمحبة القلبية لابد من الإتيان معها بلوازمها ومقتضياتها من أعمال الجوارح، وهكذا، وتفصيل هذا له موضع آخر.

- **لكن يُتصور أن يقع من القلب أعمالٌ تَعرَى عن الانقياد الظاهري للجوارح**

مثال هذا: الإيمان بالملائكة لا يلزم منه إلا العمل القلبي والاعتقاد الصحيح بوجودها وصفاتها وأعمالها على مراد الله ومراد رسوله ﷺ، **فهو عمل قلبي اعتقادي محض**، وكذلك الإيمان بالكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم فإنه يلزم فيها الاعتقاد الصحيح بكونها حقًا في أصلها قبل تحريفها أو ضياعها، لكن لا يترتب على هذا عملٌ للجوارح... وهكذا في جملة من العبادات القلبية التي لا يشترط لقبولها عمل

(١) نعم: في الشريعة ثمة أعمال تقع صحيحة شرعًا وإن كانت لا يشترط لها النية والقصد، فهي تقع صحيحة سواء اقترنت معها النية أو لا، ومن أمثلة هذا: أداء الأمانة لصاحبها، وكذا الديون، ودفع الزكاة لمن بخل بها، إقامة الحد على الكاره له، إزالة النجاسة... الخ. فهذه الأعمال تقع صحيحة بحيث لا يطالب بها العبد لكن لا يستوي من عملها بنية صالحة وقصد الامتثال مع من عملها على وجه الغصب والكراهة.

الجوارح.

والقواعد في هذا الباب كثيرة جدًّا(١).

أخيرًا: يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وأما الشرك في الإرادات والنيات**، فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التي أمر الله تعالى بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]»(٢).

ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث؛ إذ موضوعه تصحيح الاعتقاد وتحذير العبد من الشركيات الواقعة بالقلب ونواقض الإيمان الاعتقادية

فوجب تعلمه ومعرفة أنواعه وأسبابه حتى يتجنبه العبد

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب وخاتمة:

---

(١) يسَّر الله تعالى جمع القواعد العلمية في ضبط الأعمال القلبية في بحث مستقل بعنوان: «القواعد الذهبية في الأعمال القلبية» يسر الله جمعه وطبعه ونشره.

(٢) الجواب الكافي [ص ٩٤] لابن قيم الجوزية الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الباب الأول: مسائل ومقدمات.

ذكرت فيها عدة مسائل ومقدمات تمثل تمهيدًا وقواعد بين يدي البحث.

الباب الثاني: أنواع الكفر الأكبر الاعتقادي.

وذكرت فيه أكثر من عشرين نوعًا من الكفر الاعتقادي الأكبر، أضع في مقدمة كل نوع باختصار ما يجب على العبد اعتقاده والإيمان به على ما يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة مما نصوا عليه في بابه، وهذه المقدمة لكل نوع تمثل أصلا من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي أيضًا تمثل وقاية وحصنًا وسدًّا منيعًا يحصن العبد من الوقوع في الشرك الاعتقادي، وكذلك تمثل علاجًا لمن تلبس بشيء من الكفر الاعتقادي، ثم أذكر ما يناقض هذا الأصل من الشرك الاعتقادي بشيء من البسط والإيضاح، مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم.

الباب الثالث: الكفر الأصغر الاعتقادي وأنواعه.

ذكرت فيه أنواع الكفر الاعتقادي الأصغر وأحكامه.

رابعًا: خاتمة.

الباب الأول:

مسائل ومقدمات

الباب الأول:

مسائل ومقدمات

تعريف الإيمان

تعددت عبارات السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في تعريف الإيمان، وهي لا تخرج عن كونه: «اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان».

فقد اتفق أئمة أهل السنة والجماعة - سلفًا وخلفًا - على أن الإيمان: قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح؛ **يزيد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة وترك الطاعة**، وقد حكى الإجماع على ذلك أكثر أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بل أصبح هذا القول من مميزات أهل السنة والجماعة، والفارق بينهم وبين أهل البدع والأهواء.

وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جدًّا لا يمكن حصرها

قال شيخ الإسلام الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة؛ فكان مَنْ مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يُجمع كما يَجمع هذه الأديان اسمها **وتصديقه العمل**؛

فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدَّق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، و**من قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه،** وكان في الآخرة من الخاسرين»(١).

وقال الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان عندنا داخله وخارجه الإقرار باللسان والقول بالقلب، والعمل به»(٢)

وقال الإمام أبو ثور البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح»(٣) .

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان: قول وعمل؛ يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر:٣١]»(٤).

وقال: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم: أن الإيمان: قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»(٥)

وقال الإمام عبد الله الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان: قول وعمل؛ يزيد

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة:(٥/ ٩٥٥ - ٩٥٦) لهبة الله بن منصور الطبري اللالكائي ط. دار البصيرة

(٢) السابق:(٥/ ١٠٣٠).

(٣) السابق:(٤/ ٩٣٢)

(٤) حلية الأولياء للأصفهاني:(٩/ ١١٥) لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني- الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٥/ ٩٥٦)

وينقص، لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل ولا قول إلا بنية، ولا قول وعمل بنية إلا بسنة»(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة السنة، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عنها رسول الله ﷺ.. - فذكر أمورًا منها -: الإيمان: قول وعمل؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»(٢).

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كتبت عن ألف من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان: قول وعمل ولم أكتب عن من قال: الإيمان: قول»(٣)

وقال: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان: قول وعمل؛ يزيد وينقص»(٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن هذا الباب أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح... والمقصود

---

(١) أصول السنة للحميدي(٢/ ٥٤٦) لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي الناشر: دار ابن الأثير ـ الكويت سنة النشر: ١٩٩٧م

(٢) طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي: (١/ ١٣٠) الناشر: دار الكتب العلمية

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٥/ ٩٥٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: (١/ ٤٧) الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

هنا أن من قال من السلف الإيمان: قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسرَّوا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة»(١)

❐ **والمراد من إيراد هذه الإجماعات والنقولات:**

التأكيد على أن عمل القلب ركن من أركان الإيمان، وإثبات أن انتفاء عمل القلب تمامًا أو الإتيان بنقيضه ناقض من نواقض الإيمان، ومثله عمل الجوارح وعمل اللسان.

أركان الإيمان(٢):

الأول: قول القلب: وهو معرفته وعلمه وتصديقه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠ - ١٧١) ط. دار الوفاء

(٢) انظر: الفتاوي ابن تيمية (٧/ ٥٣٥)، شرح نواقض الإسلام (ص٤١، ٤٢) لخالد ابن علي المرضي الغامدي، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٣٦ه.

الثاني: عمل القلب: وهو انقياده وخضوعه وذله ومحبته وإقراره وقبوله.

الثالث: قول اللسان: وهو إقراره ونطقه بالشهادتين.

الرابع: عمل الجوارح:

من انقياد وطاعة واتباع وفعل الفرائض وترك النواهي، فعمل الجوارح في الجملة ركن في الإيمان، وتاركه كافر عند السلف.

وقول القلب: من قبيل الإخبار والتصديق أو التكذيب.

وعمل القلب: من قبيل الحركة والفعل فهو إنشاء القصد والالتزام والإرادة والرغبة والمحبة والخوف والرضا والقبول والانقياد

قال ابن القيم: «حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل.

والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح.

فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقيةُ الأجزاء، **فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة**»

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده** كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود

والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا، ويقولون ليس بكاذب! ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به!

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره؛ **فإنه يلزمه من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت**، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان؛ **فإن الإيمان ليس مجرد التصديق** كما تقدم بيانه **وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد**»[1]

أصول الإيمان الستة التي يبنى عليها:

وأركان الإيمان ستة، تتفرع عنها كل أصول وفروع الإيمان، وقد جمعها الله في قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

---

(١) الصلاة وحكم تاركها [ص٧٠، ٧١] الناشر: الجفان والجابي - دار ابن حزم - قبرص - بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، مع قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩].

وفي حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» رواه مسلم وأحمد.

تعريف الكفر[1]:

تعريف الكفر لغة:

الكفر في اللغة له معنيان

الأول: الستر والتغطية

قال الليثُ: إنَّه سُمِّيَ الكافِرُ كافِرًا لأَنَّ الكُفْرَ غَطَّى قلبَهُ كُلَّه.

ومنه: قول معاوية: أهل الكُفُورِ هم أهل القبور، والكافِرُ: الليل المظلم لأنه ستر بظلمته كل شيء، وكل شيء غطى شيئا فقد كَفَرَهُ، قال ابن السكيت: ومنه سمي الكافِرُ لأنه يستر نعم الله عليه.

والكافر: الزارع؛ لأنه يغطي البذر بالتراب، والكُفَّارُ الزراع، قال تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩].

المعنى الثاني: الجحود والإنكار

---

(١) انظر: لسان العرب [٥ / ١٤٤]، تاج العروس من جواهر القاموس [١٤ / ٥٠]، مختار الصحاح [ص ٥٨٦]، القاموس المحيط، فصل الكاف، باب الراء، والمعجم الوسيط، [ص٧٩١]

كُفرُ الجُحود بأَن يعترفَ بقلبه ولا يُقِرّ بلسانه، فهذا كافرٌ جاحدٌ ككُفْرِ إبليسَ وفرعون وكُفْرِ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلت؛ قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

ثمّ شاعَ الكُفْرُ في سَتْرِ النِّعْمَة خاصَّة، وفي مقابلة الإيمان؛ لأنَّ الكُفرَ فيه سَتْرُ الحقِّ، وسَتْرُ نِعَمِ فَيَّاضِ النِّعَم سبحانه.

❐ تعريف الكفر اصطلاحًا:

الكُفْرُ ضد الإيمان، **قال ابن تيمية**: «الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض»(١)

وقال: «الكفر عدم الإيمان، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا ولم يتكلم»(٢)

أنواع الكفر:

الكفر كفران:

❐ الكفر الأول: كُفر يُخرج من الملّة، وهو الكفر الأكبر.

وهو نوعان: اعتقادي وعملي

❐ الكفر الثاني: كفر لا يُخرج من الملّة، وهو الكفر الأصغر أو كُفر دون كفر

وهو نوعان أيضًا: اعتقادي وعملي.

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٣٣٥)

(٢) الفتاوى (٢٠/ ٨٦).

فانتهت القسمة إلى أربعة أقسام:

- كفر أكبر اعتقادي
- كفر أصغر اعتقادي
- كفر أكبر عملي
- كفر أصغر عملي.

الفروق بين الكفر الاعتقادي الأكبر والكفر الاعتقادي الأصغر

ثمة فروق بين الكفر الاعتقادي الأكبر، والكفر الاعتقادي الأصغر:

١ - الكفر الأكبر يُخرج صاحبه من الملّة

قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:٨٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠]، وأما الكفر الأصغر: فإنه لا يُخرج صاحبه من الملّة إلا بالاستحلال له، فهو بمنزلة الكبائر غير المكفرة، ولا يكفر صاحب الكفر الأصغر إلا بالاستحلال القلبي؛ فإن فعله مستحلًا له كفر(١).

---

(١) **الاستحلال نوعان**: قلبي وعملي، وسيأتي تفصيل هذا في موضوعه. انظر شرح نواقض الإسلام للغامدي (١/ ٥٤ وما بعدها)

٢ - الكفر الأكبر يُحبط جميع الأعمال إن مات صاحبه عليه من غير توبة

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٤٧]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وموضع الدلالة من الآيات: أن الله أحبط أعمالهم الصالحة كلها لما وقعوا في الكفر الأكبر، وماتوا عليه من غير توبة منه، والمقصود بحبوط العمل هنا، حبوط أجر وثواب الأعمال الصالحة في الآخرة، فلا ينتفعون بشيء منها مهما كانت كثيرة وعظيمة؛ لانتفاء شرط الإيمان والإسلام عندهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، أما من تاب قبل الموت وحسُنت توبته فلا يحبط عمله؛ بل يرجع إلى ما كان عليه من العمل قبل الردة، ولا يطالب بعد توبته بإعادة الفرائض التي كان أسلفها قبل الردة.

، وأما الكفر الأصغر فلا يُحبط الأعمال الصالحة، هذا في أغلب أنواعه، لكنه يُنقص أجرها، وإن كان بعض أنواعه يحبط العمل الذي يدخل فيه كالرياء على تفصيل يذكر في مكانه.

٣ - الكفر الأكبر يُخلّد صاحبه في النار إن مات عليه من غير توبة

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨]، وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧٢].

ووجه الدلالة: أن الله أوجب لهم الخلود في النار؛ لأنهم ماتوا على الكفر الأكبر بدون توبة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

والكفر الأصغر لا يُخلّد صاحبه في النار وإن مات عليه من غير توبة منه على الصحيح من قولي أهل العلم، هذا إن دخلها؛ فإن الله قد يعفو عنه ابتداء ولا يدخله النار.

٤ - الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال[(١)]

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة:٢٩].

---

(١) لكن لا يجوز قتال الكافر كفرًا أكبر إلا بعد أن يُدعى بدعاية الإسلام ويرغب في دخوله كما كان يفعل النبي ﷺ مع غير المسلمين، فإن أسلم فله ما للمسلمين من الحقوق والامتيازات وعليه ما عليهم من الفرائض والواجبات، وإلا عرضت عليه الجزية إن كان من أهل الكتاب ومن نزل منزلتهم، فإن لم يذعن بها ولم يقر بها، فحينئذ يؤذن بالقتال ثم يقاتل لإصراره على الكفر.

⇦=

وقوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١)

والكفر الأصغر لا يُبيح الدم والمال؛ لكن يوجب الزجر والتعزير لفاعله إن كان مجاهرًا به، ومن قبلِ زجره وتعزيره ينبغي تقديمُ النصيحة له وتعليمه ما يجهل من أمر دينه.

٥ - الكفر الأكبر يُوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين

ولا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب؛ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة:٢٣]، وقوله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ**

= ولا شك أن هذه الخيارات الثلاثة إذا كانت الدولة المسلمة فيها من القوة والقدرة على حماية نفسها وأيضا على قتال أعدائها، وإلا فإن قرار القتال وترجيحه راجع إلى قرار ولاة الأمور والحكام وحالة الدولة المسلمة؛ فإنهم أعرف بذلك من آحاد الرعية.

(١) أخرجه البخاري [١ / ١٤ رقم ٢٥] بَاب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١)، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالَى بقدر ما معه من الإيمان، ويُبغض ويُعادَى بقدر ما فيه من العصيان؛ لقوله ﷺ: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»(٢)

٦ـ الكفر الأكبر إن أظهره صاحبه حُكم بردته

هذا إن كان مسلمًا قبل إظهاره، ويقتل بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع المعروفة في بابها(٣)؛ قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١]، وأما الكفر الأصغر فيوجب التعزير والتأديب لفاعله فقط.

٧ـ الكفر الأكبر محرم لذاته، وأما الأصغر فمحرم لغيره؛ لكونه ذريعة إلى الكفر الأكبر.

٨ـ الكفر الأكبر يلزم تعيين التوبة منه في قول عامة أهل العلم

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠] فاشترط هنا البيان في صحة توبتهم من النفاق،

---

(١) **متفق عليه**: البخاري [١ / ١٢ رقم ١٦] بَاب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، ومسلم [١ / ٦٦ رقم ٤٣] باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان

(٢) **متفق عليه**: البخاري [١ / ١٣٣ رقم ٦٦] بَاب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ، ومسلم [٢ / ٧١٥ رقم ١٠٣١] باب فضل إخفاء الصدقة

(٣) وهذا أيضًا له فقه وشروط وتفصيل كثير لأهل العلم سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فمن كان كفره بذنب معين، كانت توبته بإقراره على نفسه بالخطأ والتوبة من هذا الذنب بعينه، فلو أن رجلًا يعتقد في النجوم النفعَ والضرَّ، وأنها تتحكم في الكون، وتتصرف في أعمال العباد، ويَنسِب لها حوادث في الكون كالمطر والحر والموت والحياة وغير ذلك؛ فهذا كفر مخرج من الملة؛ فتكون توبته بأن يعترف بأن كل هذا حرام وأنه كان على خطأ وردة؛ ودليل هذا قول موسى ﷺ لقومه حين عبدوا العجل من دون الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤] فأخبرهم أنهم حين عبدوه من دون الله كانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم له، وأوجب عليهم التوبة من هذا الظلم بإقرارهم على أنفسهم أنهم كانوا ظالمين ثم بقتل أنفسهم توبة إلى الله تعالى من هذا الشرك العظيم.

وهذا أيضًا ما فعله أبو بكر رضي الله عنه مع المرتدين بعد أن أرادوا التوبة؛ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه وَسَائِرَ الصَّحَابَةِ لَمَّا ظَهَرُوا عَلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ وَجَاءُوا إلَيْهِ قَالَ لَهُم الصِّدِّيقُ: اخْتَارُوا إمَّا الْحَرْبَ الْمُجْلِيَةَ وَإِمَّا السِّلْمَ الْمُخْزِيَةَ. قَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ هَذِهِ الْحَرْبُ الْمُجْلِيَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا السِّلْمُ الْمُخْزِيَةُ؟ **قَالَ: تَدَّوُنَّ قَتْلَانَا وَلَا نِدِّي قَتْلَاكُمْ وَتَشْهَدُونَ أَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ وَنُقَسِّمُ مَا أَصَبْنَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَتَرُدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا وَتُنْزَعُ مِنْكُم الْحَلَقَةُ وَالسِّلَاحُ وَتُمْنَعُونَ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ وَتُتْرَكُونَ تَتَّبِعُونَ أَذْنَابَ الْإِبِلِ حَتَّى يَرَى اللهُ خَلِيفَةَ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا بَعْدَ رِدَّتِكُمْ. فَوَافَقَهُ الصَّحَابَةُ فِي ذَلِكَ**؛ إلَّا فِي تَضْمِينِ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: هَؤُلَاءِ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُجُورُهُمْ عَلَى اللهِ. يَعْنِي هُمْ

شُهَدَاءُ فَلَا دِيَةَ لَهُمْ فَاتَّفَقُوا عَلَى قَوْلِ عُمَرَ فِي ذَلِكَ»(١).

، وأما الكفر الأصغر فتجب منه التوبة بلا خلاف، ولكن هل يلزم تعيين التوبة في آحاده فالظاهر:

أن الشرك الأصغر العملي: يلزم تعيين التوبة منه؛ لأنه ظاهر معروف يمكن تمييزه والوقوف عليه، كالحلف بغير الله تعالى، والتبرك الشركي وغير ذلك.

وأما الاعتقادي فتجب تعيين التوبة منه أيضًا، لكن هل يلزم؟

الظاهر أنه لا يلزم؛ لأن العبد ربما يقع فيه وهو لا يشعر غالبًا، بخلاف الكفر الأكبر فإنه ظاهر وواضح في أغلب أنواعه، وإن كان الأفضل تعيين التوبة له لكن لا يلزم؛ فهو داخل ضمن الذنوب المكفَّرَة بالتوبة العامة النصوح؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم:٨].

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ قَالَ: «انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٥٨)

قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»(١)

ووجه الدلالة في الحديث: أن النبي ﷺ قصد الشرك بنوعيه بقوله: «**وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**» فالعبد ربما يقع في الشرك وهو لا يعلم والعلة في ذلك خفاؤه وعدم ظهوره للعبد: «**لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا**»، لكن هذا الشرك الخفي يُغفر بالتوبة النصوح والحسنات الماحيات وكذلك بالدعاء وكثرة التعوذ منه؛ بدليل قوله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**»(٢)

فهذه جملة من الفروق بين النوعين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أسباب الكفر:

وللكفر أسباب كثيرة على رأسها(٣):

الجهل، التأويل، العناد، الكبر، البغض والعداوة، طاعة الكبراء والمجرمين، اتباع الهوى والشبهات، الخوف من ضياع المصالح، الحرص على الدنيا ومتاعها، اتباع الشهوات.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٥٥٤) والأصبهاني في الترغيب والترهيب [١ / ٢٠٧ رقم ٢٠٧] وأبو يعلى في مسنده [١ / ٦٢رقم ٦١]، وانظر: صَحِيح الْجَامِع: (رقم ٣٧٣١)

(٢) وسيأتي مزيد بيان هذا في أحكام الشرك الأصغر من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: شرح نواقض الإسلام (ص١٤٧)

ومنها: كفر الإعراض، والاستحلال وغيرها.

خطورة التكفير وأنواع الناس فيه:

والناس في التكفير طرفان ووسط:

❐ فالطرف الأول: هو الذي غالى في التكفير جدًّا

حتى كَفَّر بالذنوب والكبائر والشبهات وكَفَّر المسلمين بالأهواء والظنون بدون حجة ولا بينة، ومن هؤلاء الخوارج والمعتزلة.

فهذه الفِرق غالَوْا في التكفير حتى كفروا الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ومصابيح الدجى، وقتلوا الصحابة وسبوا نساءهم حتى قاتلهم علي رضي الله عنه فكسر شوكتهم، وفلَّ شملهم، وفرَّق جمعهم.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: «والتجاسر على التكفير، أو التفسيق، والتضليل، لا يسوغ إلاّ لمن رأى كفرًا بواحًا عنده فيه من الله برهان، وأما الذين يكفِّرون بما دون الشرك من الذنوب، كالسرقة والزنا وشرب الخمر، هؤلاء هم الخوارج، وهم عند أهل السنة ضلال مبتدعة»(١).

❐ والطرف الثاني: هو الذي فرط في التكفير جدًّا

فلم يكفر أحدًا ارتد عن دينه البتة، أو وقع في الكفر بعد إسلام، أو شك في حكم الله تعالى وشرعه ودينه، بل وصل الحد ببعضهم إلى أن ترك تكفير الكفار الأصليين من اليهود والنصارى وغيرهم، فالتمسوا لهم الأعذار، ولم

(١) الفتاوى النجدية (٣/ ٣٣٦).

يكفروا إلا بالاستحلال القلبي والجحود القلبي، وقالوا: لا يطلع على هذا إلا الله تعالى، وأمَا إذ انقطع الوحيُّ بموته ﷺ فلا يمكن الحكم بالكفر على أحد؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يطلع على ما في القلوب إلا الله تعالى، وجعلوا مجرد الحكم بالتكفير فتنة حتى لو وقع من عالم!

وهذا الفريق متمثل في المرجئة والجهمية وبعض الأشعرية ومن قال بقولهم من الطوائف المختلفة.

وفي هاتين الطائفتين يقول العلاَّمة مفتي الديار النجدية الشيخ أبو بطين النجدي: «وقد استزلَّ الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة – فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفَّروا من حكم الكتاب والسنة والإجماع بأنَّه غير مسلم، فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين، ومحنته من تينك البليتين»(١).

❐ والوسط: هم أهل السنة والجماعة

وهم الذين سلكوا المنهج الوسط في هذه المسألة الخطيرة، فلم يتجاسروا على التكفير متوسعين فيه بغير علمٍ وبينةٍ وأثارةٍ من علم الكتاب والسنة، ولم يقصروا ويجفوا عنه حتى فرطوا فيه.

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألاَّ يتكلم في هذه المسألة إلاّ بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه، فإن ذلك من أعظم أمور الدين»(٢).

---

(١) فتاوى الأئمة النجدية [٣/ ٣٣٦]، ط ابن خزيمة، الرياض.

(٢) الدرر السنية [٨/ ٩٧].

وأما التكفير بعلم وبينة وأثارةٍ من علم فقد دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم.

قال مفتي الديار النجدية عبد الله أبو بطين:

«وأما ما سئلتَ عنه من أنه هل يجوز تعيين إنسان بعينه بالكفر إذا ارتكب شيئًا من المكفرات؟

فالأمر الذي دل الكتاب والسنة وإجماع العلماء عليه: أنه كفر مثل الشرك بعبادة غير الله سبحانه-. فمن ارتكب شيئا من هذا النوع أو حسنَّه، فهذا لا شك في كفره، ولا بأس بمن تحققتَ منه شيئا من ذلك أن تقول: كفر فلان بهذا الفعل... وأعظم أنواع الكفر الشرك بعبادة غير الله، وهو كفر بإجماع المسلمين، **ولا مانع من تكفير من اتصف بذلك كما أن من زنى قيل: فلان زان، ومن رابى قيل: فلان مرابٍ، والله أعلم**»(١).

وقال البخاري في من لا يكفر الجهمية: «وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم»(٢)

قال محمد بن سحنون: أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المتنقِّصَ له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأمة: القتلُ، **ومن شك في**

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١ / ٦٥٧) الناشر: مطبعة المنار - مصر- الطبعة: الأولى، ١٣٤٤ هـ - ١٣٤٩ هـ

(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٥) الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، ١٣٩٨ - ١٩٧٨

كفره وعذابه كفر»(١)

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله ـ فهو كفر

...و كذلك من اعترف بألوهية الله ووحدانيته، ولكنه اعتقد أنه غير حي وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئًا قديمًا غيره أو أن ثم صانعًا للعالم سواه أو مدبّرًا غيره **فذلك كله كفر بإجماع المسلمين**... و**كذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك»**(٢)

وكلام أهل العلم في هذا كثير جدًّا متواتر في المسائل الظاهرة، وأما المسائل الخفية فإنها تحتاج إلى البيان والكشف عن الدليل وإقامة الحجة وإزالة الشبهات ولا ينبغي لأحد أن يتجاسر عليها إلا أهل العلم بعد إقامة الحجة والبيان على مخالفيها

قال شيخ الإسلام في شرح العمدة لما تكلم في كفر تارك الصلاة قال: «وفي الحقيقة فكل ردٍّ لخبر الله أو أمره فهو كفر، دقَّ أو جلَّ، لكن قد يعفى عما خفيت فيه طرق العلم، وكان أمرًا يسيرًا في الفروع بخلاف ما ظهر أمره، وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر»(٣).

---

(١) الشفا [٢ / ١٨٨] للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع

(٢) انظر للاستزادة: الشفا [٢ / ٢٣٦] باختصار.

(٣) البيان الأظهر في الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر، ص ١٠، ط مكتبة المنار.

قال شيخ الإسلام: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة»(١).

أنواع الكفر من حيث الخفاء والإعلان

الكفر من حيث الخفاء والإعلان ينقسم إلى قسمين اثنين:

الأول: الكفار الأصليون

وهم من كان كفرهم معلومًا ظاهرًا واضحًا، فيعلم صاحبه الكفر من نفسه، ويشهد على نفسه بذلك، فهو مكذب لله ولرسوله ﷺ جاحد لما بُعث به النبي ﷺ.

كما قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة:١٧].

فهذه الفئة من المشركين والكفار والمرتدين شاهدة على نفسها بالكفر وبمحاربة الدين والملة.

وهذا النوع يدخل فيه «الكفّار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، ولا انتسبوا للإيمان بمحمد ﷺ من: أُميين، ومشركين، وأهل كتاب، من: يهود ونصارى، ومن: مجوس، وعبدة أوثان، ودهريين، وفلاسفة... وغيرهم من أصناف الكفار، فهؤلاء الجنس، دلّ الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين،

---

(١) أضواء من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتبسها فضيلة الشيخ الفوزان، [١/ ٣٧٣]، ط ابن الجوزي.

على كفرهم، وشقائهم، وخلودهم في النار، وتحريم الجنة عليهم، ولا فرق بين عالمهم وجاهلهم، وأُمِّيهم، وكتابيِّهم، وعوامِّهِم، وخواصِّهِم، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام»(١).

وهؤلاء الذين تصدق فيهم القاعدة العقائدية المعروفة: **من لم يكفِّر الكافر أو شك في كفره فهو كافر مثله.**

لأن كفر هؤلاء ظاهر، معلوم من الدين بالضرورة، وقد جاءت الآيات المتواترة والأحاديث الكثيرة المتناثرة في دواوين السنة بكفرهم، فمن لم يكفرهم أو شك في كفرهم فقد كذَّب بما جاءت به هذه النصوص وردَّها وشكَّ في صدقها، وهذا كله مناقض لأصل الإيمان الذي معه، ومن هذه النصوص:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

---

(١) نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٨) الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

إلى غير ذلك من الآيات المصرحة بكفر هؤلاء جميعًا

❐ النوع الثاني: المرتدون

وهؤلاء دخلوا في الإسلام ورضوا به وحققوه، وآمنوا بقلوبهم ثم خرجوا من دائرة الإيمان بارتكاب ناقض من نواقضه، وغالبًا ما يكون كفرهم خفيًا لا يعلم به صاحبه فهو متلبس به وإن كان لا يشعر

وهذا النوع يغلب على «الذين ينتسبون لدين الإسلام، ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ، ثم يصدر منهم ما يناقض هذا الأصل، ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام، وأنهم من أهله، فهؤلاء لتكفيرهم أسبابٌ متعددة ترجع كلها إلى تكذيب الله ورسوله، وعدم التزام دينه ولوا زم ذلك»(١)

(١) انظر: إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، للسعدي (ص١٩١ - ١٩٣.) الناشر: موقع مكتبة مشكاة الإسلامية.

فهؤلاء ينتسبون إلى الإسلام في الظاهر، ولكن يصدر منهم اعتقاد أو فعل أو قول يناقض إسلامهم، ويبطل إيمانهم، وينقض العهد الذي بينهم وبين ربهم؛ فيكفرون بذلك، وإن قاموا ببعض شعائر الإسلام كالباطنية وغلاة الرافضة والقاديانية ونحوهم ممن وقع في سبب من أسباب الردة، أو ناقضٍ من نواقض الإيمان

قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣].

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وكذلك يدخل في هذا النوع من ارتد من المسلمين بإتيانه ناقضا من نواقض الإيمان أو الإسلام، سواء اطلع على هذا الناقض أو لم يطلع، شعر به أو لم يشعر، وهذا النوع له صور كثيرة معروفة في باب الردة، فكم من مسلم

خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة النفاق الأكبر، ومن دائرة الإسلام إلى دائرة الكفران بارتكابه ناقضًا من نواقض الإيمان؛ كما أخبرنا سبحانه عن المنافقين بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ [النساء:١٣٧].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

وقوله: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢١٧].

وقوله: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:٨٦].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠].

وقوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦].

فهذه النصوص وغيرها توضح أن هؤلاء دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه، وكفروا بعد تحقق الإسلام فيهم، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهداية.

وقد ضرب الله لهم في القرآن عدة أمثلة: أولها قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧].

فهؤلاء لما أسلموا استضاؤوا بضياء الإسلام ونور الإيمان ونالوا من ثماره وخيره ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]؛ لكنهم ارتدوا على أدبارهم، فكفروا بعد إسلام، وارتدوا بعد إيمان، فانتقلوا من النور إلى الظلمات مرة أخرى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧].

إلى غير ذلك من الأنواع والتي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

بأي شيء يقع الكفر؟

اعلم ـ علمك الله الخير والفقه في الدين:

أن الكفر يقع بالاعتقاد القلبي، ويقع بعمل الجوارح، وبقول اللسان، كما يقع أيضًا بالشك.

ولأن الإيمان مركب من عمل القلب والجوارح واللسان؛ فإن زيادته تقع باجتماعها جميعًا أو بآحادها، وكذلك الكفر فإنه حاصل بها جميعا أيضًا مجتمعة، أو بآحادها بلا أدنى ريب أو شكٍّ، ومن خالف في هذا فهو على شعبة من شعب الانحراف العقائدي.

وإنه لمن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ومما وقع عليه الإجماع بين أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان

ومما هو مجمع عليه أيضًا بالضرورة الملحَّة أيضًا: أن للقلب عملا، وللسان عملا، وللجوارح عملا، وكلها داخلة في مسمى الإيمان وحقيقته، فمنها ـ أعني من الأعمال ـ ما هو أصل في الإيمان، ومنها ما هو مكمِّل له كمال وجوب أو استحباب، والإيمان إنما هو مجموع هذه الأعمال الثلاثة، أعمال القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح.

❐ **فمن عمل القلب:**

الإخلاص، القبول، المحبة، اليقين، الخشوع، المراقبة، التوكل، الخوف، الرجاء، الصبر، الرضا، الشكر، الغيرة، الحياء، التوبة، وغير ذلك من أعمال القلوب.

❐ **ومن عمل اللسان:**

النطق بالشهادتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التسبيح، التحميد، التكبير، التهليل، قراءة القرآن، مدارسة العلم وغير ذلك من أعمال اللسان.

❐ **ومن عمل الجوارح:**

الصلاة، الزكاة، الحج، الصيام، الجهاد، بر الوالدين، صلة الأرحام، طلب العلم، اتباع الجنازات، عيادة المرضى، إعانة الضعيف، وغير ذلك من أعمال الجوارح المعروفة.

الصور التي يقع بها الكفر:

عودٌ على بَدءٍ:

فالكفر ـ إذن ـ يقع بالقلب وبالجوارح وباللسان وبالشك في أصل من أصول الإيمان، وهذا محل إجماع، وله صور كثيرة لكل نوع، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - صور لوقوع الكفر بالقلب والاعتقاد

وهو كثير جدًّا، «فمن أنواع الرّدّة العقدية: التي يعتقدُها بقلبه وإن لم يتكلم، ولم يفعل - بل بقلبه يعتقد - إذا اعتقد بقلبه أنَّ الله جَلَّوَعَلَا فقيرٌ، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئًا، **هذا كفر بمجرد هذه العقيدة بإجماع المسلمين**.

أو اعتقد بقلبه أنه لا يُوجد بعثٌ ولا نشور، وأن كلَّ ما جاء هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جَنَّة أو نار، ولا حياة أخرى، **إذا اعتقد ذلك بقلبه أو شك في صحتها وحقيقتها، ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفرٌ ورِدَّةٌ عن الإسلام** - نعوذ بالله -، وتكون أعمالُهُ باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه - ولو لم يتكلم - أنَّ محمدًا ﷺ ليس بصادق، أو أنَّه ليس بخاتم الأنبياء، وأنَّ بعده أنبياء، أو اعتقد أنَّ مُسيلمة الكذَّاب نبيٌّ صادق، فإنه يكون كافرًا بهذه العقيدة.

أو اعتقد - بقلبه - أنَّ نوحًا، أو موسى، أو عيسى، أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبون، أو أحدًا منهم، فهذا رِدّةٌ عن الإسلام.

أو اعتقد أنه لا بأس أنْ يُدعى مع الله غيره، كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مُرتدًّا عن الإسلام»(١)

٢. صور لوقوع الكفر بالقول:

فالنواقض القولية التي تنقض الإسلام كثيرة، منها: سبّ الله، مثل أن يقول: إنَّ الله ظالم، إنَّ الله بخيل، إنَّ الله فقير، إنَّ الله جَلَّوَعَلَا لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كُلُّ هذه الأقوال رِدَّةٌ عن الإسلام.

وكذلك من انتقص الله، أو سبَّه، أو عابه بشيء لا يليق به سبحانه، أو نسب إليه ما ينسب إلى البشر من الحيْف والظلم والقهر والتعب والنصب والغفلة وغير ذلك مما هو محل ذم من الصفات والأفعال فهو كافر مرتدٌّ عن الإسلام – نعوذ بالله.

ومن الردّةٌ القولية أيضًا: سب الرسول الله ﷺ أو انتقاصه أو رميه بما هو منه برئ كالخيانة أو الكذب أو كتم الرسالة أو الجور والظلم أو الجبن والبخل وغير ذلك

ومنها: سب الأنبياء أو أحد منهم أو رميهم بما هم منه بريئون سالمون.

ومنها: سب الملائكة الكرام السفرة، أو سب أحد منهم، أو نعته بالعدوِّ أو الظالم أو الغافل وغير ذلك.

ومنها: رمي عائشة رضي الله عنها بالفاحشة؛ فإن الله برأها من ذلك، فمن رماها

(١) نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٤)

بعد نزول القرآن فهو مرتد؛ لتكذيبه بالقرآن.

ومنها: سبُّ الصحابة ورميُّهم بالكفر والردة، واتهامهم بالكذب والافتراء والخيانة.

ومنها: الاستهزاء القولي بشعائر الإسلام الظاهرة والباطنة أو بآية من آيات الله تعالى.

إلى غير ذلك من شعب الردة القولية.

٣. صور لوقوع الكفر بعمل الجوارح:

ومن ذلك «من استهان بالمصحف الشريف، وقعد عليه مستهينًا به، أو لطَّخه بالنجاسة عمدًا، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتدّ بذلك عن الإسلام.

ومن الرِّدَّة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرَّب لأهلها بذلك، أو يصلّي لهم، أو للجنّ، وهذه رِدَّةٌ فعلية، أما دعاؤه إيَّاهم والاستعانة بهم والنذر لهم: فردَّة قولية.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقربًا إليهم يعبُدُهم بها، أو للجِنِّ يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا ما أُهِلَّ به لغير الله، فيكون ميتةً، ويكون كفرًا أكبر - نسأل الله العافية -.

هذه كلُّها من أنواع الردة عن الإسلام والنواقض الفعلية.

٤. صور لوقوع الكفر بالشك

كذلك يقع الكفر بالشك والتردد فيما يجب على العبد اليقين به

«مثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ أم لا؟... أنا شاكٌّ، هذا كافرٌ كُفْرَ شكٍّ، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حقٌّ أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حقٌّ أم لا؟... أنا لا أدري، أنا شاكٌّ؟.

فمثلُ هذا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل كافرًا لشكِّه فيما هو معلومٌ من الدِّين بالضرورة، وبالنَّصِّ، والإجماع.

فالذي يشكّ في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ، أو هل الرسول حقٌّ، وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين، أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العَنَسي - الذي ادَّعى النبوة في اليمن - كاذبٌ أم لا؟ هذه الشكوك كلُّها ردَّةٌ عن الإسلام يُستتاب صاحبها، ويُبيَّن له الحقّ، فإن تاب وإلا قُتِل.

ومثل هذا لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ والزكاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجبٌ أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجبٌ في العُمُرِ مَرَّةً أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر، يُستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قُتِلَ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١). رواه البخاري(٢).

❁ ❁ ❁

(١) هذا له ضوابط وتفصيل عند أهل العلم، فلا يقتل أحد إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع، فقتل هذا من وظائف ولي الأمر والقضاة، ولا يترك لعوام المسلمين.

(٢) نور الإسلام (ص ٣٦).

قاعدة مهمة:

هل يلزم قصد الكفر حتى يكفر المكلف؟

ومعنى هذه القاعدة: أن فئامًا من الناس يشترطون في وقوع الكفر أن يتعمده فاعله، وهذا لا يلزم

؛ فإننا لو اشترطنا ذلك للزم منه ألا يكفر إلا المعاند الجاحد، وهذا خطأ؛ فإن نصوص الكتاب والسنة تدل على وقوع الكفر ممن لا يقصد معنى الكفر بفعله أو قوله، وكذلك ممن لم يقصد أن يكون كافرًا(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كفرٌ كَفَرَ بذلك، وإن لم يقصد أن يكون كافرًا؛ إذ لا يقصد الكفر أحدٌ إلَّا ما شاء الله»(٢).

وقال أيضًا فيمن سبَّ الرسول ﷺ: «فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم، وهم في استتابته على ما

---

(١) وهذا ما يتضح من القاعدة التالية: (هل يلزم لإيقاع اسم الكفر على فاعله معرفته بالمكفر والناقض الذي وقع فيه ؟)

(٢) الصارم المسلول (١٧٨)، ط مكتبة أنصار السنة.

تقدم من الخلاف، ولا فرق في ذلك بين أن يقصد عيبه، لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعًا له، أو لا يقصد شيئًا من ذلك، بل يهزل ويمزح، أو يفعل غير ذلك، **فهذا كله يشترك في الحكم إذا كان القول نفسه سبًّا**»(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله النجدي: «والإنسان قد يكفر بالمقالة الكافرة، وإن كان عند نفسه لم يأت بمكفرٍ كما حصل من المنافقين في غزوة تبوك، قال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦]، فهؤلاء ظنُّوا أن ذلك ليس بكفر، ولكن الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر، ولم يعلم أو يعتقد أنه كفر لا يعذر بذلك، بل يكفر بفعله القولي والعملي»(٢).

وقال صدر الدين القونوي الحنفي: «ولو تلفظ بكلمة الكفر طائعًا غير معتقد له يكفر»(٣).

وقال ملا علي مسكين الحنفي: «من هزل بلفظ كفر ارتد، وإن لم يعتقده فهو ككفر العناد»(٤).

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلت قد خرج الفقهاء في كتب الفقه (في باب الردة) أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر، وإن لم يقصد معناها»(٥).

---

(١) الصارم المسلول (٥٢٧-٥٢٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٤٥٤-٤٥٥)، ط المكتب الإسلامي.

(٣) شرح الفقه الأكبر (٤٢١).

(٤) فتح المعين (٢/ ٤٥٨)، المطبعة العثمانية.

(٥) تطهير الاعتقاد (٣٦-٣٧)، ط مكتبة أنصار السنة المحمدية.

قاعدة مهمة: هل يلزم لإيقاع اسم الكفر[١] على فاعله معرفتُه بالمكفِّر والناقض الذي وقع فيه؟

الجواب: أن الواقع في فعل الكفر له حالتان من حيث الجهل والعلم

❐ الحالة الأولى: أن يكون جاهلًا بالمُكَفِّر أو الناقض تمامًا أصله وفرعه:

كالناشئ في بادية بعيدة عن العلم وأهله، أو حديث عهد بإسلام، أو يكون الناقض مما يخفى علمه غالبًا فمثل هؤلاء يُتَصوَّر منهم الجهل الذي يعذر به، **والذي يَمنع تنزيلَ العقوبةِ الشرعيةِ عليه[٢]**، حتى تبلغه الحجة الرسالية.

وهذا معلوم مستقر في شريعة الإسلام.

---

(١) ذكرت هنا مصطلح (اسم الكفر) ولم أذكر (حكم الكفر) للتفريق بين الأسماء والأحكام، ولا شك أن بينهما فرقًا كبيرًا لا يعلمه كثير من الناس بله طلبة العلم، ولذا وقعوا في الخلط فيها، وفيما يترتب عليها من المسميات الشرعية والأحكام العلمية والعملية.

(٢) مع إيقاع اسم الكفر عليه أو اسم الشرك عليه، كما كان يقال: مشركو قريش ومشركو العرب؛ قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١] فسماهم مشركين قبل البعثة النبوية، لكن لم يقاتلهم النبي ﷺ إلا بعد بلوغ الحجة الرسالية.

❐ **الحالة الثانية: أن يكون عالمًا بالمُكَفِّر أو الناقض أصله وفرعه، أو أصله فقط**

وهذه الحالة لها صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون عالمًا بالمُكَفِّر أو الناقض أصله وفرعه.

فمثل هذا يقع عليه اسم الكفر وحكمه بلا شك؛ لكونه عالمًا غير جاهل، مثل الذي يعلم أن توقير الأنبياء والتأدب معهم فرض وأن سبَّ أحد منهم كفر مخرج من الملة، فإن وقع في سبِّ أحدهم يكفر مباشرة؛ لكونه عالمًا غير جاهل. ولكونه يعلم حرمة الأصل والفرع، وأن نقضَ أحدهما يخرج العبد من دائرة الإيمان.

ومثله الذي يُهين أوراق المصحف وهو عالم بكونه مصحفًا، فهذا غير معذور قطعًا.

ومثله الذي يجحد فرضية الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصيام وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

الصورة الثانية: أن يكون عالمًا بأصل المُكَفِّر أو الناقض دون فرعه.

مثالها: أن يكون الواقع في الكفر عالمًا بأصل المُكَفِّر أو الناقض لكن يغيب عنه العلم ببعض أفراده، أو يكون عالمًا بالحرمة لكنه غير عالم بالعقوبة.

فهل جهلُ هذا بأحد أفراد الناقض في هذه الحالة أو جهلُه بالعقوبة عذرٌ في عدم تكفيره؟

الجواب: لا، فإن الواقع في الكفر الفاعل له، لا تلزم معرفتُه بعقوبة الناقض أو بخطورة هذا الفرع المكفِّر في الحكم عليه بإطلاق اسم الكفر؛ فإن

المكلف ينبغي أن يَعصمَه ويَكفَّه عن الوقوع في الكفر مجردُ معرفته بالحرمة والنهي الشرعي.

وإلّا فكم من مرتكب للكفر وهو لا يشعر!

وكم من منغمس في نواقض الإيمان إلى ترقوته وهو غافل ساهٍ لاهٍ عن ذلك!

وكم من مرتَّدٍ يعيش في أكناف المسلمين وبين بيوتهم وهو ليس منهم(١)!

قد خلع عن نفسه ثوبَ الإيمان، وانسلخ تمامًا من دائرة الإسلام، يَتَسَمَّوْنَ بمحمدٍ وعبد الله وعبدالرحمن وهم من عبادة ربهم منفلتون، ومن دينه منسلخون، ومن حظيرة الإيمان هاربون، وبالإيمان وشُعَبِه كافرون جاحدون!

فافهم هذا الأصل جيدًا، واجعله منك على بال؛ فإنه قد غاب علمه عن كثير من الناس!

وثمة نصوص كثيرة تدل على أن العبد قد يقع في الكفر وهو لا يشعر،

---

(١) حكى لي بعض الأصدقاء أنه كان في بعض البلاد الإسلامية ـ فرَّج الله كرب أهلها ـ قبل أن تدهمها الحروب والانشقاقات، قال: كنا أحيانًا في رمضان نخرج من صلاة المغرب من المسجد فيزدحم الطريق بكثرة السيارات ومع حرص الجميع على المرور بسرعة لإدراك الإفطار واستعجالهم في هذا، يقول: ترى بعضهم يخرج رأسه من سيارته رافعًا بصره إلى السماء وهو يسب الله تعالى ويسب دينه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!.

وقد يتلبَّس بشُعبة من شعبه وهو لا يفقه، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

فتنبه إلى قوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

وقال في المنافقين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢].

وقوله فيهم أيضًا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣].

فتأمل كيف وقعوا في النفاق الأكبر الاعتقادي المخرج من الملة وهم: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾(١)!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما النفاق: فالداء العُضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر؛ فإنه أمر خفي على الناس، وكثيرًا ما يخفى على من تلبِّس به، فيزعم أنه مصلح وهو مفسد»(٢).

قال ابن أبي مُليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل

---

(١) **تنبيه:** ليس معنى ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أنهم وقعوا في النفاق الأكبر بضربة حظ، أو ظلمًا من الله لهم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، لكنهم خرجوا من دائرة الإيمان، وانغمسوا في دائرة النفاق والكفران بسبب سوء معتقدهم، وأعمالهم الخبيثة، التي أوجبت لهم ذلك، وحين وقعت العقوبة عليهم من الله لم يشعروا بها، ولم يفقهوا؛ لكمال غفلتهم وضلالهم وبسبب استحكام الكفر في قلوبهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، ومثال هذا: كالمريض الذي يسكن المرض في أحشائه فينهشها ويمزقها وهو لا يشعر؛ فإذا ظهرت عليه آثار المرض وعلاماته الدالة عليه لا ينتبه ولا يعالج نفسه، وإذا قيل له: فيك مرض كذا، وهو خطير!، لا يصدق ناصحَه ولا يستجيب لندائه؛ بل يظن في قرارة نفسه أنه بعافية وصحة ولا علة فيه ولا مرض: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣١٣).

وميكائيل»(١).

لذلك بوَّب الإمام البخاري في صحيحه: «بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ»

«أي: خوفه من أن يكون منافقًا، فيحبط لذلك عمله وهو لا يعلم بنفاقه لكمال غفلته أو خوفه من أن يحبط عمله بشؤم معاصيه، كما رُفع علم ليلة القدر من قلبه ﷺ بشؤم الاختصام»(٢).

واعلم ـ علمك الله الخير ـ:

أن المقصود هنا أن يكون العامل يعلم في الجملة حرمة الشيء بأصل عام، ثم يرتكب أحد أفراده التي تُخِلُّ بهذا الأصل العام، أو يعلم حرمة الناقض لكن يتذرع متعللا بأنه لم يكن يعلم الجزاء والعقوبة المترتبة على آحاده وأبعاضه، فمثل هذا لا يعذر بجهله في كونه جاهلا بالعقوبة.

قاعدة: الجهل بالعقوبة لا يستلزم عدم وقوعها:

فالجهل بالعقوبة لا يستلزم عدم إيقاعها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ

(١) قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه.
قال الحافظ بن حجر (الفتح ١/ ١١١) «والصحابة الذين أدركوا ابن أبي مليكة من أجلهم: عائشة وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة وأبو هريرة.. فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة من أجل من هؤلاء، كعلي، وسعد بن أبي وقاص»

(٢) حاشية السندي على صحيح البخاري (١/ ٢٢) الناشر دار الفكر

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت:٢٣] وظنهم هذا الذي أرداهم وكان سببا في عذابهم وخسرانهم هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢] فهذا الظن لم يكن عذرًا لهم عند ربهم في المعافاة والنجاة من العقوبة.

٢ ـ **ومن الأدلة:** حديث المسيء في صلاته

ففي الصحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ وَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» ثَلَاثًا فَقَالَ: **وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي** فَقَالَ: «**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ...**»(١) الحديث.

وفي رواية مسلم: «**فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى**».

وجه الدلالة في الحديث: أن هذا الرجل مأمور بإيقاع الصلاة صحيحة مكتملة الشروط والأركان والواجبات، فلما أخلَّ بأحد أركانها أخبره النبي ﷺ أن صلاته باطلة وأنه يجب عليه إعادتها، فهل جهله كان عذرًا له، خاصة مع قوله: «**وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ**»؟

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري [١ / ١٥٢ رقم ٧٥٧] بَاب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ، ومسلم [١ / ٢٩٥ رقم ٣٩٧] باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها

الجواب: لا؛ لأن هذا العبد قد أساء حين امتنع عن تعلم ما وجب عليه شرعًا من إتمام صلاته وإيقاعها صحيحة مكتملة غير ناقصة.

٣ ـ **ومن الأدلة أيضًا**: من يجامع في نهار رمضان، فإذا علم الكفارة وهي صيام شهرين متتابعين يعتذر بأنه كان يعلم حرمة الجماع في نهار رمضان، لكن لم يكن يعلم أن عقوبته مغلظة لهذه الدرجة؟ فهل هذا الاعتذار ينفعه؟

الجواب: قطعًا لا، لماذا؟

لأن مثل هذا يعلم الحرمة، وعلمه بالتحريم كافٍ في ردعه عن الحرام والكفِّ عنه سواء علم العقوبة أو لا؟

وفي الحديث المتفق عليه «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا أَهْلَكَكَ؟**» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تَجِدْ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ: لَا»(١)

وجه الدلالة في الحديث: أن هذا المجامع في نهار رمضان كان عنده علم بالتحريم؛ بدليل قوله: (هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ) فتعبيره بلفظ الهلاك واضح في الدلالة على كونه يعلم أنه ارتكب محظورًا؛ **إذن فهو يعلم التحريم في الجملة، لكن لا يعلم العقوبة المرتَّبة على ارتكاب هذا المحظور**، ودليل

---

(١) أخرجه: البخاري [٣ / ٣٢رقم ١٩٣٦] بَابٌ إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ، ومسلم [٢ / ٧٨١ رقم ١١١١] باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة المعسر حتى يستطيع

كونه لا يعلم العقوبة: أنه جاء يسأل النبي ﷺ، ولو كان يعلم ما جاء ليسأل، فعُلم بذلك أنه لم يكن يعلم بالعقوبة المترتبة على إفطاره على الجماع، فهل جهله بالعقوبة عَذَرَهُ من إيقاع الكفارة عليه؟

الجواب: لا، لم يمنع ذلك من إيقاع العقوبة عليه.

لماذا؟ الجواب: لأن كونه عالمًا بالحرمة كافٍ في ردعه عن الحرام، وإن لم يعلم بالعقوبة.

فتنبه لهذا المعنى يرحمك الله!.

٤ ـ ومثال هذا في الأحكام أيضًا: لو أن زوجًا قال لزوجته: أنت علي حرام كأمي وأختي!

فإذا قيل له: هذا ظهار، وكفارة ذلك أن تصوم شهرين متتابعين من قبل أن تقرب زوجتك للآية(١)، فقال معتذرًا: لم أكن أعلم بالكفارة وأنها مغلظة لهذا الحدِّ!

قلنا له: ألستَ تعلم أن تحريمَ زوجتك ـ على نفسك ـ التي أحلها الله لك وجَعْلَها في الحرمة بمنزلة الأم والأخت حرامٌ؟

فإن قال: نعم، كنتُ أعلمُ هذا، لكن لا أعلم بالعقوبة والكفارة!

---

(١) أي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٣، ٤].

فالجواب أن يقال له: إن علمَك بالتحريم كان كافيًا في ردعك عن هذا الحرام، وجهلَك بالعقوبة ليس عذرًا في عدم إيقاعها عليك.

٥ ـ ومثاله أيضًا: هؤلاء الذين استهزؤوا بالصحابة رضوان الله عليهم فأنزل الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] فهؤلاء أيضًا كانوا يعلمون علم يقين حرمة الاستهزاء بالنبي ﷺ وأصحابه، يعلمون علم يقين بحرمة الاستهزاء والاستخفاف في الجملة، وإن كانوا لا يعلمون حقيقة العقوبة المرتبة على استهزاءهم بدليل قولهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾؛ فهل عُذِروا بجهلهم في عدم معرفتهم بعقوبة ما قاموا به؟

الجواب: لا، لم يُعذروا بهذا؛ لأن الاستهزاء مذموم على كل حال، وهو قادح في جناب التوقير والتعظيم لنبيهم ﷺ وأصحابه الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ؛ فكان الواجب عليهم ألا يخوضوا فيما حُرِّم عليهم، ولا أن يتطاولوا فيما أُمِروا بتوقيره واحترامه.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، ولو هازلًا لم يقصد حقيقة الاستهزاء كَفَرَ إجماعًا»(١).

وقال القاضي عِياض فيما نقله الحافظ ابن حجر عند شرحه لحديث (إن

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧) ط المكتب الإسلامي.

العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقِي لها بالًا يهوي بها في جهنم)[١]: «يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنا والرفث، أو أن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة وإن لم يعتقد ذلك»[٢].

فالواجب على العبد ألا يخوض فيما حرم عليه، وأن يتوقف فيما يرتاب في حرمته، وألا يتمادى فيما حرم عليه؛ فإن أهل النار ندموا على فوات حظهم من الصيانة والرعاية بقولهم: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر:٤٥][٣].

٦ ـ **ومن ذلك أيضًا**: ما في الصحيح من قوله ﷺ: «**وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، فَهُوَ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**» وفي رواية أحمد: «**مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» فواضح جليٌّ أن العبد يفعل الذنب أو يقول الكلمة التي لا يحسب أن تبلغ من سخط الله ما بلغت، لكن لا شك أنه يعلم يقينًا بحرمتها، لكن لا يعلم بالعقوبة المترتبة عليها ولذلك هانت عليه، وإنما أُتِي العبد من غفلته واستخفافه وجرأته على دين الله تعالى، فهذا يدل على تقحمه أغمار الذنوب

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣١٤-٣١٥)، ومسلم (١٨/ ١١٧). راجع: الفتح برقم (٦٤٧٨)، هداية الباري (١/ ١١٣).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣١٧)، ط الرياض.

(٣) ولهذا ورد نقل الإجماع عن كثير من العلماء، أن الاستهزاء لا عذر فيه بالجهل، ومن هؤلاء: القاضي عياض، وابن تيمية وابن القيم وابن حزم، وابن قدامة، والإمام النَّووي، والقاضي ابن فرحون المالكي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

والجرأة على ربه وعلى دينه، فنسأل الله معافاته ومغفرته.

٧ ـ **ومن الشواهد على هذه القاعدة أيضًا**: ما في الصحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»(١)

ووجه الدلالة من الحديث قوله: «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» يعني: في ظنهما، فإنهما ما كان يظنان أن هذا الذنب كبير وعظيم، ولهذا استخفوا به، ثم قال ﷺ: (بَلَى) أي: إن هذا الذنب كبير وعظيم الإثم، فكونهم غير عالمين بالعقوبة لم ينفعهم في الاعتذار.

٨ ـ **ومن ذلك أيضًا**: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥].

فإن من وقع من المؤمنين في عِرض عائشة رضي الله عنها واتهمها بما رماها به المنافقون أوقع الله عليه العقوبة وهي الجلد ثمانين جلدة (حد القذف) مع إقرار القرآن عليهم بأنهم كانوا يظنون ما فعلوه وما تقوَّلوا به شيئًا هينًا، نعم لم تكن براءة عائشة رضي الله عنها قد نزلت، لكن هناك أصل عام ألا وهو تعظيم جناب

(١) **متفق عليه**: البخاري [١ / ٥٣ رقم ٢١٦] بَاب مِن الْكَبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، ومسلم [١ / ٢٤٠ رقم ٢٩٢] باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

النبوة(١)،

والفرق واضح بين هؤلاء الذين خاضوا في حادثة الإفك وبين من حصَّنَه الأدب وصانه التوقير والتعظيم لجناب النبوة كبقية الصحابة الذين كفُّوا ألسنتهم عن الخوض في هذا البهتان؛ قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢] (أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى.

وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته، رضي الله عنهما، كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار؛ أن أبا أيوب خالدَ بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة، رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب. أكنتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنتُ لأفعله. قال: فعائشة والله خير

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥] أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرا سهلًا ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هَيِّنًا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل! الله يغار لهذا، وهو سبحانه وتعالى، لا يُقَدِّر على زوجة نبي من أنبيائه ذلك، حاشا وكَلا، فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال تعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥] تفسير ابن كثير [٦/ ٢٨]

منك»(١)

والمقصود: أنهم كانوا جاهلين بالعقوبة؛ فهذا الظن منهم لم ينفعهم في رفع العقوبة عنهم، ولذلك جلد النبي ﷺ حسان بن ثابت ومسطحًا بن أثاثة ممن خاض في عرض عائشة رضي الله عنها.

٩ ـ **ومن الشواهد على هذا أيضًا** حديث رفع الأمانة فعن حُذَيْفَة قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِن الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِن السُّنَّةِ وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**» وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»(٢)

ووجه الدلالة في الحديث: أن قبض الأمانة يكون على غِرَّة لهؤلاء ـ نعوذ بالله من ذلك ـ بسبب ما أحدثوه من الذنوب والنواقض، فإذا قبضت الأمانة

---

(١) تفسير ابن كثير [٦ / ٢٧] الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

(٢) **متفق عليه**: البخاري [٨ / ١٠٤] بَاب رَفْعِ الْأَمَانَةِ، ومسلم [١ / ١٢٦ رقم ١٤٣] باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب.

من قلوبهم وارتفع منها الإيمان وهم لا يشعرون، تبقى في الأبدان صورة الإسلام الظاهرة، لكن القلوب خاوية من الإيمان؛ حتى يقال: «**إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**» نسأل الله معافاته ومغفرته وستره وجميل عوائده.

وهذه القاعدة لها شواهد كثيرة جدًّا غير ما ذكرت، وفيما ذكرته كفاية، وعلى طالب العلم أن يبحث بنفسه مستدلًا بشواهد أخرى حتى يتحقق هذه المسألة الدقيقة.

نقل إجماع السلف على أن الكفر يقع بالقلب وبالقول وبعمل الجوارح، مجتمعة ومنفردة

اعلم بارك الله فيك:

أنه لا يلزم من وقوع الكفر على العبد ووصفه به اجتماعُ عمل القلب مع القول أو الفعل، بل الكفر يقع بها مجتمعة ومنفردة بلا فرق؛ فقد اتفقت كلمة السلف على هذا، وجاءت كلماتهم متفقة على أربع عبارات، وهي:(١)

١ - أنَّ الكفرَ يكون بالقول أو الفعل. فلم يقيّدوه بالاعتقادِ.

ومن هؤلاء: نافع مولى ابن عمر، الشافعيّ، إسحاق بن راهويه، محمد بن سحنون، ابن جرير الطبريّ، أبو الحسن الأشعريّ، البربهاريّ، الجصّاص، ابن عبد البرّ، الجوينيّ، البزدويّ، إلكيا الهرَّاسيّ، ابن العربيّ، الرازيّ، الكاسانيّ، الفرغان صاحب فتاوى قاضيخان، ابن الجوزيّ، القرطبيّ، القرافيّ، ابن القيّم، ابن مفلح، ابن رجب، البزاز صاحب الفتاوى البزازية، ابن حجر العسقلانيّ، المرداويّ، الحمويّ، العدويّ، الشوكانيّ، رشيد رضا،

(١) انظر للاستفادة الرسالة الماتعة: الاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد [ص ١٢] لعلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع.

الحكميّ، الشنقيطي.

٢ - أنَّ الكفرَ يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد. ففايروا بينها.

ومن هؤلاء: ابن شاس، ابن قدامة، ابن الحاجب، الوردي، السبكيّ، خليل بن إسحاق، العثمانيّ، ابن فرحون، الطرابلسيّ، المحلّي، الأقفهسيّ، الرصَّاع، ابن قاسم الغزيّ، زكريّا الأنصاريّ، ابن النجّار، المليباريّ، المناويّ، مرعيّ بن يوسف، البهوتيّ، محمد بن غريب، البجيرميّ، الدسوقيّ، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، البكريّ، القنوجيّ، أحمد بن عيسى، ابن ضويان، ابن سعديّ، اللجنة الدائمة للإفتاء، بكر أبو زيد.

٣ - أنَّ الكفرَ يكون بالقول أو الفعل ولو لم يُعْتَقَد، فنصُّوا على عدمِ شرطيَّةِ الاعتقاد

ومن هؤلاء: أبو ثور، السمرقنديّ، ابن حزم، القاضي عياض، ابن مازه، النوويّ، ابن تيميّة، علاء الدين البخاريّ، المحبوبيّ، الأندربتي الدهلويّ، التفتازانيّ، الزركشيّ، ابن الوزير، ابن الهمّام، المنهاجيّ الأسيوطيّ، الأقفهسيّ، ابن أمير الحاج، منلا خسرو، عميرة، ابن نجيم، الهيتميّ، الخطيب الشربينيّ، القليوبيّ، زاده داماد، الكفويّ، المقبليّ، الصنعانيّ، الجمل، محمد بن عبد الوهّاب، الشرقاويّ، الرحيبانيّ، عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب، ابن عابدين، البيجوريّ، أبابطين، عليش، حمد بن عتيق، جمال الدين القاسميّ، الألوسيّ، الكشميريّ، محمد بن إبراهيم، ابن عثيمين، ابن جبرين، الفوزان، بكر أبو زيد، الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة.

ومن ألفاظهم: ولو لم يعتقد، وإن لم يعتقد، ولا معتقدٍ له، من غير اعتقادٍ

له، وسواء اعتقدوه أو لم يعتقدوه، سواء، (لا فرق)، صدر (قاله) عن اعتقاد أو عناد أو..، سواء كان يعتقد أو كان ذاهلًا عن اعتقاده، ولا ينفعه ما في قلبه، وإن كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، جادًّا أو هازلًا (لاعبًا) (مازحًا).

٤. أنَّ الكفرَ يكون بالقول والفعل ولو لحظٍّ من حظوظِ الدُّنيا .

وممن صرَّح بذلك: ابن تيميّة، ابن كثير، محمد بن عبدالرحمن المغربيّ، المقبليّ، محمّد بن عبد الوهّاب، سليمان بن عبدالله آل الشيخ، حمد بن عتيق، محمّد بن إبراهيم، الفوزان. ومن ألفاظهم: وإن كان سببه حبّ الدّنيا على الآخرة، بسبب إيثار الدّنيا لا بسبب العقيدة، طمعًا في الدّنيا، من أجل التّجارة، خوفًا من نقصِ مال، مدارة لأحد، أو لغير ذلك من الأغراض، سببه حظًّا من حظوظ الدّنيا، من أجل ماله أو بلده أو أهله، سببه قوة الشهوة. إلى غير ذلك من الألفاظ.

قاعدة: الكفر لا يطلق حقيقة إلا على من أتى ما ينافي الإيمانَ بالكلية أو شُعبَةً من شُعَبِه :

هناك فرق بين الإسلام والإيمان في كثير من الأحكام، على رأسها: أن تعلم أن الإسلام لا ينتفي عمن ترك بعض واجباته؛ وأما اسم الإيمان فقد ينتفي عمن ترك بعض واجباته، أو وقع في بعض الكبائر، والمقصود هنا: ليس نفي أصله، إنما نفي كماله الواجب أو المستحب، أما نفي الإيمان بالكلية عن صاحبه ونقله من اسم الإسلام إلى اسم الكفران فلا يكون إلا بإتيان ما يناقض الإيمان.

قال ابن رجب الحنبلي: «ولا ريب أنه متي ضعف الإيمان الباطن لزم منه

ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضًا، لكن اسم الإيمان يُنفَى عمن ترك شيئا من واجباته، كما في قوله «**لا يَزْني الزَّانِي حِينَ يَزني وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

وقد اختلف أهل السنة: هل يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يقال: ليس بمؤمن لكنه مسلم على قولين، وهما روايتان عن أحمد.

وأما اسم الإسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته، وإنما ينفي بالإتيان بما ينافيه بالكلية ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفى الإسلام عمن ترك شيئا من واجباته، كما ينفي الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته»(١)

وما ذكره ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نفي مسمى الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته له شواهد كثيرة في السنة، فمن ذلك:

ـ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٢)

ـ ومنه حديث جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي**

---

(١) جامع العلوم والحكم [ص ٣٠] لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي- الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٣ / ١٣٦ رقم ٢٤٧٥] بَاب النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ وَقَالَ عُبَادَةُ بَايَعْنَا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ لَا نَنْتَهِبَ، ومسلم [١ / ٧٦ رقم ٧٥] باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة

كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(١)

ـ ومنه حديث عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٢)

ـ ومنه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**»(٣)

ـ ومنه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**»(٤)

ـ ومنه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [١ / ٣٥ رقم١٢١] بَاب الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ، ومسلم [١ / ٨١ رقم ٦٥] باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٨ / ١٥ رقم ٦٠٤٤] بَاب مَا يُنْهَى مِن السِّبَابِ وَاللَّعْنِ، ومسلم [١ / ٨١] باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٨ / ١٥٦رقم ٦٧٦٨] بَاب مَن ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، ومسلم [١ / ٧٩] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٨ / ٢٦ رقم ٦١٠٣] بَاب مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ، ومسلم [١ / ٧٩ رقم ٦٠] باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر

بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»(١)

ـ ومنه حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وليس المقصود فيها نفي الإيمان بالكلية، وإنما المقصود نفي الإيمان الواجب، وإطلاق اسم الكفر عليها يدل على عظم إثمها وذنبها وكونها من كبائر الذنوب، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٥ / ٤٤ رقم] بَاب الْقَسَامَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ومسلم [١/ ٨٢ رقم] واللفظ له، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، وأخرجه أحمد [١٦ / ٢٧٠ رقم ١٠٤٣٤]

(٢) أخرجه مسلم [١ / ٨٣ رقم ٦٨] باب تسمية العبد الآبق كافرا، وأخرجه أحمد [٣١ / ٥٦٤ رقم ١٩٢٤٣]

قاعدة:

من يكفر بالكفر؟

أو: كلُّ كفر حاصلٌ يكفر به طوائفُ يشاركون الفاعل في الإثم

إذا عظُمت المعصية فإن الفاعل لها والمشارك فيها والمعاون والساعي لها والراضي بها والداعي إليها كلهم سواء في الحكم والإثم، مثال ذلك:

قوله ﷺ: «**لُعِنَتِ الْخَمْرُ: بِعَيْنِهَا، وَعَاصِرِهَا، وَمُعْتَصِرِهَا، وَبَائِعِهَا، وَمُبْتَاعِهَا، وَحَامِلِهَا، وَالْمَحْمُولَةِ إِلَيْهِ، وَآكِلِ ثَمَنِهَا، وَشَارِبِهَا، وَسَاقِيهَا**»(١).

وفي رواية: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا، وَالْمَعْصُورَةَ لَهُ، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ لَهُ، وَبَائِعَهَا، وَالْمَبْتاعَةَ لَهُ، وَسَاقِيَهَا، وَالْمُسْتَقَاةَ لَهُ. حَتَّى عَدَّ عَشَرَةً مِنْ هَذَا الضَّرْبِ**»(٢)

وفي الربا: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ،**

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه ابن ماجه [٤ / ٤٦٩ رقم ٣٣٨٠] بَاب لُعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي [٣ / ٥٨٩ رقم ١٢٩٥] باب النهي أن يتخذ الخمر خلًّا، وابن ماجه [٤ / ٤٦٩ رقم ٣٣٨١] بَاب لُعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ.

وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَه»(١)

وفي رواية جابر رضي الله عنه: «**قال هم سواء**»(٢)

وفي المتنمصة والمستوشمة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «**لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَاشِمَةَ وَالْمُوستَشِمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ**»

وفي رواية: «**لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوشِمَاتِ، وَالمُتنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْن، المُغَيِّرَاتِ خَلقَ الله**»

وعند أحمد: «**الْوَاشِمَةَ، وَالْمَتَوَشِّمَةَ، وَالْوَاصِلَةَ، وَالْمَوْصُولَةَ، وَالْمُحِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ، وَآكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ**»(٣)

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الذنب إذا عظم لم تشمل جريرتُه فاعلَه فقط، بل كل من شارك وعاون ورضي به مستحسنًا له أيضًا، فما ظنك بالكفر المخرج من الملة، والذي لا يُغفر أبدا إذا مات العبد عليه ولم يتب منه، نسأل الله معافاته ومغفرته.

فاعلم بارك الله في علمك:

أن الكفر إذا وقع وحصل لم يقع على فاعله فقط، بل يقع كذلك على

---

(١) **أخرجه مسلم** [٣ / ١٢١٨ رقم ١٥٩٧] باب لعن آكل الربا ومؤكله، وأحمد [٦ / ٢٨٢ رقم ٣٧٣٧]

(٢) **أخرجه مسلم** [٣ / ١٢١٩ رقم ١٥٩٨] باب لعن آكل الربا ومؤكله

(٣) أخرجه: البخاري [٧ / ١٦٦ رقم ٥٩٤٢] بَاب الْمَوْصُولَةِ، وأحمد [٧ / ٣١٣ رقم ٤٢٨٣]

جملةِ من شاركه ورضي بفعله وعاونه وسانده ويسر له طرقه وسبله ونشر خبره كما مرَّ معنا شواهد هذا من الأحاديث

ومن هذه الطوائف التي بكفر الكافر وعمله تكفر معه وهي شريكة له في الإثم:

١ ـ فاعلُ الكفر نفسه.

٢ ـ الحريصُ على الكفر والشرك العازم عليه لكن عجز عنه لعارض وعذر.

٣ ـ الراضي بالكفر، المقر به، المحب للكافر، ولو لم يفعل الكفر، فكونه راضيًا بالكفر لا ينكره ولا يبغضه ولا يحرِّمه فهذا من نواقض الإيمان.

٤ ـ الداعي إلى الكفر، ومحسنُّه في أعين الناظرين والسامعين، الساعي في نشره في المجتمعات.

٥ ـ المُستحلُّ للكفر ولشُعبه أو أحد شُعبه.

٦ ـ المدافعُ عن الكفر والشرك، الذابُّ عن أهله ومعاقِله وأماكنِه.

موانع وأعذار التكفير

ذكر العلماء جملة من الموانع والأعذار[١] التي متى تلبَّس العامل

(١) **مجمل شروط التكفير وموانعه ذكرها النبي ﷺ في حديثين:**
الأول: عند ابن ماجه «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» ابن ماجه (رقم: ٢٠٤٥).
والثاني: عند أحمد وأبي داود: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يُفِيقَ وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِي حَتَّى يَحْتَلِمَ**» أحمد (رقم:٩٥٦) وأبو داود (رقم: ٤٤٠٣)
وهي:
العلم وضده الجهل، البلوغ وضده الصغر، العقل وضده الجنون، الاختيار وضده الإكراه، والقصد وضده الخطأ، والتذكر وضده النسيان فهذه ستة شروط وأضدادها ستة موانع، وإذا أضفنا في الموانع: عذر التأويل، كانت تتمةُ الموانع والأعذار سبعةً، فلابد قبل الحكم على أحد من استيفاء تلك الشروط جميعها وانتفاء الموانع عنه؛ فإذا وقع العبد في فعل الكفر كأن يطأ بقدمه على ورقة من المصحف (فعلُ كفر) فهل يحكم عليه مباشرة بالكفر ؟ الجواب لا. لابد من استيفاء الشروط فيه وانتفاء الموانع، فإذا كان لا يعلم بكونها ورقة مصحف فهذا عذر في عدم تكفيره؛ لانتفاء شرط العلم عنه، ووجود مانع الجهل، ولو كان يعلم لكنه وطئها خطأً لم يكفر أيضًا لانتفاء شرط القصد ووجود مانع الخطأ وهكذا.

للشرك بواحدة منها = لم يكفر، ولا يقع عليه اسم الكفر ولا حكمه(١).

وتُعدُّ هذه الأعذار من محاسن هذه الشريعة الإسلامية؛ فإنها من الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا، ثم هي تُعطي مجالا واسعا لرحمة العصاة فتعطي للعامل منهم بابًا واسعًا للتوبة والرجعة والاستغفار، كما تعطي للمجتمع الغير مشارك له درسًا في عدم التعجل ورمي الغير بالكفر والشرك والذي يترتب عليه القتل واستحلال المال والعرض، مما يترتب عليه أمور عظيمة، والخطأ فيها جليل وعظيم.

ومعرفة هذه الموانع والأعذار واجب تعلمها على كل ذي سلطان من المسلمين؛ لتعلق الثواب والعقاب والعفو والقصاص والزجر والتعزير على معرفتها، وكذلك يجب معرفتُها على القضاة الذين يحكمون في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وكذلك يجب تعلمُها على كل طالب علم؛ بل وعلى كل مشتغل بالدعوة إلى الله تعالى؛ حتى يستطيع كلُّ واحد من هؤلاء أن يضع كل شيء في نصابه الصحيح، فيُعذِر من يستحق العذر، ولا يعذر من لا يستحقه:

---

(١) إذا فعل المكلَّفُ فعل الكفر فله **حالان**: **الأولى**: قبل التحقق من حاله فإن اسم الكفر يقع عليه لكن لا يقع عليه حكم الكفر أي العقوبة والجزاء المترتب على فعل الكفر، وأما حكم الكفر فلا يقع إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ومنها الاستتابة.

الحالة الثانية: إذا تحققنا من حاله فوجدنا أن الشروط غير متحققة فيه، وأن عنده مانعًا وعذرًا من موانع التكفير، فعند ذلك لا يقال عنه كافر ولا تطبق عليه أحكام الكفر والردة.

ووضعُ النَّدَى في موضعِ السيفِ بالعُلَى ∴ مُضرٌّ كوضعِ السيف في موضعِ النَّدَى

وقد قال بعض الحكماء:

من سَكَراتِ السلطان الرضا عن بعض مَنْ يستوجب السخط، والسخطُ على بعض من يستحق الرضا.

هل العذر بالإكراه والخطأ من خصائص هذه الأمة؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن العذر بالإكراه والخطأ من خصائص هذه الأمة

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠]. هذه الآية تدل بظاهرها على أن المكرَه على الكفر لا يفلح أبدًا.

وقد جاءت آية أخرى تدل على أن المكرَه على الكفر معذورٌ إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦] الآية.

والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: أن رفع المؤاخذة مع الإكراه من خصائص هذه الأمة

فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] ويدل لهذا قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي**

الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(١).

فهو يدل بمفهومه على خصوصه بأمته ﷺ وليس مفهوم لقب؛ لأن مناط التخصيص هو اتصافه ﷺ بالأفضلية على من قبله من الرسل واتصاف أمته بها على من قبلها من الأمم.

والحديث وإن أعلَّه أحمد وابن أبي حاتم فقد تلقاه العلماء قديما وحديثا بالقبول.

ومن أصرح الأدلة في أن من قبلنا ليس لهم عذر بالإكراه: حديث طارق ابن شهاب(٢) في الذي دخل النار في ذباب قربه لصنم مع أنه قربَّه ليتخلص

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه [١ / ٦٥٩ رقم ٢٠٤٥] باب طلاق المكره والناسي، والبيهقي في الكبرى [٧ / ٥٨٤ رقم ١٥٠٩٤] من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، وعنده من رواية ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «**وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» وما في معناه حديث الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ**» البخاري [٣ / ١٤٥ رقم ٢٥٢٨] بَاب الْخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ فِي الْعَتَاقَةِ وَالطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ وَلَا عَتَاقَةَ إِلَّا لِوَجْهِ اللهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى وَلَا نِيَّةَ لِلنَّاسِي وَالْمُخْطِئِ**»

(٢) يشير إلى حديث طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ سَلْمَانُ: «**دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ**»، قَالُوا: وَمَا الذُّبَابُ ؟، فَرَأَى ذُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: «**هَذَا الذُّبَابُ**»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ ؟، قَالَ: «**مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرِّبَا لِصَنَمِنَا قُرْبَانًا قَالَا: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، قَالُوا: قَرِّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا تَرَى ؟، قَالَ أَحَدُهُمَا: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، فَقُتِلَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْآخَرُ: بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَأَخَذَ ذُبَابًا فَأَلْقَاهُ** ⇦=

من شر عبدة الصنم، وصاحبه الذي امتنع من ذلك قتلوه فعُلِم أنه لو لم يفعل لقتلوه كما قتلوا صاحبه، ولا إكراه أكبر من خوف القتل ومع هذا دخل النار ولم ينفعه الإكراه.

وظواهر الآيات تدل على ذلك فقوله: ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠] ظاهر في عدم فلاحهم مع الإكراه؛ لأن قوله: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ [الكهف:٢٠] صريح في الإكراه وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] مع أنه تعالى قال: «**قد فعلتُ**» كما ثبت في صحيح مسلم يدل بظاهره على أن التكليف بذلك كان معهودًا قبلُ(١).

= **عَلَى الصَّنَمِ فَدَخَلَ النَّارَ**» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [٩ / ٤٥٧ رقم ٦٩٦٢]، ابن أبي شيبة [٦ / ٤٧٣ رقم ٣٣٠٣٨]

(١) ومن ذلك أيضًا حديث خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» البخاري (٤/ ٢٠١ رقم ٣٢٥٢) بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنَ المُشْرِكِينَ بِمكَّةَ

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه:١١٥] مع قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه:١٢١] فأسند إليه النسيان والعصيان معا يدل على ذلك أيضًا وعلى القول بأن المراد بالنسيان الترك فلا دليل في الآية.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] مع قوله: ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ويُستأنس لهذا بما ذكره البغوي في تفسيره عن الكلبي من أن المؤاخذة بالنسيان كانت من الإصر على من قبلنا، وكان عقابها يعجل لهم في الدنيا؛ فيحرم عليهم بعض الطيبات. وقال بعض العلماء: إن الإكراه عذر لمن قبلنا وعليه فالجواب هو:

الوجه الثاني: أن الإكراه على الكفر قد يكون سببا لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه كما يُفهم من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦] وإلى هذا الوجه جنح صاحب روح المعاني **والأول أظهر عندي وأوضح والله تعالى أعلم»**(١).

فالحاصل أن هناك بعض الأعذار التي هي من خصائص هذه الأمة، وثمة أعذارٌ أخرى عامة في هذه الأمة وغيرها من الأمم كالجهل وعوارض الأهلية كالصغر والجنون وغيرها

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب [ص ٥٥] للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز – جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م

وإليك أعذارَ وموانعَ التكفير:

أولاً: الجهل[١]

- ألا يكونَ عالمًا بتحريم هذا الشيء المُكَفِّر[٢].

قال الإمام الشافعيُّ عند كلامِه على الأسماءِ والصِّفات الثابتة في القرآن والسُّنة: «فإنْ خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر[٣]، فأمَّا قبْل ثبوت الحجة عليه، فمعذور بالجهل[٤]»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفِّرون مَن خالفهم، وإن كان ذلك المخالفُ يكفِّرهم؛ **لأنَّ الكفرَ حكمٌ شرعي، فليس للإنسان أن يُعاقِب بمثله،** كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأنَّ الكذب والزنا حرام لحقِّ الله تعالى، **وكذلك التكفير حق لله، فلا يَكفر إلاَّ من كفَّره الله ورسوله،** وأيضا فإنَّ تكفير الشخص

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٢) الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٥٦)، وجامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٠ - ٣٧١)، وفتح الباري (١٢/ ٣١٤) لشيخ الإسلام: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ١٩٧).

(٢) لابد أن يفهم هذا العذر في ضوء ما ذكرته في مطلب: «**قاعدة مهمة: هل يلزم لإيقاع اسم الكفر على فاعله معرفتُه بالمكفِّر والناقض الذي وقع فيه ؟**».

(٣) أي الكفر الحكمي الذي يترتب عليه العقاب

(٤) ولكن يطلق عليه اسم الكفر دون حكمه.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المعيَّن وجواز قتله **موقوف على أن تبلغه الحجَّة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلاَّ فليس كلُّ من جهل شيئًا من الدِّين يكفر**»(١)

وقال أيضًا: «من كان مؤمنًا بالله ورسوله مطلقًا **ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب، فإنَّه لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجَّة التي من خالفها كفر**؛ إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً مِمَّا يرد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمَّة، **والكفر لا يكون إلاَّ بعد البيان**»(٢).

وقال أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمَّة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركًا أو كافرًا، **فإنَّه يُعذر بالجهل والخطأ حتى تتبيَّن له الحجَّة التي يكفر تاركها بيانًا واضحًا، ما يلتبس على مثله**، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، مِمَّا أجمعوا عليه إجماعًا جليًّا قطعيًّا يعرفه كلُّ واحد من المسلمين من غير نظر وتأمّل»(٣).

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وكذلك كلُّ جاهل بشيء يُمكن أن يجهله،**

---

(١) الرد على البكري (ص:٢٥٨ ـ ٢٦٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤):

(٣) محاسن التأويل (٥/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨). للعلامة محمد جمال الدين بن محمد سعيد ابن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

لا يُحكم بكفره حتى يعرف ذلك وتزول عنه الشبهة ويستحله بعد ذلك»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك الأمر في كلِّ من أنكر شيئًا مِمَّا أجمعت الأمة عليه من أمور الدِّين، إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم، ونحوها من الأحكام، **إلاَّ أن يكون رجلًا حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإذا أنكر شيئًا منها جهلًا به لم يكفر**»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ العذاب يُستحقُّ بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، **وأمَّا كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه[٣] حتى تقوم حجة الرسل**»[٤]

---

(١) المغني (١٢/ ٢٧٧) لشيخ المذهب الحنبلي: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد - الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥

(٢) شرح صحيح مسلم (١/ ٢٠٥).

(٣) كلام شيخ الإسلام ابن القيم واضح في التفريق بين نفي التعذيب (الحكم) حتى تبلغ الحجة الرسالية، وأما إيقاع اسم الكفر فلا يفتقر إلى الحجة الرسالية، ولذلك قال الله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] فالنفي هنا للعقاب وليس للاسم.

(٤) طريق الهجرتين (ص:٥٤٦) الناشر: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٤

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: «وأمَّا ما ذَكَرَه الأعداء عنِّي أنِّي أُكَفِّر بالظن وبالمُوَالاة، **أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة؛ فهذا بهتان عظيم**»(١)

وقال العلامة محمد بن صالح بن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الجهل نوعان:**

جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه، فما كان ناشئًا عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم، فإنه لا يعذر فيه، سواء في الكفر أو في المعاصي، وما كان ناشئًا عن خلاف ذلك، أي أنه لم يهمل ولم يفرط ولم يقم المقتضي للتعلم بأن كان لم يطرأ على باله أن هذا الشيء حرام فإنه يعذر فيه فإن كان منتسبًا إلى الإسلام لم يضره، وإن كان منتسبًا إلى الكفر، فهو كافر في الدنيا، لكن في الآخرة أمره إلى الله على القول الراجح، يمتحن، فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار.

فعلى هذا من نشأ ببادية بعيدة ليس عنده علماء ولم يخطر بباله أن هذا الشيء حرام، أو أن هذا الشيء واجب، فهذا يعذر»(٢)

---

(١) مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٢٥.) ويقصد هنا الكفر المعاقب عليه.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد [١ / ١٢٣] للعلامة محمد بن الصالح العثيمين، الناشر: مكتبة ابن الجوزي. ويقال أيضًا: لابد أن يقال: إنه بذل الوسع في قصد معرفة الحق حتى عجز عن إدراكه.

ثانيًا: الخطأ[١]

الخطأ: ضد الصواب، وهو العدول عن الجهة كما قال الراغب[٢]

وشرعًا: هو أن يقصد بفعله شيئا فيصادف فعلُه غيرَ ما قصده، مثل أن يقصد قتلَ كافر فصادف قتلُه مسلمًا.

أو يظن أن الحقَّ في جهته، فيصادف غير ذلك.

واعلم أنه قد اتفق أئمة أهل السنة والجماعة؛ على أن الخطأ من موانع التكفير في المسائل العلمية والعملية، إذا كان اجتهادًا لطلب الحق ومتابعة النبي ﷺ، وغير مقصود لمخالفة الشرع، وقاعدتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب:٥].

وقول النبي ﷺ «**وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامدًا لها عالمًا بأنها كلمة كفر؛ فإنه يكفر بذلك ظاهرًا وباطنًا، ولا يجوز أن يقال: إنه في الباطن يجوز أن يكون مؤمنًا، ومن قال ذلك فقد مَرَقَ من الإسلام»[٤]

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٧١)، وفتح الباري (١٣/ ٢٩)، جامع العلوم والحكم (ص٣٥٢)

(٢) المفردات في غريب القرآن [ص ١٥١] الناشر دار المعرفة ـ لبنان

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الصارم المسلول (ص ٥٢٤). المكتب الإسلامي ط١٤١٤هـ.

وأضربُ الخطأ ثلاثة[١]:

أحدها: أن يريد غير ما تُحسِّنُ إرادتُه فيفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان،

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١].

وقال: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩١].

وهذا الخطأ مأخوذ به الإنسان غير معذور فيه؛ لأنه نواه وقصده عالمًا عامدًا غير متأول ولا مكره كما قال تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة:٣٧].

فسماهم الله تعالى خاطئين؛ لأنهم فعلوا الخطايا والسيئات عامدين قاصدين لها مُصرِّين عليها، غير تائبين ولا نادمين، ومن هنا سميت كبائر الذنوب والسيئات العظام المصرُّ صاحبها عليها خطيئة

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

وهذا الخطأ من رعونات النفس الآثمة «وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الإنساني من كلية وجزئية وطلب أسبابها لا يجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه»[٢].

---

(١) المفردات في غريب القرآن [ص ١٥١] بتصرف وزيادة.

(٢) تفسير المنار [٤ / ٧٠] لمحمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

ومثاله أيضًا: الذي يشرب الخمر عامدا عالما بالحرمة؛ فهذا مخطئ في تركه لسبيل الحلال وتعمده لفعل الحرام، فيؤاخذ بهذا الذنب، ويسمى في الشرع: خاطئ ومخطئ؛ لكونه اختار طريق الخطأ.

ومثله: الذي يقع في الزنا عامدًا عالمًا بالحرمة، فهذا مخطئ؛ لأنه ترك المَناكح الحلال وذهب إلى الحرام.... وهلم جرًا

والثاني: أن يريد ما يَحسُنُ فعلُه ولكن يقع منه خلافُ ما يريد

فيقال: أخطأ إخطاءً فهو مخطئٌ.

وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل

وهذا المعنيُّ بقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»

وفي الصحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١)

ومنه القتل الخطأ قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ [النساء:٩٢].

والقتل الخطأ لا قصاص فيه ولا مؤاخذة فيه في الآخرة، إنما فيه الدية

(١) أخرجه البخاري [٩ / ١٠٨ رقم ٧٣٥٢] بَاب أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، ومسلم [٣ / ١٣٤٢ رقم ١٧١٦] باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ

لحق الآدمي بضمان ما اتلف من نفس معصومة الدم، وأما الإثم فلا، وكذلك ينتفي عنه القصاص؛ لانتفاء القصد وإرادة الشر فيه.

النوع الثالث: أن يريد ما لا يَحسُن فعلُه ويتفق منه خلافه

فهذا مخطئ في الإرادة ومصيب في الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله، وهذا المعنى هو الذي أراده في قوله:

أَردتَ مساءتي فأجرت(١) مَسرَّتي ∴ **وقَد يُحسن الإنسانُ مِن حيثُ لا يَدري**

وهذا النوع يؤاخذ به العبد شرعًا لا قضاء، كمن أتى امرأة في الظلام يظنها أجنبية عنه فبانت امرأته، فهو آثم شرعًا لقصده الخبيث وإن كان لا يُحدُّ قضاء، وكمن سرق مالًا فبان مالَه، أو مالَ ولده، فهو آثم لنيته الخبيثة لكن لا يُحدُّ قضاء، وكمن وضع سمًّا في ماء ليشربه فلان فيموت فشربته دابته فماتت، فهو آثم شرعا، لكن لا يقتص منه.. وهكذا

وجملة الأمر أن من أراد شيئا فاتُفِق منه غيره يقال: أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب، وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحَسُن أو أراد إرادة لا تجْمُل إنه أخطأ ولهذا يقال أصاب الخطأ وأخطأ الصواب، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ.

هل يعذر بالخطأ في العقائد، أم في الأحكام فقط؟

الجواب: أن العذر بالخطأ في العقائد ثابت بالكتاب والسنة، ومثله الخطأ في الأحكام

(١) ويرويه بعضهم: «فاجترت»

ومن الأدلة على ذلك:

١ ـ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء[(١)]، فقال النبي ﷺ: «**قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا**» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

«قال: «**قد فعلت**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال: «**قد فعلت**» ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال: «**قد فعلت**»

و في رواية: «فلما فعلوا ذلك نسخها الله ثم أنزل تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وعند أحمد من روايةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

---

(١) المعنى: أنه دخل في قلوبهم من الخوف والرعب منها شيء لم يكن دخل من ذي قبل.

«لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا نُطِيقُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا، وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»،

فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا أَقَرَّ بِهَا الْقَوْمُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ»(١)، أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فَصَارَ لَهُ مَا كَسَبَ مِنْ خَيْرٍ، وَعَلَيْهِ مَا اكْتَسَبَ مِنْ شَرٍّ، فَسَّرَ الْعَلَاءُ هَذَا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، قَالَ: نَعَمْ،

(١) أي جعلت ألسنتهم ترددها حتى صارت سهلة على ألسنتهم مذللة.

﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦](١)

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٥].

وهذا نص عام يشمل أخطاء العقيدة وأخطاء الأحكام وغيرها، فليس على المؤمن جناح فيما أخطأ فيه، وكذلك لو أخطأ متعمدًا ثم تاب، تاب الله عليه وكان الله غفورًا رحيمًا

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ...﴾ [النساء:٩٢] الآية، وهذه الآية في أحكام القتل الخطأ كما هو واضح بيِّن.

٤ ـ وعن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»

٥ ـ وفي المتفق عليه عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ**

(١) أخرجه مسلم [١ / ١١٦ رقم ١٢٦] باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، وأحمد [١٥ / ١٩٩] واللفظ له.

فَلَهُ أَجْرٌ»(١)

٦ ـ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هذا قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود ابن علي وغيرهم **لا يؤثمون مجتهدا مخطئا لا في المسائل الأصولية ولا في الفروعية** كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطَّابية(٢) ويصححون الصلاة خلفهم والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين ولا يصلى خلفه، وقالوا هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين **إنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحدا من المجتهدين المخطئين لا في مسألة عملية ولا علمية»**(٣)

والتفريق بين المسائل العقائدية والمسائل العملية في العذر بالخطأ ونحوه ليس مذهبا لأهل السنة والجماعة، إنما هو من كلام المبتدعة.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري [٩ / ١٠٨ رقم ٧٣٥٢] بَاب أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، ومسلم [٣ / ١٣٤٢ رقم ١٧١٦] باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ

(٢) الخطابية: فرقة ضالة من الرافضة الباطنية، من عقائدها: أنهم يعتقدون إلاهية الأئمة أو إلاهية بعض الأئمة كأبي الخطاب الأسدي، ومنهم الذين قالوا بالإلهية عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وزعمت أن جعفر الصادق قد أودعهم جلدًا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب، وسموا ذلك الجلد جَفْرًا، وزعموا أنه لا يَقرأ ما فيه إلا من كان منهم!. انظر: الفرق بين الفرق [ص ٢٤٠]

(٣) منهاج السنة النبوية [٥ / ٤٨] لشيخ الإسلام، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى

قال شيخ الإسلام:

«والفرق بين مسائل الأصول والفروع إنما هو من أقوال أهل البدع من أهل الكلام من المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم، وانتقل هذا القول إلى أقوام تكلموا بذلك في أصول الفقه ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غوره.

قالوا والفرق في ذلك بين مسائل الأصول والفروع كما أنه بدعة محدثة في الإسلام لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع؛ بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة فهي باطلة عقلا»(١)

وقال أيضًا:

«وأما «التكفير»: **فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ: لم يُكفَّر؛ بل يغفر له خطؤه.** ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين: فهو كافر.

ومن اتبع هواه وقصَّر في طلب الحق وتكلم بلا علم: فهو عاصٍ مذنبٌ. ثم قد يكون فاسقًا وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته»(٢).

وقال أيضًا:

«فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص **فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا؛ بل ولا فاسقا بل ولا عاصيًا»**(٣)

---

(١) المرجع السابق [٥ / ٤٨]

(٢) مجموع الفتاوى [١٢ / ١٨٠]

(٣) السابق [١٢ / ١٨٠]

وقال أيضًا:

«وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه **ليس كل من قال قولا أخطأ فيه أنه يكفر بذلك وإن كان قوله مخالفا للسنة فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع**»(١)

ثالثًا: التأويل(٢)

لغة: تدور كلمة التأويل على ثلاثة معان(٣):

قال الراغب: «أَوَّلَ: التأويل من الأَوْلِ أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المَوئِل: للموضع الذي يَرجع إليه، وذلك هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علمًا كان أو فعلًا.

ففي العلم، نحو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

وفي الفعل كقول الشاعر:

وللنِّوَى قَبلَ يَومِ الَّبيْنِ تَأويلُ

---

(١) السابق [٧ / ٦٨٥]

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥١٠ - ٥١١)، والشفا (٢/ ١٠٥١ - ١٠٦٥)، والدرة لابن حزم (ص ٤١٤)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٢٣١)، والعواصم والقواصم (٤/ ١٧٦)، ومنهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (ص ١٠٢)، والإرشاد في معرفة الأحكام لابن سعدي (ص ٢٠٩).

(٣) المفردات في غريب القرآن [ص ٣١]

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] أي: بيانه الذي هو غايته المقصودة منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] قيل: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثوابا في الآخرة.

التأويل شرعًا يدور على ثلاثة معان وهي:

❐ الأول: ما يؤول إليه الكلام من الحقيقةِ والكيفيةِ

منه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف:٥٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠].

وجه الدلالة: «وهؤلاء الذين حق عليهم العذاب، لم يؤمنوا بهذا الكتاب العظيم، ولا انقادوا لأوامره ونواهيه، فلم يبق فيهم حيلة إلا استحقاقهم أن يحل بهم ما أخبر به القرآن. ولهذا قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ﴾ [الأعراف:٥٣] أي: وقوع ما أخبر به كما قال يوسف ﷺ حين وقعت رؤياه: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠].

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:٥٣] متندمين متأسفين على ما مضى منهم، متشفعين في مغفرة ذنوبهم. مقرين بما أخبرت به الرسل: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ﴾

[الأعراف:٥٣] إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [الأعراف:٥٣] وقد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]»(١)

❐ **الثاني: التفسير**

ومنه تأويل القرآن، أي: تفسيره ومعانيه

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] قيل أحسن معنى وترجمة، وقيل أحسن ثوابا في الآخرة.

❐ **الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالف ذلك من غير دليل ولا حجة ولا بيان.**

وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفا لما يدل عليه اللفظ ويبينه.

ومنه تأويل صفات الله تعالى على غير ظواهرها المفهومة من اللغة (والظاهر من اللغة يفهم على ما يليق به سبحانه من كمال ذاته وجميل صفاته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف) فيصرفون المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ إلى معانٍ خفية لا تحتملها الألفاظ وأحيانًا لا تقبلها اللغة.

هل الناطق بالكفر متأولًا يكفر أو يفسق إذا اجتهد فأخطأ؟

الجواب: أن التأويل مانع من موانع التكفير والتفسيق بشرط: إذا كان تأويله سائغًا

(١) تفسير السعدي [ص ٢٩١] للعلامة: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

فإن القول في العذر بالتأويل كالقول بالعذر بالجهل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المتأوِّل الذي قصد متابعة الرسول ﷺ لا يكفر، بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد: فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، **وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين**، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع»(١)

والتأويل - عند أهل السنة والجماعة – نوعان:

نوع يعذر به الإنسان، ونوع لا يعذر به.

❐ **النوع الأول: التأويل السائغ الذي يعذر به صاحبه**

وهو التأويل القائم على دليل، لا على الهوى والشهوة والتعصب.

قال شيخ الإسلام: «وهذا باب واسع، فإنه يدخل فيه جميع الأمور المحرمة بكتاب أو سنة إذا كان بعض الأمة لم يبلغهم أدلة التحريم فاستحلوها، أو عارضَ تلك الأدلةَ عندهم أدلةٌ أخرى رأوا رجحانها عليها، مجتهدين في ذلك الترجيح بحسب عقلهم وَعِلْمِهِم، فإن التحريم له أحكام من التأثيم والذم والعقوبة والفسق وغير ذلك، لكن له شروط وموانع»(٢)

---

(١) منهاج السنَّة (٥ / ٢٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٦٣ – ٢٦٨)

❐ **صور من التأويل السائغ[١]:**

من صور التأويل السائغ ما ذكره ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

«...لا يحل لمسلم أن يعتقد أن أحدًا منهم بعينه أو من قلده بحيث يجوز تقليده: تبلغهم لعنة آكل الربا، لأنهم فعلوا ذلك متأولين تأويلًا سائغًا في الجملة..»،

وكذلك قال عن بعض من يقول بجواز بعض الأشربة من جنس الخمر:

«وقد كان رجال من أفاضل الأمة علمًا وعملًا من الكوفيين يعتقدون أن لا خمر إلا من العنب، وأن ما سوى العنب والتمر لا يحرم من نبيذه إلا مقدار ما يُسكر، ويشربون ما يعتقدون حله، فلا يجوز أن يقال: إن هؤلاء مندرجون تحت الوعيد؛ **لما كان لهم من العذر الذي تأولوا به، أو لموانع أخرى**»[٢]..

ومن ذلك: قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاكيًا الإجماع على قبول شهادة أهل الأهواء وإن تأولوا واستحلوا المحرمات:

«**فلم نعلم أحدًا من سلف الأمة يُقتدى به، ولا من التابعين بعدهم رد شهادة أحد بتأويل وإن خطأه وضلله، ورآه استحل فيه ما حرم عليه، ولا شهادة أحد بشيء من التأويل كان له وجه يحتمله، وإن بلغ فيه استحلالَ الدم**

---

(١) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف [١ / ٢٦٢] باختصار وتصرف، للدكتور: محمد بن عبد الله الوهيبي، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٦٣ - ٢٦٨).

والمال أو المفرط من القول، وذلك أنا وجدنا الدماء أعظم ما يعرِّض الله بها بعد الشرك، ووجدنا متأولين يستحلونها بوجوه، وقد رَغِب لهم نظراؤهم عنها وخالفوهم فيها، ولم يردُّوا شهادتهم بما رأوا من خلافهم فكل مستحلٍّ بتأويل من قول أو غيره فشهادته ماضيةٌ ولا ترد من أخطأ في تأويله...»(١)

❑ النوع الثاني: التأويل الغير سائغ والذي لا يعذر به صاحبه:

ثمة أحوال من التأويل لا يعذر فيها صاحبها بتأويله، مثالها:

«تأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلا، أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به؛ كإنكار الفلاسفة لحشر الأجساد، وقولهم إن الله سبحانه لا يعلم الجزئيات، أو تأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها، أو الاعتقاد بألوهية بعض البشر: كتأليه عليٍّ أو الحاكم بأمره كما عند النصيرية والدروز، أو القول بتحريف القرآن، أو تأويل جميع الأسماء والصفات أو القول بسقوط التكاليف عن البعض ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تَعتمِد على أي مستند نصي أو لغوي ولو من وجه محتمل»(٢)

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم ضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع

---

(١) الأم (٦/ ٢٠٥، ٢٠٦) لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، الناشر دار المعرفة، سنة النشر ١٣٩٣

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية [١ / ٢٦٤]

والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار، وإنما يقع الإشكال في تكفير من قام بأركان الإسلام الخمسة المنصوص على إسلام من قام بها إذا خالف المعلوم ضرورةً للبعض أو للأكثر لا المعلوم له، وتأول وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب أو التبس ذلك علينا في حقه، وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانية مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد، ومضادة الأدلة الجلية، ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة المقدمة...»(١)

❐ صور أخرى من التأويل الغير سائغ:

١ ـ التأويل في استحلال المحرمات الظاهرة المتواترة المعلوم حرمتها من الدين بالضرورة، كالسرقة وشرب الخمر والزنا ولبس الذهب للرجال وبناء المساجد على القبور...الخ.

٢ ـ التأويل في جحد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة.

كجحد وجوب الصلاة، أو الزكاة، أو الحج، أو الصيام...الخ

٣ ـ بعض تأويلات المعتزلة والمرجئة والجهمية، ونحوهم حيث يستندون ببعض الشبه النصية، وكذلك هناك تأويلات لا خلاف في عدم العذر بها كتأويلات الباطنية، والفلاسفة وغيرهم من الغلاة، وبين ذلك أصول تختلف الأنظار والاجتهادات في العذر من عدمه.

٤ ـ **وقال الملا القاري الحنفي**: «...وأما من يُؤَوِّل النصوص الواردة في حشر الأجساد، وحدوث العالم، وعلم الباري بالجزئيات فإنه يكفر لما علم

(١) جامع أبي الحسن البسيوي (١/ ٢٣٥)

قطعًا من الدين أنها على ظواهرها بخلاف ما ورد في عدم خلود أهل الكبائر في النار لتعارض الأدلة في حقهم»(١)...

٥ ـ **ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أمثلة كثيرة لبعض الطوائف الغالية المنسوبة إلى الإسلام، وبعض ضلالاتها فقال: «وقد تسمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام على أنه ليس مسلمًا، مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة، وركعة بالعشي فقط...، وقالوا: إن سورة يوسف ليست من القرآن، وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا: بتناسخ الأرواح، وآخرون قالوا: إن النبوة تكتسب بالعمل الصالح، وآخرون...وقالوا: قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء، وأن من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنهم الأعمال والشرائع! وقال بعضهم بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه كالحلاج وغيره...»(٢)

٦ ـ ومن أمثلة التأويل الغير السائغ الواقع في الأحكام:

ما وقع لقدامةَ بن مظعون رضي الله عنه:

فعن عَبْد اللهِ بْن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا: أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه اسْتَعْمَلَ قُدَامَةَ بْنَ مَظْعُونٍ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَهُوَ خَالُ حَفْصَةَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَقَدِمَ الْجَارُودُ سَيِّدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قُدَامَةَ شَرِبَ فَسَكِرَ وَإِنِّي رَأَيْتُ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَرْفَعَهُ إِلَيْكَ فَقَالَ

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٥٦ - ١٦٠).

(٢) الفصل (٢/ ١١٤) لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

عُمَرُ رضي الله عنه : مَنْ شَهِدَ مَعَكَ؟ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ. فَدَعَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: بِمَ تَشْهَدُ؟ قَالَ: لَمْ أَرَهُ شَرِبَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ سَكْرَانَ يَقِيءُ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : لَقَدْ تَنَطَّعْتَ فِي الشَّهَادَةِ. قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَى قُدَامَةَ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَدِمَ فَقَامَ إِلَيْهِ الْجَارُودُ فَقَالَ: أَقِمْ عَلَى هَذَا كِتَابَ اللهِ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : أَخَصْمٌ أَنْتَ أَمْ شَهِيدٌ؟ قَالَ: بَلْ شَهِيدٌ. قَالَ: فَقَدْ أَدَّيْتَ الشَّهَادَةَ. فَصَمَتَ الْجَارُودُ حَتَّى غَدَا عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: أَقِمْ عَلَى هَذَا حَدَّ اللهِ.

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : مَا أَرَاكَ إِلاَّ خَصْمًا وَمَا شَهِدَ مَعَكَ إِلاَّ رَجُلٌ.

فَقَالَ الْجَارُودُ: إِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ.

فَقَالَ عُمَرُ: لَتَمْسِكَنَّ لِسَانَكَ أَوْ لأَسُوءَنَّكَ

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ كُنْتَ تَشُكُّ فِي شَهَادَتِنَا فَأَرْسِلْ إِلَى ابْنَةِ الْوَلِيدِ فَسَلْهَا وَهِيَ امْرَأَةُ قُدَامَةَ فَأَرْسَلَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى هِنْدَ بِنْتِ الْوَلِيدِ يَنْشُدُهَا فَأَقَامَتِ الشَّهَادَةَ عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ عُمَرُ لِقُدَامَةَ: إِنِّي حَادُّكَ. فَقَالَ: لَوْ شَرِبْتُ كَمَا يَقُولُونَ مَا كَانَ لَكُمْ تَجْلِدُونِي. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : لِمَ؟

قَالَ قُدَامَةُ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ [المائدة:٩٣] الآيَةَ. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : **إِنَّكَ أَخْطَأْتَ التَّأْوِيلَ إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ اجْتَنَبْتَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ.**

قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى النَّاسِ فَقَالَ مَاذَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ قُدَامَةَ؟ قَالُوا: لاَ نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ مَا كَانَ مَرِيضًا فَسَكَتَ عَنْ ذَلِكَ أَيَّامًا ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ عَزَمَ عَلَى جَلْدِهِ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ قُدَامَةَ؟

فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ مَا دَامَ وَجِعًا.

فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: لأَنْ يَلْقَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَحْتَ السِّيَاطِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ وَهُوَ فِي عُنُقِي ائْتُونِي بِسَوْطٍ تَامٍّ فَأَمَرَ عُمَرُ ﷺ بِقُدَامَةَ فَجُلِدَ»

فَغَاضَبَ عُمَرَ ﷺ قُدَامَةُ فَهَجَرَهُ فَحَجَّ وَحَجَّ قُدَامَةُ مَعَهُ مُغَاضِبًا لَهُ، فَلَمَّا قَفَلاَ مِنْ حَجِّهِمَا وَنَزَلَ عُمَرُ بِالسُّقْيَا وَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ مِنْ نَوْمِهِ فَقَالَ: عَجِّلُوا عَلَيَّ بِقُدَامَةَ فَأْتُونِي بِهِ فَوَاللهِ إِنِّي لأَرَى أَنَّ آتِيًا أَتَانِي فَقَالَ: سَالِمْ قُدَامَةَ فَإِنَّهُ أَخُوكَ فَعَجِّلُوا إِلَيَّ بِهِ، فَلَمَّا أَتَوْهُ أَبَى أَنْ يَأْتِيَ فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ ﷺ إِنْ أَبَى أَنْ يُجَرَّ إِلَيْهِ حَتَّى كَلَّمَهُ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ صُلْحِهِمَا»(١).

وجه الدلالة: أن قدامة بن مظعون تأول قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣]، لكن هذا التأويل غير سائغ، ولهذا لم يعذره عمر ﷺ به وأمر بجلده؛ لأن هذه الآية نزلت فيمن مات وفي بطنه الخمر، قبل أن ينزل تحريم الخمر بالكلية فعند أحمد من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصْحَابُنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَهَا؟ فَأُنْزِلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة:٩٣](٢)، وأما من شربها بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٨ / ٣١٥]

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠٧ رقم ٢٠٨٨) وأخرجه الترمذي (٣٠٥٢)، والطبراني (١١٧٣٠)، والحاكم ٤/ ١٤٣، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦١٧)

فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠] فإنه يقام عليه الحد، ولا يقبل تأويله، ويوضح هذا أيضًا رواية النسائي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ قُدَامَةَ بْنَ مَظْعُونٍ، شَرِبَ الْخَمْرَ بِالْبَحْرَيْنِ فَشَهِدَ عَلَيْهِ ثُمَّ سُئِلَ فَأَقَرَّ أَنَّهُ شَرِبَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: لأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة:٩٣]، وَأَنَا مِنْهُمْ أَيْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَمِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَأَهْلِ أُحُدٍ، فَقَالَ: لِلْقَوْمِ أَجِيبُوا الرَّجُلَ فَسَكَتُوا، فَقَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَجِبْهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَنْزَلَهَا عُذْرًا لِمَنْ شَرِبَهَا مِنَ الْمَاضِينَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ وَأَنْزَلَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ﴾ [المائدة:٩٠] مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، حُجَّةٌ عَلَى الْبَاقِينَ»(١)

رابعًا: الإكراه

قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

قال الجصاص: «هذا أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه»(٢).

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٣٨رقم ٥٢٧٠)

(٢) أحكام القرآن (٥/ ١٣) لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥

ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨].

قال ابن حجر: «ومعنى الآية: لا يتّخذ المؤمن الكافر وليًّا في الباطن ولا في الظّاهر إلّا للتّقيّة في الظّاهر، فيجوز أن يواليه إذا خافه، ويعاديه باطنًا»(١)

❐ شروط الإكراه المعتبر شرعًا

وللإكراه المعتبر شرعًا الذي لا يؤاخذ به العبد شروط لابد أن تتوفر فيه؛ وإلا فهو إكراه غير معتبر شرعًا ولا يعذر به العبد، ومن هذه الشروط:

١ـ أن يكون القلب مطمئنًا بالإيمان، كارهًا للكفر والفسوق والمعصية التي أكره عليها

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦].

ومثاله في الأحكام: من أكره على طلاق زوجته؛ فإن كان غير راض في الباطن لا تطلق عليه، وإن كان راضيًا في الباطن طلقت عليه امرأته ظاهرا وباطنا.

أما إذا رضي القلب بالمعصية فليس هذا بمكره، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل:١٠٦].

ونقل ابن بطّال الإجماع على جواز التقية من القتل بالكفر، فقال: «أجمعوا على أنّ من أُكره على الكفر حتّى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه

(١) فتح الباري (٢/ ٣١٣)

مطمئنّ بالإيمان أنّه لا يحكم عليه بالكفر ولا تبين منه زوجته»[١].

٢ ـ أن يكون الإكراه متيقنًا حصوله لا متوهمًا ولا مظنونًا.

٣ ـ أن يكون المُكْرِهُ قادرًا على إيقاع ما أوعده به، متمكنًا منه، لا يُخلفه غالبًا.

٤ ـ أن يكون المُكْرَه عاجزًا عن الخلاص، سواء بالهرب أو بالاستغاثة ونحو ذلك.

٥ ـ أن يترتب على الإكراه ضرر بالدين، أو بعقله أو بجسده أو بمصالح معاشه ودنياه لا يحتمل مثله، أو يقال: أن يكون التهديد بما يؤذي عادة كالقتل والقطع والحبس الطويل والضرب المُتلف للأعضاء ونحو ذلك، سواء كان الإكراه عليه في نفسه أو على أحد من أهله كزوجته أو ولده أو أحد أصوله.

٦ ـ أن يكون المُهدَّد به عاجلا حالّا وليس مؤجلا[٢]

٧ ـ أن يكون موضوع الإكراه مأذونًا فيه شرعًا من قبل الشارع؛ فإنه ثمة أحوال لا يجري فيها الإكراه[٣].

---

(١) فتح الباري (٢/ ٣١٣).

(٢) يرجع في تحديد التعجيل أو التأجيل للعرف، فإن التأجيل فيه مندوحة ومظنة لتغير الأحوال والظروف بخلاف التعجيل.

(٣) بمعنى: أنه ثمة عدة مسائل وموضوعات لا يجري فيها الإكراه أصلا؛ كقتل النفس المعصومة بدعوى الإكراه فإن دماء المسلمين تتكافأ، فلا يَقدم إنسانٌ على قتل أخيه المسلم وإراقة دمه لينقذ نفسه من القتل!.

⇦=

قال ابن حجر: «والإكراه هو كل ما سمي في اللغة إكراهًا، وعرف بالحس أنه إكراه، كالوعيد بالقتل ممن لا يؤمن منه إنفاذ ما توعد به، والوعيد بالضرب كذلك، أو الوعيد بالسجن كذلك، أو الوعيد بإفساد المال كذلك، أو الوعيد في مسلم غيره بقتل أو ضرب أو سجن أو إفساد مال»(١)

وقال أبو محمد عز الدين بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قواعد الأحكام: «وَكَذَلِكَ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، أَوْ غُصَّ وَلَمْ يَجِدْ مَا يُسِيغُ بِهِ الْغُصَّةَ سِوَى الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ ذَلِكَ، لِأَنَّ حِفْظَ الْحَيَاةِ أَعْظَمُ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ مِنْ رِعَايَةِ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَذْكُورَاتِ»(٢)

=

ومثله: الإكراه على الرِّدة عن دين الإسلام بالكلية، فهذا لا يجري فيه الإكراه البتة.

ومثله: الإكراه على الاعتقادات الشركية والكفرية، وأعمال القلوب، فهذا لا يجري فيه الإكراه كذلك.

وهل يجري الإكراه على الزنا، خلاف بين الفقهاء

«فعند الحنابلة وجوب الحد؛ لأن الانتشار لا يكون إلا عن طواعية واختيار.

والشافعية: لا يجب الحدُّ على المكرَه على الزنا، لأن في الإكراه شبهةً، والحدود تُدرَأ بالشبهات، **وهذا أظهر المذاهب** أما عند المالكية، فالمُفتَى به سقوط الحد إذا كان التهديد بالقتل، ووجوب الحد إذا كان دون ذلك، ويستوي عندهم المرأة والرجل في الحكم».

وهل يجري الإكراه للعلماء المتبوعين من قِبَل العامة، خلاف بين الفقهاء.

(١) المحلى (٨/ ٣٣٠) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام [١ / ٨٠] لسلطان العلماء العز بن عبد السلام (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، الناشر: دار المعارف بيروت – لبنان.

قال ابن العربي: «والإكراه المبيح لذلك هو أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمره به، فأبيح له في هذه الحال أن يظهر كلمة الكفر»(١)

❐ أنواع الإكراه

قسم العلماء الإكراه إلى نوعين:

١ - الإكراه المُلجِئ أو الكامل:

وهو الذي لا يبقى للشخص معه قدرة ولا اختيار؛ وذلك بأن يهدِّده بما يضر بالنفس أو بعضوٍ من البدن، **وحكمه أن يعدم الرضا ويفسد الاختيار**.

حكمه: هذا النوع هو المعتبر شرعًا، والتي لا تقع به الأحكام على فاعلها بل ينتفي عنه الاسم والحكم؛ لفقدان كمال الاختيار والأهلية؛ فلو أكره شخصٌ على قول كلمة الكفر وهُدد بالقتل أو إفساد عضو من أعضائه أو انتهاك حرمة أهله جاز له النطق بها، كما فُعل مع عمار بن ياسر رضي الله عنه وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣] ذكر الله هذا القيد ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في أربعة مواضع من كتابه.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

---

(١) أحكام القرآن (٥/ ١٣).

٢ - الإكراه غير الملجئ أو الناقص:

وهو التهديد بما لا يضر النفس أو العضو؛ كالتخويف بالحبس أو القيد أو الضرب الذي لا يتلف، وحكمه أنه يعدم الرضا، ولا يفسد الاختيار.

حكمه: هذا النوع من الإكراه غير معتبر شرعًا، ولا ينتفي عن فاعله الاسم والحكم.

أنواع الإكراه من حيث الوجوب والحرمة والجواز:

قال ابن عادل الحنبلي: «الإكراه له مراتب:

❐ أحدها: أن يجب الفعل المكروه عليه

كما لو أكره على شرب الخمر، وأكل الخنزير، وأكل الميتة، فإذا أكره عليه بالسَّيف فهاهنا يجب الأكل؛ وذلك لأن صون الرُّوح عن الفواتِ واجبٌ، ولا سبيل إليه في هذه الصورة إلا بالأكل، وليس في هذا الأكل ضررٌ على حيوان، ولا إهانةٌ لحقِّ الله، فوجب أن يجب؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

❐ المرتبة الثانية: أن يصير ذلك الفعل مباحًا ولا يصير واجبًا

كما لو أكره على التلفُّظ بكلمة الكفر، فههنا يباح له ذلك، ولكنه لا يجب(١).

---

(١) ومن هذا فعل بلال رضي الله عنه؛ فإنه لم ينطق بكلمة الكفر، قال ابن مسعود فيمن عُذِّب من ضعفاء المسلمين: «أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، ⇦=

❐ المرتبة الثالثة: أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم

كما لو أَكرهه إنسان على قتل إنسان، أو على قطع عضو من أعضائه، فههنا يبقى الفعلُ على الحرمةِ الأصلية»(١)

وبعد هذه المقدمة المهمة التي ذكرتُ فيها جملة من القيود والضوابط الشرعية المتممة لموضوع البحث؛ حان وقت الولوج في موضوع البحث مستعينًا بالله، طالبًا منه العون والمدد، والتوفيق والسداد، والهدى والرشاد، والوفاء بالمراد.

❁ ❁ ❁

= فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، **فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ**، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ، **وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ، أَحَدٌ**» أحمد [٦ / ٣٨٢ رقم ٣٨٣٢]، وابن ماجه [١ / ٥٣ رقم ١٥٠].

(١) اللباب في علوم الكتاب [١٢ / ١٦٦] لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي -الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى

الباب الثاني:

أنواع الشرك الأكبر الاعتقادي

الفرق بين الشرك الاعتقادي والشرك العملي(١)

لابد قبل الشروع في تفسير الشرك الاعتقادي وشعبه وأنواعه أن نفرق بين الشرك الاعتقادي والشرك العملي، وكما هو واضح فإن الشرك الاعتقادي مرجعه إلى القلب والاعتقاد والنيات، وإنما تصدر الأفعال والأقوال الشركية حسب ما وقر في القلب من العقيدة الفاسدة، فالأفعال والأقوال هي الترجمة الحقيقة المعبرة عما في القلب من الكفر المستكنِّ فيه، كما قال تعالى عن إبليس لعنه الله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

فتركُ إبليس للسجود والانقياد لأوامر الله تعالى ليس إلا لما وقر في قلبه من كفر الإباء والاستكبار، ولا يلزم من هذا أن كل عمل للجوارح يلزم منه تواطؤ القلب معه، بل إن كثيرا من أعمال الجوارح وأقوال اللسان هي بنفسها كفر سواء توافق معها كفر القلب أم لا(٢)، فالحاصل أن الكفر الاعتقادي مستقره القلب والاعتقاد.

---

(١) ينظر: الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/ ١٣٨) ط. مكتبة الرشد ـ الرياض، ط. الثالثة.

(٢) قد سبق أن ذكرت إجماع أهل العلم على هذا. ينظر (ص٧٢).

وتتنوع عبارات العلماء في التعبير عنه وعن أنواعه وأفراده.

وأما الشرك العملي فهو راجع إلى عمل الجوارح وقول اللسان كما هو معلوم في بابه

يقول الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الشرك الاعتقادي: أن يجعل لله شبيهًا أو مثيلًا أو ندًا أو كُفئا يخلق كخلق الله ويرزقه كرزقه ويُدبر معه أمر الدنيا وأمر الآخرة، كقول المجوس: إن العالم صادر عن خالقين النور والظلمة، فمن اعتقد أن مع الله ربًّا غيره فقد أشرك بالاعتقاد وجعل لله نظيرًا وشبيهًا، وقد قال الله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥] أي من يستحق أن يُسمى باسمه؟!. وقال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:٤] والكفء: هو الشبيه والنظير، ويدخل في الشرك الاعتقادي تشبيه صفات الله بصفات الخلق.

وقد قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١] فليس لله مثلٌ في أسمائه وصفاته وأفعاله.

وأما الشرك العملي: فهو صرف شيء من أعمال العبادة لله تعالى ولغيره، فمن يجعل دعاءه مشتركًا فيدعو الله ويدعو غيره، أو يرجوه ويرجو غيره، أو يخافه ويخاف غيره على حدٍ سواء، وهو خوف السر، أو يتوكل عليه وعلى غيره، أو يتوب إليه وإلى مخلوق، أو يستعيذ بالله وبمخلوق، أو يستغيث بالخالق والمخلوق، أو يستعين بالمخلوق كاستعانته بالخالق، أو يذبح لله ولغيره، أو يسجد لله ويسجد للمخلوق، وهكذا أنواع العبادة، ولا شك أن الشرك الاعتقادي أشد من العملي، ولأجل ذلك كان مُشركو العرب

شركهم في العمل لا في الاعتقاد[١]»

مسألة: ما هو حد الشرك الأكبر وما هو حد الشرك الأصغر؟

قال ابن سِعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حد الشرك الأكبر:

«إنَّ حدَّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرِفَ العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله» فكلُّ اعتقادٍ أو قولٍ أو عملٍ ثبت أنَّه مأمورٌ به من الشَّارع فصرفُه لله وحده توحيدٌ وإيمانٌ وإخلاصٌ، وصرفُه لغيره شركٌ وكفرٌ. فعليك بهذا الضَّابط للشِّرك الأكبر الَّذي لا يشذُّ عنه شيءٌ

كما أن حد الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان»[٢]

مسألة: ما حكم تعلم أحكام الشرك الاعتقادي؟

ومما ينبغي التأكيد عليه هو أن نعلم ما هو حكم تعلم أحكام الشرك الاعتقادي؟

والجواب: أن تعلَّمَ الشرك الاعتقادي كبيرَه وصغيرَه فرضُ عين بلا

---

(١) لاشك أن العرب كان عندهم شرك في توحيد الربوبية، نعم كان قليلًا يوجد في بعض أفراده، وإنما الشرك الأعظم كان في العبادة، في توحيد الألوهية، فإنه انتفى عنهم تمامًا

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد [ص ١٦]

ريب، فكما يجب على العبد أن يتعلم أركان الإيمان حتى يحققها ويقوم بها، فواجب عليه لزامًا أن يتعلم نواقضها حتى لا يقع في شيء منها، فيخرج من دائرة الإيمان وهو لا يشعر.

«فقد يرتدُّ الإنسان بقولٍ يقوله، أو بعملٍ يعمله، أو باعتقادٍ يعتقده، أو بشكٍّ يطرأ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلُّها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذَكَرَها أهل العلم في كتبهم، وسَمَّو بابها: باب حكم المرتد، فكلُّ مذهب من مذاهب العلماء، وكلُّ فقيهٍ من الفقهاء أَلَّفَ كُتُبًا - في الغالب - عندما يذكر الحدود - يذكر باب حكم المرتدّ، وهو الذي يكفر بعد الإسلام، وهذا مرتدّ، يعني أنه رَجَع عن دين الله وارتدَّ عنه»(١)

الأدلة على وجوب تعلم نواقض الإيمان الاعتقادية

الأدلة على وجوب ذلك كثيرة، أقتصر على الآتي:

١ـ قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام اشتمال كمال التوحيد على النفي والإثبات، وكلاهما يجب تعلمه، فالنفي في «لَا إِلَهَ» تتضمن العلم بنواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والعملية، والإثبات في «إِلَّا اللهُ» يتضمن العلم بشروط ولوازم ومقتضيات لا إله إلا الله.

٢ـ قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٩].

---

(١) نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٠)

فاشترط للنجاة يوم القيامة سلامة القلب من أدران الشرك والكبائر المردية.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

والظلم في الآية: هو الظلم الأكبر المخرج من الملة فعَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ: **لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾** [لقمان:١٣]»(١).

٤ ـ لا يتم إيمان عبد قط إلا باجتناب نواقض الإيمان؛ فإن هذا من أوجب الواجبات على العبد أن يتعلمه.

٥ ـ أن العمل بمقتضيات كلمة التوحيد والقيام بحقها موقوف على العلم بها؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٦ ـ أن البراءة من الكفر الاعتقادي ولوازمه وأنواعه لا تتم إلا بتعلم شعبه، والبراءة من الشرك الاعتقادي واجب، فوجب تعلم أفراده وشعبه، حتى لا يتلبس العبد بشيء منها.

---

(١) أخرجه البخاري [٤ / ١٤١ رقم ٣٣٦٠] بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾، ومسلم [١ / ١١٤ رقم ١٤٢] باب صدق الإيمان وإخلاصه

٧ ـ تعلق الموالاة والمعاداة على معرفة نواقض الإيمان الاعتقادية.

٨ ـ خفاء هذه النواقض على كثير من الناس، ولهذا وجب التنبيه عليها وتعلمها وإظهارها حتى يحذره المكلفون.

٩ـ انتشار هذه النواقض بين المسلمين، عياذا بالله، حتى صارت عند بعضهم لا تستنكر!

غوائل الكفر ومفاسده

للكفر غوائل ومفاسد ومضار تلحق العبد في دنياه وفي قبره وفي آخرته، وما من ذنب هو أشد ضررًا من الكفر والشرك عياذًا بالله تعالى؛ فإن الشرك أعظم ذنب يقترفه العبد

ففي الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(١).

فمن مضار الكفر وغوائله:

١. أن الشرك لا يغفره الله تعالى للعبد إذا مات عليه ولم يتب منه قبل موته

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦/ ١٨ رقم ٤٤٧٧) بَاب قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ومسلم [١ / ٩٠ رقم ٨٦] باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها.

٢ـ أن الشرك محبط لجميع حسنات العبد إذا مات عليه من غير توبة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٤٧].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧].

وقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة:٦٩].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وجه الدلالة: أن الشرك ـ بل وأي ناقض من نواقض الإيمان ـ يحبط جميع الأعمال الصالحة بالكلية، فلا ينتفع بها العبد عياذًا بالله، بل يتحسر يوم القيامة حين يرى أعماله كلها هباء منثورًا لا قيمة لها ولا وزن.

٣ـ أن صاحبه مخلد في النار عياذا بالله تعالى إن مات عليه من غير توبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٦].

٤. المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين، فلا يناله خير من غيره عياذا بالله تعالى

قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء:١٠٠].

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣].

وهذه الشفاعة ساقطة في حق الكافر مهما كانت رتبة الشافع له؛

فهذا نوح ﷺ لم يقبل الله شفاعته في ابنه الكافر؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود:٤٥-٤٦].

وهذا خليل الرحمن إبراهيم ﷺ لم يقبل الله شفاعته في أبيه؛ ففي الصحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ**

تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»(١)

وهذا نبينا ﷺ لم يقبل الله تعالى شفاعته في المنافق عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين؛ قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون:٦].

والأمثلة على هذا كثيرة في كتاب الله تعالى.

واعلم علَّمك الله الخير:

أنه لا يجوز الدعاء للكافر الأصلي؛ إذا مات على الكفر، ولا يُترحم عليه ولا يُثنى عليه، ولا يُقال: فلان خدم الإنسانية، ولا نحوا من هذا؛ فإن الله لعن الكافرين وذمهم في الدنيا والآخرة، فالدعاء لهم لا قيمة له ولا فائدة منه؛ بل هو عبث ولعب وتضيع وتمييع لمعاني الولاء والبراء؛ فقد أُحكمت الشريعة واتفقت النصوص على المنع من ذلك، ولو أن أهل الأرض صالحهم وطالحهم، بل وأهل السموات جميعًا قاموا في صعيد واحد يدعون ويتضرعون ويشفعون في كافر مات على كفره **ما قَبِل الله منهم ولا استجاب لهم**؛ فإن الله قضى قضاء لا يُخلفه أن الجنة حرام على الكافرين؛ قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ رقم ٣٣٥٠) بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة:٣٦]، وقال فيهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال على لسانهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء:١٠٠].

وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٥. الكافر لا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤].

وهذا مجمع عليه بين كل المسلمين سلفًا وخلفًا، أنَّ من تحقق فيه الكفر البواح فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

٦. استباحة الدم والمال[١]

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

---

(١) وهذا الاستباحة ليست لأي أحد من الرعية، بل هي منوطة بولي الأمر، بشروط وضوابط شرعية معلومة في بابها.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣].

٧ـ يجب أن يفرق بينه وبين زوجته فلا يقربها، ولا تكن مسلمةٌ تحت كافر

قال تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١].

وجه الدلالة: أن الله تعالى حرم على المسلم أن يتزوج كافرة مشركة إلا أن تكون كتابية(١)، وكذلك حرم على المسلمة أن تتزوج كافرًا كتابيًا أو غيره؛ لئلا يكون للكافر عليها سبيلٌ؛ فالمسلمة أبدا لا تكون تحت كافر؛ فإن تزوجته فهو زنىً، وما ولدت منه فهو ابن زنى عياذًا بالله تعالى.

---

(١) الكتابية: هي اليهودية أو النصرانية؛ قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥] وهذه الإباحة الشرعية ليست على الإطلاق؛ بل لها شروط وضوابط ذكرها في كتابه، منها: أن تكون محصنة لفرجها غير باغية ولا زانية، ومنها: أن تكون كتابية فلا يصح من ملحدة، ومنها: أن لا يؤثر ذلك على نساء المسلمين، ومنها: ألا يكون الزواج منها في دار الحرب، ومنها: أن يبغضها على كفرها، إلى غير ذلك من الشروط والضوابط.

٨. تجب البراءة منه ومن كفره وشركه

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

وجه الدلالة: أن إبراهيم ﷺ تبرأ من أبيه وقومه لما ظهر له كفرهم وعدواتهم لله تعالى، وإصرارهم على الشرك.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣].

وهذه البراءة والمعاداة لا بد أن تكون ظاهرة ومعلومة بلا لجلجةٍ ولا استحياء ولا تقيةً؛ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

٩. يجب أن يُفضح المرتد بكفره ويحذر من شره؛ حتى لا يغتر به أحد

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى

قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:٦٤].

فأخبرنا سبحانه أنه بيَّن لنا أحوال الكفار والمنافقين وسبيلهم حتى نعلمه وحتى يُفضحوا به ليحذرهم من يغتر بهم؛ فهذا من أوجب الواجبات على العلماء وأهل العلم أن يبينوا للناس أعداءهم، وأن يفضحوا العملاء والمنافقين والمبتدعة المارقين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران:١٨٧] فهذا من الجهاد الواجب على العلماء أن يبينوا الدين للناس ولا يكتمونه، وأن يبينوا لهم أيضًا من زاغ عنه ومرق منه وكذب عليه؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾ [الأنفال:٤٢]، وهذا البيان من أعظم أبواب النصيحة التي فرضها الله على كل عالم وقادر عليها؛ ففي الصحيح «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

١٠ ـ أن يسير الشرك يضرُّ، وأما كثيرُ المعاصي فإنه يضر العبد، لكن ليس كضرر الشرك

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ سَلْمَانُ: «**دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ**»، قَالُوا: وَمَا الذُّبَابُ؟، فَرَأَى ذُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: «**هَذَا الذُّبَابُ**»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟، قَالَ: «**مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرِّبَا لِصَنَمِنَا قُرْبَانًا قَالَا: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، قَالُوا: قَرِّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا**

(١) مسلم (١/ ٧٤ رقم ٩٥) بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ.

تَرَى؟، قَالَ أَحَدُهُمَا: لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، فَقُتِلَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْآخَرُ: بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَأَخَذَ ذُبَابًا فَأَلْقَاهُ عَلَى الصَّنَمِ فَدَخَلَ النَّارَ»(١)

١١ ـ يجب تعيين التوبة من الشرك الأكبر، وكل ما كان سببًا في كفر العبد فلابد من تعيين التوبة له

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠] فاشترط في توبتهم البيان، وهو الاعتراف بخطئهم وأنهم كانوا خاطئين

١٢ ـ الشرك سبب لهلاك الشعوب والقرى وذهاب بركاتها

قال تعالى: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ:١٦-١٧].

وجه الدلالة: أنهم «كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد»(٢)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٦ / ٤٧٣ رقم ٣٣٠٣٨]، والبيهقي في شعب الإيمان [٩ / ٤٥٧ رقم ٦٩٦٢]، والظاهر: في حال من دخل النار إما أن يكون العذر بالإكراه غير معفوٍّ عنه في الأمم السابقة، وإما أن يكون قد فعل راضيًا من قلبه بالشرك والكفر؛ فلذلك استحق النار.

(٢) تفسير ابن كثير [٦ / ٥٠٤]

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ [ق:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

وجه الدلالة: أن الله عاقبهم بكفرهم وإعراضهم عن اتباع رسوله ﷺ والإيمان به أعقبهم بنزع الأمن والسعة منهم وأبدلهم لباس الخوف والجوع.

١٣ ـ حصول التفرق والاختلاف بسبب الشرك وما يترتب على ذلك من ضعف المجتمعات وهزيمتها

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وجه الدلالة: أن الشرك موجبٌ للاختلاف والتشرذم وقطع صلات المجتمعات وتمزيقها، فالشرك بكل وسائله وأسبابه هو المعول القاصم للمجتمعات، والخنجر المسموم الطاعن في ظهرها؛ والتوحيد بعكس ذلك تمامًا فهو مغناطيس قلوب الناس، به تتألف القلوب، وتجتمع النفوس،

وتتوافق العقول، وتذوب في بحره كلُّ جِيَفِ الجاهلية والعصبيةُ المقيتةُ والعنجهيةُ العَفِنةُ؛ قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

١٤. في الشرك انتكاسة للفطرة السليمة والعيش كالبهائم التي لا تعقل

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢].

وجه الدلالة: أن الله أكرم عباده بعبادته وحده لا شريك له؛ فإن حادوا عن سبيله وأشركوا في عبادته آلهة أخرى، صاروا أضل من البهائم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

١٥ـ الشرك سبب في تضييق العيش وإيقاع الضنك

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

وهذه المعيشة الضنك تلحق المشرك في الدنيا وفي قبره وفي الآخرة، فهي ملازمة له لا تفارقه جزاء وفاقًا، والضنك يكون في القلب أصالة لا يخلو منه قلب مشرك؛ فهو مضطرب متذبذب، تعيث فيه ديدان الخوف والشكوك؛ فقلوبهم قبور متحركة مظلمة لا نور فيها ولا ضياء؛ وكل ما يُعطاه المشرك من النعيم الظاهر في الأموال والأولاد يكون سببًا في عذابه ونكاله وتعاسته؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٨٥]، وقد يكون الضنك في الدنيا وزينتها فهو فقير حسير منكوس الأحوال، قد أذاقه الله ذلَّ الدنيا وهوانها قبل ذلِّ الآخرة وحسراتها وعذابها.

١٦ـ الشرك سبب للحيرة والتيه والزيغ وضيق الصدر والحزن والكآبة والأمراض النفسية

قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وما الأمراض النفسية التي تفتك بالمشركين إلا من جراء لهيب براكين تغلي في أجوافهم؛ وينتهي المطاف بهم بالانتحار أو الجنون المطبق، وإذا أردت أن تتعرف على برهان هذا فاستمع إلى شهادة مَن دخل في الإسلام كيف يبكون من شدة السعادة والفرح؛ وأكثرهم يعترف بأنه أزاح عن قلبه جبالًا من الهموم والأحزان والاضطرابات النفسية بمجرد نطقه بالشهادتين.

١٧. تسليط الشياطين ومردة الجن على المشركين

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ [النساء:٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٥].

وهذا التسليط للشياطين على المشرك سنة كونية قدرية، فالشيطان صاحبَه وساحبَه، يسومه سوء العذاب، ويبذل له كل أسباب الشقاء في ثوب الناصح الأمين، ويزين له الباطل حتى يغشاه المسكين ثقةً بموعود الشيطان، وهجرًا لموعود الرحمن؛ ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٨]، فيا لها من رفقة سوء وصحبة إثم؛ فلا يزال به

يؤزُّه على الشر والموبقات والمعاصي أزًّا، ويدفعه إلى التقحم فيها دفعًا؛ حتى يَزُجَّ به في معترك الشرك والكفران حتى يوقعه في أوحاله؛ وحينئذ يتبرأ منه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر:١٦]، وأما البراءة الكبرى فيوم القيامة في آتون النيران: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

١٨. الشرك أعظم الظلم والجوْر بين العبد وبين ربه تعالى

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

١٩. تعجيل عذاب الكافر في الدنيا بسبب شركه وكفره

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨].

وهذا العذاب بعضه حاصل لهم أيضًا بأيدي المؤمنين؛ كما قال تعالى:

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١٤].

٢٠ ـ تعذيب الكافر في قبره حتى تقوم الساعة

قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وجه الدلالة: أنهم يعرضون على النار في قبورهم فيرون مقاعدهم في النار غدوا وعشيا، وهذا ليس فقط في آل فرعون؛ بل هو عام في كل مشرك ومنافق، وفي الحديث عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)

٢١ ـ ما يحصل للمشرك من سوء الظن بربه وما يترتب على سوء الظن من عاقبة السوء

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح:٦].

وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٢ / ٩٩ رقم ١٣٧٩] بَابُ الْمَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،) ومسلم [٤ / ٢١٩٩ رقم ٢٨٦٦] باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه

وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ أي بإيصال الهموم إليهم بسبب علو كلمة المسلمين، وبأن يسلط النبي ﷺ قتلًا وأسرًا واسترقاقًا. ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ يعني ظنهم أن النبي ﷺ لا يرجع إلى المدينة، ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية، وأن المشركين يستأصلونهم»(١).

٢٢. هزيمة المشركين وخسارتهم وانقطاع دابرهم

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال:١٢].

وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:١٤].

وجه الدلالة: أن الله أخبرنا سبحانه أنه يعذب الكافرين المشركين بما يجري على أيدي المؤمنين وبما يقع لهم من القتل والإزهاق والتشريد في الأرض وسلب الأرض والمال، وكذلك يعذبهم بملائكته التي تساند المؤمنين في قتالهم؛ **فعن ابن عباس قال**: «أمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مُجَنِّبة، وميكائيل في خمسمائة مُجَنِّبة».

وعنه قال: «بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوتَ الفارس يقول: «أقدم حَيْزُوم» إذ

(١) تفسير القرطبي [١٦ / ٢٦٥]

نظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيا قال: فنظر إليه، فإذا هو قد خُطِم أنفه، وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**صَدقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّماءِ الثَّالِثَةِ**»، فقَتَلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين»(١)

٢٣. الشرك سبب في إذلال صاحبه

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩].

وجه الدلالة: أن الله ضرب مثلا للشرك والتوحيد فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ أي: عبدًا ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصًا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي: هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾؟ لا يستويان.

كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلصه اللّه من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، فـ ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ

(١) ينظر : تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠) والحديث أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٤) بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على تبيين الحق من الباطل، وإرشاد الجهال. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وجه الدلالة: قال الحسن والسدي: المعنى يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين. فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

وجه الدلالة: أن الله يخبرنا على لسان الجن أنهم يقولون: «كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، إي: إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها. يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة»(٣).

---

(١) تفسير السعدي [ص ٧٢٣]

(٢) تفسير القرطبي [٤ / ٢٨٢]

(٣) تفسير ابن كثير [٨ / ٢٣٩]

٢٤ـ من أخطار الشرك: سرعة رجوعه وقوة افتتان الناس به

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٥- ٣٦].

وجه الدلالة: خوف إبراهيم عليه السلام ـ وهو إمام التوحيد وخليل الرحمن ـ على نفسه وعلى ذريته من بعده أن يرجعوا إلى عبادة الأوثان والأصنام؛ معللًا ذلك بشدة فتنتها وأنها كانت سببًا في فتنة كثير من الناس

وفي الصحيح عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ**»(١).

وجه الدلالة: رجوع الشرك وعبادة الأوثان والأصنام إلى جزيرة العرب مرة أخرى، وافتتنان الناس بها خاصة النساء حتى يزدحمن عليه، نسأل الله السلامة والعافية.

٢٥ـ الشرك من أعظم أسباب الوساوس والمخاوف وعدم الأمن والاستقرار النفسي

فالمشرك متعلق بكل شيء ليدفع ضره وينفعه فهو متشبث متعلق بكل ما يحقق له السعادة والأمان، وهذا لا يتم من دون الله تعالى

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

---

(١) البخاري [٩ / ٥٨ رقم ٧١١٦]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وصف المشرك بالحيران لشدة اضطرابه وكثرة تردده وخذلانه، وبضده المؤمن فإنه يكون في أحسن حال من سكون النفس وطمأنينة الفؤاد وراحة القلب بسبب ما وقر فيه من التوحيد والذكر والأنس بالله تعالى.

وقال سبحانه عن المنافقين: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٣].

وجه الدلالة: اضطراب حال المنافقين، فهم دائما مترددون في إيمانهم، قد امتلأت قلوبهم خوفا وهلعًا ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤].

وفي الصحيح قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَهَذِهِ تَتْبَعُ، أَمْ هَذِهِ**»(١).

٢٦ ـ خسران المشرك للدنيا والآخرة، فإن عبادة غير الله باطلة وهي هباء لا نفع فيها، بل الضرر كله منها

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ

(١) أخرجه مسلم [٤ / ٢١٤٠ رقم ٢٧٨٤] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، وأحمد [٩ / ٩٩ رقم ٥٠٧٩]

أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج:١١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:٣٩].

وجه الدلالة: أن الله شبه أعمال المشركين بالسراب الذي لا ينتفع العبد به قط، مع شدة حاجته إلى الماء، وشدة عطشه؛ فإذا جاءه لم يجده شيئا فيجتمع عليه من الحسرات ما يزيده عذابًا فوق عذابه.

وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨].

هذه جملة من غوائل ومفاسد الشرك عافانا الله منها وجميع المسلمين

وبالجملة: فمفاسد الشرك وغوائله كثيرة جدًا، وما ذكر فيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

مسألة في الفرق بين الشرك والكفر(١)

من أهل العلم من فرق بين الشرك والكفر، ومنهم من لم يفرق بينهما.

وعلى القول بالتفريق: فالشرك: اسم خاص لكل من أشرك مع الله تعالى أحدا في نوع من أنواع العبادة الظاهرة أو الباطنة، سواء الواقع في توحيد الربوبية أو توحيد الألوهية أو توحيد الأسماء والصفات.

فالشرك إذن في الربوبية: اعتقاد وجود ندٍّ مع الله وشريك له في أفعال الربوبية كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضر وعلم الغيب... وهكذا.

والشرك في الألوهية: صرف عبادة أو أكثر لغير الله كمن يستغيث بالأموات أو الغائبين أو الجن أو الأصنام أو النجوم ونحو ذلك، أو يذبح لهم أو ينذر لهم... وهكذا.

والشرك في الأسماء والصفات: هو إلحاق اسم من أسمائه الحسنى بالمخلوق أو وصف المخلوق بما يتصف به سبحانه وتعالى؛ كالقيومية أو الخلق أو الشفاء من السقم أو علم الغيب.... وهكذا.

---

(١) انظر: معجم الفروق اللغوية للعسكري [ص ٣٠٩]

وأما الكفر فمعناه في الأصل الجحود والستر، فكل من جحد الرب وأنكر ذاته أو أفعاله أو أسماءه وصفاته أو أنكر الرسالة أو أنكر أصلًا من أصول الإيمان فهو كافر كالملحدين وأهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف:١٠٥].

والكفر أنواع منه تكذيب واستكبار وشك ونفاق وغيره وكل هذه الأنواع تعود إلى معنى التكذيب والإنكار.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الكفر هو الشرك بلا فرق.

ولا شك أن القول الأول أليق، والله أعلم.

الكفر أعم من الشرك

لا شك أن الكفر أعم من الشرك.

فالشرك جزء من الكفر، فالكفر خصال وشعب كثيرة منها الشرك ومنه تكذيب الأنبياء، وإنكار معلوم من الدين بالضرورة كالمعاد أو الملائكة وجحد الواجب واستحلال المحرم وعدم الحكم بالشريعة، والامتناع عنها، أو حرب الدين أو الاستهزاء بالله أو بالدين أو بغضه وبغض الرسول ﷺ، وغير ذلك من ألوان الكفر وخصاله التي ليست بشرك.

وهل الكفر والشرك من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت؟

هذا القول ليس ببعيد، فإن له وجهًا قويًا في الحجة والنظر

فلفظ الشرك إذا أطلق يشمل الكفر، ولفظ الكفر إذا أطلق يشمل الشرك، كلفظ الإسلام والإيمان، والفقير والمسكين وغير ذلك

ودليل هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

فكفر أهل الكتاب من جهة الشرك، ومن جهة الإباء والاستكبار والتكذيب والجحود بالرسالة ونحو ذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣] فلفظ الكفار هنا شامل لكل ما هو غير مسلم سواء كان سبب كفر الشرك في العبادة أو أي نوع آخر من أنواع الكفر.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١].

فالشرك: ليس خاصًا بمن أشرك مع الله إلها آخر في عبادته، إنما هو عام في كل كافر، فلفظ الشرك هنا شامل للمشرك والكافر على حد سواء.

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:٥].

وهذا عام أيضًا في كل مشرك وكافر.

قال الشيخ ابن باز: «ويطلق على الكافر أنه مشرك وعلى المشرك أنه كافر كما قال الله:

﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال جَلَّوَعَلَا في سورة فاطر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ [فاطر:١٣-١٤] فسمى دعاءهم غير الله شركا في هذه السورة، وفي سورة قد أفلح المؤمنون سماه كفرًا.

وقال سبحانه في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣] فسمى الكفار به كفارا وسماهم مشركين؛ فدل ذلك على أن الكافر يسمى مشركًا، والمشرك يسمى كافرًا، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**» أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وقوله ﷺ: «**الْعَهْدُ الذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم الصَّلاةُ فَمنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١)

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٩/ ١٧٤)

أنواع الشرك الأكبر الاعتقادي

النوع الأول:

الشرك في الربوبية: إنكار وجود الله تعالى

اعلم ـ علَّمك الله الخير:

أن توحيد الربوبية من أهم مباحث العقيدة؛ ذلك أنه متعلق بأصل الأصول، وأوجب الواجبات وهو الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وحده ربًّا، وتفرده بالخلق، والرزق، والتدبير.

وتوحيد الربوبية: هو الاعتقاد الجازم بانفراد الله تعالى بأفعال الربوبية، كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضر وعلم الغيب وغير ذلك.

وقد يعبر عنه بتوحيد الربوبية كما سبق، أو بالتوحيد العلمي الخبري، أو بتوحيد المعرفة والإثبات، أو بالتوحيد الاعتقادي، وكلها مرادفات لمسمى واحد.

وفي اللغة: تطلق كلمة الرب على معانٍ كثيرة وهي:

المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم

الأدلة على توحيد الربوبية

الأدلة على توحيد الربوبية كثيرة جدًّا فمنها على سبيل الاختصار(١):

أولاً: دلالة الفطرة:

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين [١ / ٥٧] الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ، وإقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين [١ / ١٨٤]، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها [ص ١٢] لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، وتعريف غير المسلمين بالإسلام [ص ٣٧] لمحمد بن إبراهيم الحمد، وشرح ثلاثة الأصول - لسليمان اللهيميد [ص ٦٠]، وحقيقة المثل الأعلى وآثاره [ص ٦٩] لعيسى بن عبد الله السعدي الغامدي

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٢ / ٩٥] بَابٌ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ، ومسلم [٤ / ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨] باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين

❐ ثانيًا: دلالة الخلق

فما يعلمه كل عاقل بالمشاهدة والضرورة العقلية من وجود المخلوقات بعد العدم دليل قاطع على وجود الخالق وتوحيده، وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدَث للمحدِث، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٦]، وقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٨].

❐ ثالثًا: دلالة العقل

وهي دلالة واضحة المعاني والدلائل في كل ذرة من ذرات الكون؛ فيستحيل عقلًا: أن توجد هذه المخلوقات صدفة بضربة حظٍّ، ويستحيل عقلًا أن توجد بلا موجد خالق لها، ويستحيل عقلًا أن تخلق نفسها فإنها حادثة مخلوقة، ويستحيل عقلًا أن تنتظم حياتها وشؤونها بلا مدبر لها، وكل حادث مخلوق لابد له من محدِث خالق، ويستحيل عقلًا أن تخلق غيرها؛ لضعفها وعجزها عن ذلك، ويستحيل عقلًا أن تتعرف على ما ينفعها أو يضرها بلا معلم ولا هادٍ يهديها إلى ما تقوم به حياتها.

❐ رابعًا: دلالة الأنفس

فقد بثَّ الله تعالى في النفوس آيات عجيبة في خلقها ورزقها وتدبير شؤونها تعجز العقول عن إدراكها، وما زال علماء الطب يكتشفون في الأنفس

أشياء لم يطلع عليها مَنْ قبلَهم، ويأتي من بعدهم يكتشفون ما لم يقف عليه مَنْ قبلَهم وهكذا.

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

❐ خامسًا: دلالة الآفاق

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

❐ سادسًا: دلالة الحس

وأما دلالة الحس على وجود الله، فإن الإنسان يدعو الله عَزَّوَجَلَّ، يقول: يا رب! ويدعو بالشيء، ثم يستجاب له فيه، وهذه دلالة حسيةٌ، هو نفسه لم يدع إلا الله، واستجاب الله له، رأى ذلك رأي العين. وكذلك نحن نسمع عمّن سبق وعمّن في عصرنا، أن الله استجاب له.

كذلك يدخل في هذه الدلالة: المعجزات التي جاءت بها الرسل والتي تراها كل أمة أرسل لها رسول فتكون برهانًا على تصديق الرسول وعلى مثلها يؤمنون، وما من نبي إلا وقد جاء بمعجزات تؤيد صدقه ورسالته.

❐ سابعًا: دلالة الشرع

فلأن ما جاءت به الرسل من شرائع الله المتضمنة لجميع ما يُصلح الخلقَ يدل على أن الذي أرسل بها ربٌّ رحيمٌ حكيمٌ، ولا سيما هذا القرآن المجيد الذي أعجز البشر والجن أن يأتوا بمثله.

ولأنه يستحيل عقلًا وحسًّا أن يخرج مصلحون (الأنبياء والرسل) في الأمم، لم يرَ أحدهم الآخر، قد تباعدت الأزمنة بينهم، مختلفو الأجناس والبلدان واللغات، يتفقون على أفكار واحدة وعبادات واحدة في أصولها ومنهج عقديٍّ واحد في مجمله = فيستحيل أن يكون هؤلاء كذابين أو أنهم جاءوا بهذه الشرائع من عند أنفسهم.

وبالجملة فإن توحيد الربوبية أصل الأصول وأوجب الواجبات الشرعية والعقلية والحسية.

الشرك في الربوبية

إن إنكار وجود الرب تعالى هو أصل الإلحاد، وعلى هذا الأصل تفرعت كلُّ أفكاره وأصوله، قال فولتير: «إنَّ فكرة التألُّه إنما اخترعها دُهَاة ماكرون، من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء»(١).

وثمة عدة طوائف أنكرت وجود الله تعالى، على رأسها:

١. النمرودية

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ

(١) كتاب الدين للدكتور عبدالله دراز (ص ٨٠)

قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

والمقصود في الآية هو ملك بابل: نمرود بن كنعان

قال مجاهد: «وَمَلَكَ الدُّنْيَا مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ فَالْمُؤْمِنَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَذُو الْقَرْنَيْنِ. وَالْكَافِرَانِ: نُمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ وَبُخْتَنَصَّرُ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

«وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَيْ: بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٨] أَيْ: فِي وُجُودِ رَبِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ إِلَهٌ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ بَعْدَهُ فِرْعَوْنُ لِمَلَائِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨] وَمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ الْغَلِيظِ وَالْمُعَانَدَةِ الشَّدِيدَةِ إِلَّا تَجَبُّرُهُ، وَطُولُ مُدَّتِهِ فِي الْمُلْكِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ فِي مُلْكِهِ»(١)

ومثل النمرود كثيرون الذين آتاهم الله الملك ومكن لهم في البلاد فطغوْا وبغوْا ونسبوا لأنفسهم صفات الربوبية، وطالبوا الناس وحضُّوهم على عبادتهم من دون الله تعالى، وأكرهوهم على تعظيمهم وإظهار الخوف والعبودية بين أيديهم، فهكذا حال كثير من ضعاف النفوس سخاف العقول ممن اجتمع لهم الملك والمال والجاه تحملهم نفوسُهم الخبيثة وعقولهم

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٦)

السقيمة على ادعاء الربوبية، أو مطالبة شعوبهم بالانحناء لهم وتعظيمهم وطاعتهم المطلقة، عياذا بالله تعالى.

٢ـ الصابئة عباد الشمس والقمر ومثلهم من يعتقدون في تأثير الكواكب والنجوم

وهم في الماضي: كقوم إبراهيم عليه السلام وقد ناظرهم وجادلهم في الله تعالى، كما حكى الله عنه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

وهذا كان من إبراهيم عليه السلام في مقام المناظرة والمجادلة، لا على الحقيقة وهو ترجيح غير واحد من أهل العلم

«وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، هَلْ هُوَ مَقَامُ نَظَرٍ أَوْ مُنَاظَرَةٍ؟

فَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ مَقَامُ نَظَرٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ مُسْتَدِلًّا بِقَوْلِهِ: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ...﴾ [الأنعام:٧٧].

وَالْحَقُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاظِرًا لِقَوْمِهِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ بُطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ وَالْأَصْنَامِ»(١).

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٢)

وفي الحاضر: من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء.

ومن هؤلاء الذين يتتبعون الأبراج ويقولون – رجمًا بالغيب – إذا وُلدَ فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا – فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعايات تقول: من شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

وهؤلاء ـ للأسف الشديد ـ صار لهم ظهورٌ ووجودٌ على شاشات الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي مستعلنين بذلك لا مستخفين، ومن هؤلاء أيضًا قارئو الفنجان والكف، وضاربو النقش على التراب وغير هؤلاء ممن شركهم بعلم النجوم وتأثير الكواكب ومنازلها

٣.الفرعونية:

ذكر القرآن الكريم طوائف من الكفار، فكان أعلاهم كفرًا فرعون لعنه الله.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢١-٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤].

ففرعون ينكر وجود الله تعالى ولم يكن سؤاله عن الماهية «وَمَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ الْمَنْطِقِ وَغَيْرِهِمْ؛ أَنَّ هَذَا سُؤَالٌ عَنِ الْمَاهِيَّةِ، فَقَدْ غَلِطَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُقِرًّا بِالصَّانِعِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنِ الْمَاهِيَّةِ، بَلْ كَانَ جَاحِدًا لَهُ بِالْكُلِّيَّةِ فِيمَا يَظْهَرُ، وَإِنْ كَانَتِ الْحُجَجُ وَالْبَرَاهِينُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ»(١)

٤.الدهرية

والدهرية هي صنو الدعوة الإلحادية المعاصرة

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

«يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية:٢٤].

أَيْ: مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكِرُونَ لِلْمَعَادِ، وَيَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الْإِلَهِيُّونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ الْبُدَاءَةَ وَالرَّجْعَةَ، وَيَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ الْمُنْكِرُونَ لِلصَّانِعِ الْمُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٨)

وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَتَنَاهَى، فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ، وَلِهَذَا قَالُوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤] أَيْ: يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ»(١).

٥. القائلون بقدم العالم(٢)

عقيدة القول بقدم العالم، عقيدة كثير من الفلاسفة والمناطقة الزنادقة، وهي من أشد العقائد مناقضة لمقام الربوبية لربنا جل جلاله

«فالقول بقدم العالم من البدعة المنكرة التي أحدثها الفلاسفة المتأرجحون بين شريعة الرحمن وزندقة اليونان، تناقِض توحيد الربوبية بشكل واضح، إذ حقيقتها إنكار وجود الصانع، الخالق للكون، المتقدم عليه، كما جاء في الحديث: «كانَ اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره، وكانَ عرشُه على الماءِ».

ومعناه عندهم أن العالم ما زال موجودًا مع الله تعالى، ومعلولًا له، ومساوقًا له مساوقة المعلول للعلة، غير متأخر عنه في الزمان.

ويتضمن هذا القول أن الله تعالى علة تامة مستلزمة للعالم، والعالم متولد عنه تولدًا لازمًا بحيث لا يمكن أن ينفك عنه.

والله عَزَّوَجَلَّ قد أكذبهم هذه العقيدة الباطلة تمامًا

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٨)

(٢) ينظر: نواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص ٩٨)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٦٥)، الصفدية لابن تيمية، تهافت الفلاسفة للغزالي (ص ٧٤).

فإن الله تبارك وتعالى قد أخبرنا أنه ابتدأ خلق العالم العلوي والسفلي بعد أن لم يكن شيءٌ قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

وهذا المعنى قد ورد في آيات كثيرة جدًّا من كتاب الله تعالى: أنه أنشأ السموات والأرض بعد أن لم تكن شيئًا، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا. يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا»(١).

والقول بقدم العالم قول باطل عقلًا وشرعًا، لذلك أجمعت طوائف الملل كلها على بطلانه، **كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «القول بقدم العالم قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه، فليس أهل الملة وحدهم تبطله، بل أهل الملل كلهم، وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف المشركين: - مشركي العرب، ومشركي الهند وغيرهم من الأمم، وجماهير

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [٣ / ٢١١رقم ١٥٥٩] بإسناد جيد.

أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدثٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء»(١).

٦. الاتحادية الحلولية القائلون بوحدة الوجود

هي عقيدة غلاة الصوفية وهي قائمة على أن الله والوجود شيء واحد غير منقسم، وأن وجود هذا العالم هو عين وجود الله وهو حقيقة وجود هذا العالم، فليس عندهم رب وعبد ولا مالك ومملوك ولا راحم ومرحوم ولا عابد ولا معبود، فالعابد هو نفس المعبود والرب هو العبد - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

أو بعبارة أبسط: «اعتقاد كون الوجود هو عين الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيؤمن أصحاب هذا المذهب أن الله عَزَّوَجَلَّ متحدٌّ بالمخلوقات جميعها، بحيث أصبح الوجود واحدا وليس وجودا متعددا، ويسمون من يؤمن بهذه العقيدة «موحدا»، وهو في الحقيقة أبعد ما يكون عن التوحيد

ومن الطّرائف في الرّدود على أهل وحدة الوجود ما ذكره شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تناقضهم: «ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء: من قال إِنَّ في الكون سوى الله فقد كذب. فقال له آخر: فمن الَّذي كذب؟ فأفحمه»(٢)

وهذا العقيدة باطلة بإجماع العقلاء والعلماء، لم يختلفوا في أنها عقيدة كفر وشرك، ودعوا إلى محاربتها ومكافحتها؛ لما تشتمل عليه من إلغاء للتوحيد الحقيقي الذي هو لب دين الإسلام وخلاصته.

---

(١) مجموع الفتاوى [٥ / ٥٦٥]

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٠٥)

والأدلة على بطلانها في الكتاب والسنة والعقل لا تعد ولا تحصى

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«القول أن وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى، هذا منتهي الإلحاد، وهو مما يُعلم بالحس والعقل والشرع أنه في غاية الفساد، ولا مخلص من هذا إلا بإثبات الصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات»(١)

وممن نظر لهذه العقيدة ونشرها وأنشدها في أشعار: ابن عربي الصوفي، والحلاج وأبو الوليد البسطامي وابن الفارض وغيرهم

واعلم أن «حقيقة مذهبه ـ يعني ابن عربي وأمثاله ـ أنّ وجود الكائنات – حتى وجود الكلاب والخنازير، والأنتان والعَذِرات والكفار والشياطين– هي عين وجود الحق، وأنَّ أعيان الكائنات ثابتة في القِدم، لم يخلقها الله ولم يُبدعها، بل ظهر وجودُه فيها، ولا يمكن أن يظهر وجوده إلا فيها، فهي غذاؤه بالأحكام، وهو غذاؤها بالوجود، وهو يعبدُها وهي تعبده.

وأن عين الخالق هو عين المخلوق، وعينُ الحق المُنزَّه هو عين الخلق المُشبَّه، وأن الناكح هو المنكوح، والشاتمُ هو المشتوم، وأن عُبَّادَ الأصنام ما عبدوا إلا الله، ولا يمكن أن يُعبد إلا الله.

وأن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، أي: حَكَم وقدَّر،

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨٣) لشيخ الإسلام، الناشر: دار الكنوز الأدبية – الرياض، سنة النشر: ١٣٩١.

وما حكم الله بشيء إلا وقع، فما عُبِد غير الله في كلّ معبود. وأن عُبَّاد الأصنام وقع تقصيرهم من حيث عبدوا بعض المجالي الإلهية، ولو عبدوا كلَّ شيءٍ لكانوا عارفين كاملين، وأنَّ العارف الكامل يعلم ما عَبَد وفي أيِّ صورة ظهر حتى عُبِد، وأن نوحًا ﷺ أثنى على قومه بلسان الذمّ، وأن أعيان المخلوقات هي نفس الخالق، وأن موسى ما عَتَبَ على هارون لمَّا ذمَّ قومه على عبادة العجل إلا لضيق هارون حيثُ لم يعرف أنهم إنما عبدوا الله!

وأن السحَرَة عرفوا صدق قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

إلى أنواعٍ من هذه المقالات التي لا يعتقدها المسلمون ولا اليهود ولا النصارى ولا الصابئون ولا المشركون، وإنما هي قول المُعطِّلة الذين ينكرون وجود الصانع، وينكرون أن الله رب العالمين، وأنه خالق الخلق، وهو حقيقة قول فرعون والقرامطة الباطنية الجاحدين لربّ العالمين»(١)

٧.١ المجوس:

قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزلي، والظلمة محدثة.

فجعلوا للكون خالقين مع الله تعالى، معتقدين فيهما صفات الربوبية من الخلق والرزق والتدبير والنفع والضر...الخ

(١) جامع المسائل - المجموعة السابعة (١/ ٢٤٧-٢٤٨)- الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ

٨. الثنوية: (أصحاب الاثنين الأزليين):

الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخبر والمكان والأجناس، والأبدان والأرواح ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى وإن قالوا بتساويهما في القدم.

يقول العقاد[١] عن عقيدة زرادشت في الألوهية: «وقد حرم «زرادشت» عبادة الأصنام، وقدس النار على أنها هي أصفى وأطهر العناصر المخلوقة لا على أنها هي الخلاق المعبود.

والمجوس يؤمنون بوجود الملائكة، وترى «الكيومرثية» منهم أن الملائكة تقوم بدور الوساطة بين معسكرى النور والظلمة حين تقوم الحرب بينهما فتتم المصالحة.

والمجوس يؤمنون ببعض الرسل وتختلف فرقهم في التحديد:

فالكيومرثية يعتقدون أن أول الرسل «كيومراث»، و«الزرادشتية» تعتقد أن زرادشت نبي مرسل ثم هم يؤمنون به وبكتابه الذى أنزل عليه»[٢]

ويقول ابن حزم: «والمجوس لا يقرون بنبوة أحد من الأنبياء إلا زرادشت»[٣]

---

(١) موسوعة العقاد الإسلامية (١/ ١١٠ وما بعده).

(٢) الملل والنحل (١/ ٢٣٣.) للإمام محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني – الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: (١٤٠٤ ه)

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٣٣.)

ويقول السُكسُكي: «في معرض حديثه عن المجوس إنهم ينكرون نبوة آدم ونوح عليهما السلام»(١)

٩. الفلاسفة الدهرية:

في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

١٠. الملاحدة الجدد

لقد كان الإنسان القديم يفهم أن هناك قوى كثيرة تتعاون في إدارة وامتلاك الكون، وبكلمة أخرى كان يعتقد أن ألوفًا من الآلهة الصغار يعملون تحت إشراف الإله الأكبر!

حتى أوثان المشركين لم يتخذوا الأصنام آلهة لذاتها، وإنما يسلِّمون أن الله هو الخالق لكنهم يجعلونها وسائط.

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا: «أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر»

ويقرر وول ديورانت أن أصل وثنية الهندوس يعود في الأخير إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، فيقول: «هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي

---

(١) البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي تحقيق د/ على بن ناصر عسيري (ص ٥١٠)

ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا»[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم، أو أنها تنزل المطر، أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»[٢]

ولا يزال الكثيرون حتى الآن يؤمنون بمثل هذه الأفكار، ولكن دنيا العلم قد رفضت هذه الأساطير عن الكون، لقد أصبحت نظرية ميتة، وليست نظرية حية.

إن مثقفي اليوم الذين يزعمون التقدمية ويدعون العصرية يدينون بدين جديد هو الإلحاد بدلًا من الدين القديم: الشرك.

وهؤلاء يعتقدون أن الكون ليس معرضًا لأعمال وجود ذي وعيٍ، ولكنه نتيجة لحادثة صدفية اتفاقية! حيث إن وقوع حادثة ما تنتج عنه حوادث أخرى تلقائية... وهكذا تبدأ سلسلة طويلة من الأسباب والوقائع، هذه السلسلة هي التي تدير الكون»[٣]

لكن الدعوة الإلحادية الحديثة تمامًا تنكر الإله، ولا تقر بوجوده وحضوره وقدمه، بل تنكر ذلك كله.

(١) «قصة الحضارة» ول ديورانت، (٣/ ٢٠٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٩)
(٣) الدين في مواجهة العلم (ص ٤٤)

النوع الثاني من الشرك الاعتقادي الأكبر:

كل من اعتقد أن غير الله تعالى له مثلُ ما يُختصُّ به الله تعالى من الأفعال والصفات

اعلم علَّمك الله الخير:

أن الله تبارك الله تعالى منفرد بأفعال الربوبية التي لا يشركه فيه أحد، ولا يُتصوَّر أن يكون معه إله يملك من صفات الربوبية شيئا؛ فهذه استحالة عقلية بالدرجة الأولى؛ قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢١-٢٢].

«وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي ـ على ما يُرَى ـ في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة ولا معارضة، فدل ذلك على أن مدبِّره واحد وربه واحد وإلهه واحد، فلو كان له مدبِّران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن فإذًا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو

الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

ومنه - على أحد التأويلين - قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٢-٤٣] ولهذا قال هنا: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: تنزه وتقدس عن كل نقص لكماله وحده، ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الذي هو سقف المخلوقات وأوسعها، وأعظمها، فربوبية ما دونه من باب أولى، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: الجاحدون الكافرون، من اتخاذ الولد والصاحبة، وأن يكون له شريك بوجه من الوجوه»(١).

فاعتقاد انفراد الله تعالى بأفعال وصفات الربوبية من أوجب الواجبات وأهم المهمات، وضد هذا شرك أكبر مخرج من الملة.

كمن يعتقد أن غير الله تعالى يملك الخلق أو الرزق أو التدبير أو الإحياء أو الإماتة، أو يعتقد أن أحدًا غير الله تعالى يملك للخلق نفعًا أو ضرًا بذاته.

ـ أو اعتقاد أن ما سوى الله له تصرف معيّن في الكون.

ـ أو يعتقد أن غير الله تعالى له من الصفات والخصال ما لا يليق إلا بالله تعالى، كالتعظيم والذل والمحبة ووجوب الاستسلام والانقياد

فالله تبارك وتعالى له المثل الأعلى في صفاته وأسمائه، وهو بخلاف ما

(١) تفسير السعدي [ص ٥٢١]

يدور في العقول والأذان، والعقول قاصرة ضعيفة تعجز أن تحيط بخالقها، وكيف بالمخلوق أن يحيط بالخالق!

«فقد تمدّح الربّ ـ تبارك وتعالى ـ بتفرّده بالمثل الأعلى في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وجعله طريقًا لمعرفته وعبادته، وبرهانًا على توحيده وبطلان عبادة ما سواه؛ فالمعرفة المفصّلة لا تحصل إلاّ بما جاء به الوحي من أخبار عن أسماء الله وأفعاله ومثله الأعلى الجامع لأنواع كمالاته، وتعلّق القلوب بربّ العالمين محبّةً ورغبةً ورهبةً وتوكّلًا، وما يتبع ذلك من صدق العبادة والاستعانة والبراءة من الشّرك بجميع أنواعه ومظاهره كلّ ذلك من آثار العلم بالمثل الأعلى، وصدق التّحقّق بمعرفة صفات الكمال؛ ولهذا جعل الله مثل السّوء المتضمّن لكلّ نقص وعيب للمشركين وآلهتهم المزعومة، وأخبر أنّ المثل الأعلى المتضمّن لكلّ كمال لله وحده؛ قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]»(١).

ثم اعلم أن المعرفة تكون بثلاثة أشياء:

---

(١) آثار المثل الأعلى [ص ٢] د. عيسى بن عبد الله السعدي الغامدي- الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

أولاً: بالمشاهدة والرؤية البصرية:

هذه منتفية في الدنيا في حق الله تعالى، فلن يستطيع أحد في الدنيا أن يرى ربه ﷻ يقظة رؤية بصرية، ومن زعم غير هذا فهو كاذب مفترٍ على الله تعالى:

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وقال تعالى لموسى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وأما في الآخرة فإنها جائزة للمؤمنين خاصة

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٦].

وقال جلَّ ذكره: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وفي الصحيح عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ** عَزَّوَجَلَّ **كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» أي: لا تَشكُّون في رؤيته.

يراه المؤمنون رؤية تشريف وتكريم، ويكلمهم كلام تكريم وتشريف، ويستزيرُهم فيزدادون حسنا وبهاء وكمالًا.

ثانيًا: تكون المعرفة: بالمثال وبضرب الأمثال

وهذه ممتنعة أيضًا في حق الله تعالى، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس له مثال يقاس عليه قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

ولذا نهانا سبحانه أن نضرب له الأمثال؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

فالله عَزَّوَجَلَّ له المثل الأعلى الذي لا تبلغه أفهام وعقول الخلائق أجمعين؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

وقال: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

ثالثًا: وتكون المعرفة بالآثار:

وهذه جائزة للعبد تجاه ربه سبحانه وتعالى

فالله يُعرف بآثاره في الكون، كيف خلق السموات والأرض، كيف أنشأ الخلائق على غير مثال سابق، ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ

وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:٩] إلى قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت:١٢]، فقد اتفق عقلاءُ الأمم على إثبات وجود الرب تعالى، مشركُهم ومؤمنُهم في ذلك سواء؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩].

وكذلك ما أنعم به على الإنسان بنعمة العقل والإدراك والتفكر التي تميز بها بنو آدم عن الحيوانات العجماوات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

وكل فطرة سليمة توقن بأنها لا حيلة لها في تصور الجمال الإلهي؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]، وروى الإمام البخاريّ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»،

وفي رواية لمسلم: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَهُوَ عَلَى الْمِلَّةِ**»،

وفي رواية له أيضًا: «**إِلاَّ عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ**».

يقول ابن تَيْمِيَّة: «الله سبحانه فطر عباده على محبّته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفًا بالله محبًّا له، عابدًا له وحده»(١)

❐ معرفة الله على الحقيقة:

لا يمكن لمخلوق أبدا مهما كان عقله وفهمه أن يحيط علما بالخالق سبحانه، والعقول لا تدرك ذلك أبدا بذاتها؛ فالخلائق لا يمكنهم أن يعلموا عن ربهم شيئا إلا إذا علَّمهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ولذلك جاءت عبارات السلف مُشدِّدة على المبتدعة المعطلين لأسمائه وصفاته، والمشبهين الله بخلقه، والممثلين لصفاته

ولذلك قال العلامة ابن القيم:

لَسْنا نُشَبِّه وَصْفَه بِصفاتِنا ∴ إنَّ المشَبِّه عَابد الأَوثانِ

ومن شبه صفات الله بصفات خلقه؛ فهو مشابه للنصارى الذين يعبدون المسيح ابن مريم ﷺ، ويزعمون أنه ابن الله! تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

---

(١) أمراض القلوب [ص ٢٦] لشيخ الإسلام، الناشر: المطبعة السلفية، ومجموع الفتاوى [١٠ / ١٣٥]

يقول العلامة ابن القيم:

مَـــن مثَّـــلَ اللهَ العظـــيمَ بخلقِـــه ∴ فَهْـــوَ النَّســـيبُ لمشـــركٍ نَصـــرَاني

وقال أبو يعلى: «فإن اعتقد معتقد في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول= فهو كافر»(١).

قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فيمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيه»

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء؛ بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا؛ تبارك الله تعالى رب العالمين»(٢).

وقال بعض السلف: «قدم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم»(٣)

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فِي أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ: «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ

---

(١) الاعتقاد لابن أبي يعلى [ص ٣١] المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

(٢) جلاء العينين الآلوسي: ص ٣٦٨، وشرح العقيدة الطحاوية الإمام ابن أبي العز: (ص ٤٢٧) تحقيق الأرناؤوط.

(٣) شرح السنة الإمام البغوي: (ج١/ ١٧١). لحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الْقَدَمَيْنِ وَضَحِكَ رَبُّنَا، وَحَدِيثُ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا فَقَالَ: هَذِهِ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ حَمَلَهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَهِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ لَا نَشُكُّ فِيهَا»

وكلام السلف في هذا كثير جدًّا، ونختم بكلام رائع لابن كثير الحافظ، وهو كالقاعدة في كل نصوص الأسماء والصفات:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يماثله شيء من خلقه، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه» فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى»(١).

(١) تفسير ابن كثير [٣ / ٤٢٦]

طوائف وقعت في هذا النوع من الناقض:

١. اليهود

فإنهم أعظم الأمم حظا في انتقاص الله تعالى ورميه بما يتعالى ويتقدس عنه، فمن ذلك:

- قولهم إن عزيرًا ابن الله ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠].

- قولهم عن الله أنه فقير: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران:١٨١].

قولهم عن الله أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم تعب فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، فرد الله على إفكهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨].

قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة:٨٠] كأنهم اطلعوا على الغيب!

قولهم لموسى ﷺ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥].

وقولهم له أيضًا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة:٢٤].

إلى غير ذلك مما حكى الله عنهم.

٢. النصارى:

فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم. أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

والنصارى من أشد الأمم تشوشًا واختلافًا وترددًا في ربهم

قال ابن القيم: «فلا نعلم أمة أشد اختلافا في معبودها ونبيها ودينها منكم، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهبا!

مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول، وأنه إله في الحقيقة، وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبيين، وأنه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات»(١)

٣. الشيعة:

أي: الذين يقولون بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بهما كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وقد نسبوا لأئمتهم من صفات الربوبية شيئًا عظيما، يتعاظم القلب واللسان أن ينطق به، ونسبوا لعلي رضي الله عنه، ولآل بيته عامة، وللحسين خاصة

(١) هداية الحيارى [ص ١٦٤]

= أشياء لو كان علي رضي الله عنه حيًا لقاتلهم عليها، كما قاتل وحرَّق من سجد له من دون الله تعالى.

وأشد الناس غلوًا في علي رضي الله عنه النصيرية؛ لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبأنه المتصرف بالكون، ولوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله عزوجل مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويسمون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويسمون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل.

٤. القانونيون المشرعون الدساتير والقوانين

الذين يصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نُحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه، والله جل جلاله هو أحكم الحاكمين، متفرد بالخلق وبالحكم والسيادة والأمر والنهي، لا يشرك في حكمه أحدًا، فكما تفرد بالخلق تفرد بالحكم فيهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧].

ومثل المشرعين من رضي بتشريعاتهم مفضلًا إياه على تشريعات رب العالمين، أو مسوِّيًا إياه مع تشريعات رب العالمين، أو مجوِّزًا مسوِّغًا لتحكيمها وتطبيقها معها، وهذا النوع مما عمَّ وطمَّ، فإلى الله المشتكى!

النوع الثالث من الشرك الأكبر الاعتقادي:

اعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب

اعلم ـ علمك الله الخير ـ:

أن الغيب لله لا يعلمه إلا هو، إلا من ارتضاه ربنا من ملك مقرب أو نبي مرسل، فيطلعه على ما شاء من أمور الغيب، لكن الغيب المطلق بيده سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

فالله عَزَّوَجَلَّ منفرد بعلم الغيب، لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢].

والله عَزَّوَجَلَّ لا يُطلِع أحدًا على الغيب إلا من شاء من رسول ملكي أو بشري

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩].

ولما زعمت الجن أنهم يعلمون الغيب أكذبهم الله وبيَّن ضلالهم وكذبهم للناس، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤].

وقال مُنكرًا على من قال قولًا رجمًا بالغيب: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٨].

وقال: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:٤١].

وقال: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥].

كما أخبرنا سبحانه أن أحدًا لا يملك النفع والضر من دونه، فهو النافعُ الضارُّ

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام:١٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦].

وقال تعالى فيمن عبد العجل من دونه: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١].

الشرك في نسبة علم الغيب لغير الله تعالى:

فالذي يعتقد أن أحدًا غير الله يمكنه أن يعلم الغيب، أو شيئا منه؛ فقد أتى ناقضًا من نواقض الإيمان ووقع في الكفر الاعتقادي الأكبر، كمن يعتقد أن السحرة، والكهان والعرافيين أو غيرهم يعلم الغيب أو اطلع على شيء منه.

ولذلك حرَّم الشرع إتيان السحرة والعرافين والكهان، وأعلمنا سبحانه أن هؤلاء جميعًا كفار ليسوا على الإسلام في شيء

قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة:١٠٢].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ**

بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(١)

وعن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»(٢)

عن أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**»(٣)

❑ والذي يأتي الساحر على أنواع(٤):

الأول: إن طلب منهم سحرا له فطلبوا منه أن يكفر ويشرك كأن يذبح، ولا يسمى أو يسبُّ الدين، أو يهين آيات القرآن كأن يكتبها بالدم ونحو ذلك.

الثاني: من يأتيهم ليسألهم عن أمر غيبي مصدقا لهم، وهذا معنى يصدقهم أي يصدقهم في ادعاء الغيب ويعتقد أنهم يعلمون الغيب مع الله أو أن الله أعلمهم بالغيب ودلهم على أسبابه فهو كافر خارج من الإسلام لا شك فيه.

الثالث: إن أتاهم وسألهم مع عدم تصديقهم في ادعاء الغيب ومعرفته كذبهم وحقيقة حالهم، مثل من يأتيهم ليسألهم عما ضيعه أو من سحره مع علمه بكفرهم وأن الغيب لله، فهذا فعل محرما دون الكفر، وعقابه أن صلاته لا تقبل أربعين يومًا.

---

(١) **صحيح**: رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٢٩)، وابن بطة في «الإبانة» كتاب الإيمان (٢/ ٧٢٨)

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (٤/ ٦٨)

(٣) **صحيح**: أحمد [٣٢ / ٣٣٩] وأخرجه أبو يعلى (٧٢٤٨)، وابن حبان (٦١٣٧)

(٤) شرح نواقض الإسلام ص٤٧٣ بتصرف واختصار

الرابع: من سألهم ليبين كذبهم أو يفضحهم ويبين تلبيسهم وعجزهم، فهذا مشروع، وقد فعله النبي ﷺ لابن صياد حين سأله عن الدخان، والحديث متفق عليه

فعن عَبْدِ اللهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «**تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ**» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ فَرَفَضَهُ وَقَالَ «**آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ**» فَقَالَ لَهُ **مَاذَا تَرَى** قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ**» ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيأً**» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدُّخُّ فَقَالَ «**اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**» فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**»(١)

فالنبي ﷺ جاء لابن صيَّاد يسأله ليفضحه ويكشف كذبه وحاله للناس، وهذا لا بأس به بل إن هذا يكون محمودًا مطلوبًا لما في ذلك من إبطال الباطل.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري [٢ / ٩٢ رقم ١٣٥٤] بَابٌ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ

النوع الرابع من أنواع الشرك الأكبر الاعتقادي:

اعتقاد أن ما سوى الله يستحق أيَّ نوع من أنواع العبادة

أو يجوِّز ذلك، أو لا يُكفِّر من يفعل هذا!

فالله سبحانه وتعالى هو المعبود وحده لا شريك له، وهو المستحق لكل أنواع العبوديات، القلبية والقولية والفعلية، ومن اعتقد غير ذلك فقد كفر باطنًا، وإن كانت صورته في الظاهر صورة الإسلام، فليس أحد سواه من خلقه يستحق شيئا من أنواع العبادة، مهما عَلَتْ رتبته، لا نبيٌ مرسل ولا ملكٌ مقرب، فالكلُّ مربوبون ذليلون لله رب العالمين.

والعبادات:

قلبية: كالخشية والإنابة والمحبة والرجاء والخوف والتعظيم، والتوكل والرهبة وغيرها.

وقولية: كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وما أُهلَّ لله عند الذبح، وأنواع الدعاء والرقى والتعويذات والنذر وغيرها.

وعملية: كالصلاة والزكاة والصيام والحج والطواف والسعي والذبح والسجود والاعتكاف وغير ذلك

فكل هذه الأنواع يجب صرفها لله رب العالمين، وهذا مقتضى كلمة لا إله إلا الله، أي لا معبودَ حقٌّ إلا الله، فهذه الكلمة ما أعظمها من كلمة، وما أغزرها علمًا لمن تعلمها حقًا

«كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أُرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوقُ الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقةُ إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأُ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثوابُ والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟»(١)

والله عَزَّوَجَلَّ أرسل رسله إلى الأمم حتى يقيموا فيهم حقيقة لا إله إلا الله معناها ولوازمها ومقتضياتها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، والطاغوت: كل ما عُبِد من دون الله تعالى وهو راضٍ بذلك، فكل ما جاوز به العبد حده من متبوع أو محبوب أو مطاع فهو طاغوت، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

(١) زاد المعاد [١ / ٣٤] لابن القيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وعَنْ مُعَاذٍ قَالَ أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟**» قُلْتُ: لَا قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً فَقَالَ «**يَا مُعَاذُ!**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»(١)

والمقصود بهذا النوع من الكفر الاعتقادي:

اعتقاد أن غير الله مستحق للعبادة أو بعض منها؛ فهذا الاعتقاد وحده كفر مخرج من الملة، سواء صَحبَه عمل الجوارح أم لا؟

فمجرد الاعتقاد وحده كفرٌ، ومعلوم أن الشرك في الأعمال ـ سواء كانت قلبية أو قولية أو فعليه ـ شركٌ في الألوهية، لكن المقصود هنا: عمل القلب باعتقاده، فمجرد الاعتقاد يخرج العبد من الملة وإن لم يعمل.

فالعبودية وظيفة الخلق التي من أجلها خلقوا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

---

(١) أخرجه البخاري [٨ / ٦٠ رقم ٦٢٦٧] بَاب مَنْ أَجَابَ بِلَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ.

والعالم العلوي والسفلي وما فيهما من دابة عبيد الله تعالى، عاقلهم وغير عاقلهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨] قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور:٤١].

، فما من شيء خلقه الله تعالى إلا يعبده ويسبحه ويحمده إلا ما كان من كفار الجن والإنس ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

والحاصل: أن أمر الاعتقاد خطير للغاية؛ فمن جوَّز عبادة إله من دون الله تعالى؛ كفر بمجرد هذا الاعتقاد، فالذين تسمح قلوبهم وترضى بلا نكير ولا كراهية أن يُعبد بوذا أو المسيح أو القبور أو آل البيت من دون الله تعالى فقد برئت منهم ذمة الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهنا ملحظ خطير جدًّا:

وهو أن جملة من الناس تقف موقف المحايد (في نظرهم)، كما يقال في اللهجة العامية (يمسك العصا من الوسط) بمعنى: أنه لا يُقرَّ للمشركين بجنة ولا بنار، يقول: الله أعلم! ما أدري! أنا لا أتدخل في هذا! دع الملك للمالك! ليس بيدي مفاتيح الجنة ولا مفاتيح النار! حسابهم على الله!، وما شابه هذه العبارات التي تدل على التوقف في الحكم عليهم؛ فمثل هذه العبارات دالة على خراب العقيدة في قلوب هؤلاء، ومثل هؤلاء كمثل الذي يقال له في

رابعة النهار: هل الشمس طالعة؟ فيقول: الله أعلم.. ما أدري، دع الملك للمالك... الخ

فهذه الحيادية المزعومة من أخطر ما يكون، وللأسف فإن جملة من الناس قد ارتضاها لنفسه، وقد يبالغ بعضهم وينسبها إلى سماحة الدين!، وبعضهم يتعاظم جهلُه فيرمي مخالفيه بالجهل والتشدد والتسرع! وبعضهم يتثاقل دمُه ـ كثِقَلِ الجبال الراسيات ـ حين يستشهد ببعض الآيات الدالة على وسطية هذه الأمةَ على هذا الباطل!!

والحق أنه لا فرق في الكفر بين هذه الطائفة والطائفة السابقة فكلاهما كافر بلا تردد ولا لجلجةٍ ولا قهقرة ولا تذبذب ولا كرامة!

فكلا الاعتقادين كفر بواح؛ لأن نتيجتهما واحدة، وهي التكذيب أو الشك والتردد في الآيات المصرحة بكفر من عبد غير الله تعالى، ومعلوم أن من كذَّبَ الله أو تردد في قبول كلامه أو تصديقه فيما أخبر؛ فقد أتى كفرًا بواحًا، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى.

النوع الخامس:

كفر الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات

اعلم أن الصدق شرط من شروط لا إله إلا الله، فيجب على العبد أن يُصدِّق بكل ما جاءت به كلمة التوحيد، تصديقًا جازمًا ينفي عنه كل كذب وجحود.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣].

والمقصود بالصدق:

أن يكون صادقًا في قول لا إله إلا الله واعتقاد مدلولها، أي أنه يوافق قلبُه ما أظهره وقاله بلسانه فيوافق باطنُه ظاهرَه، فلا يقولها بلسانه وقلبُه مُكذِّبا أو كاذبا لا يريدها ولا يحبها، بل يبغضها ولا يقبلها، وإنما قالها لمصلحة أو خوفًا أو مجاملةً.

والتصديق ـ عند أهل السنة والجماعة ـ **متضمنٌ قولَ القلب، وهو تصديقه وإيقانه المستلزم للانقياد الظاهري والباطني بلا شكٍّ**: «ولم يعنوا مجرد التصديق؛ فإن إبليس لم يُكذِّب في أمر الله تعالى له بالسجود، وإنما أبى عن الانقياد كفرا واستكبارا، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم

يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ﷺ ولم ينقد؛ بل جحد بآيات الله ظلمًا وعلوًا»(١)

وأدلة الصدق كثيرة جدًّا في كتاب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٦] قال ابن عباس: صدَّق بلا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٨].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»(٢)

وفي الصحيحين أيضًا عن طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**» فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَصِيَامُ رَمَضَانَ**» قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**» قَالَ وَذَكَرَ لَهُ

---

(١) معارج القبول [٢ / ٥٩٤]

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٢٢٦) بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الزَّكَاةَ**» قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ: «**لا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**» قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»(١)

وموضع الدلالة: قوله «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ، أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢)

قال شيخ الإسلام: «ومما ينبغي أن يعرف أن الصدق والتصديق يكون في الأقوال والأعمال كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِن الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ**»(٣)

ويقال: حملوا على العدو حملة صادقة؛ إذا كان إرادتهم القتالَ ثابتةً صادقةً، ويقال: فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك، ولهذا يراد بالصادق الصادقُ في إرادته وقصده وطلبه، وهو الصادق في عمله، ويريدون الصادق

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [١ / ١٨ رقم ٤٦] بَاب الزَّكَاةُ مِن الْإِسْلَامِ وَقَوْلُهُ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، ومسلم [١ / ٤٠ رقم ١١] باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٢ / ٣٧٠ رقم ١٩٥٩٧]، والهيثمي في المقصد العلي في زوائد مسند أبي يعلى الموصلي [١ / ٤١]

(٣) متفق عليه:أخرجه البخاري [٨ / ٥٤ رقم ٦٢٤٣] بَاب زِنَا الْجَوَارِحِ دُونَ الْفَرْجِ، ومسلم [٤ / ٢٠٤٦ رقم ٢٦٥٧] باب قدر على بن آدم حظه من الزنا وغيره

في خبره وكلامه»(١)

قال ابن رجب: «وإن من دخل النار من أهل هذه الكلمة فَلِقِلَّةِ صدقه في قولها؛ فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرَّت القلب من كل ما سوى الله، فمن صدق في قول لا إله إلا الله لم يحب سواه، ولم يرجُ إلا إياه، ولم يخش إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقيةٌ من إيثار نفسه وهواه، ومتى بقي في القلب أثرٌ لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها»(٢)

لوازم الصدق ومقتضياته:

واعلم أن الصدق له لوازم ومقتضيات لا يقبل من العبد حتى يأتي بها، ومنها:

١ ـ الانقياد الظاهري للجوارح، ببذل الطاعات وترك المحرمات.

٢ ـ تصديق الأخبار وعدم رد شيء منها.

٣ ـ انتفاء الشك والريب عن القلب في خبر الله وخبر رسوله ﷺ.

٤ ـ المحبة والإخلاص.

ونقيض الصدق كفرُ الجحودِ والتكذيب:

قال الإمام ابن بطة: «كل من ترك شيئًا من الفرائض التي فرضها الله في كتابه أو أكدها رسول الله ﷺ في سنته، على سبيل الجحود والتكذيب بها؛ فهو كافر بيّنُ الكفر»(٣)

---

(١) أمراض القلوب [ص ٤١]

(٢) جامع العلوم والحكم [ص ٢١١]

(٣) الإبانة (٢/ ٧٦٤)

تعريف كفر الجحود لغة واصطلاحًا:

لغة: الإنكار - قد يكون الإنكار للشيء للجهل به، وقد يكون بعد المعرفة تعنتًا - يقال: جحد الأمر أنكره مع علمه به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] وجحد فلانٌ حقه: لم يقر به

والمراد بكفر الجحود اصطلاحًا:

هو الإنكار باللسان مع المعرفة بالقلب لأصل من أصول الدين، أو حكم أو خبر ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة قصدا من غير جهل، أو إكراه أو تأويل يعذر فيه صاحبه

يقول الخازن: «وكفر جحود، وهو أن يعرف الله تعالى بقلبه، ولا يقر بلسانه ككفر إبليس».

وقال النووي: «إن من جحد ما يُعلَم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك، فإن استمر حكم بكفره»(١).

وقال ابن القيم: «وأما جحد ذلك جهلًا أو تأويلًا يعذر فيه صاحبه، فلا يَكفُر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله»(٢).

---

(١) مسلم بشرح النووي (١/ ١٢٨)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٦٧)

يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الحديث المتفق عليه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ. فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ**»(١)

يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة: كالفواحش، والظلم والخمر والميسر والزنا وغير ذلك، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة: كالخبز واللحم والنكاح؛ فهو كافر مرتد، يستتاب فإن تاب وإلا قتل»(٢)

يقول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك نقطع بتكفير كل من كذَّب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينًا بالنقل المتواتر من فعل الرسول، ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس أو عدد ركعاتها وسجداتها»(٣).

وقال ابن بطة: «فمن زعم أنه يُقِرُّ بالفرائض ولا يؤديها ويعملها، وبتحريم الفواحش والمنكرات ولا ينزجر عنها ولا يتركها، وأنه مع ذلك

---

(١) **متفق عليه**: البخاري [٤ / ١٧٦ رقم ٣٤٨١] بَاب حَدِيثُ الْغَارِ، ومسلم [٤ / ٢١٠٧ رقم ٢٧٥٦] باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٥)

(٣) الشفا (٢/ ١٠٧٣)

مؤمن فقد كذَّب بالكتاب وبما جاء به رسوله، ومَثَلُه كمثل المنافقين الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:٤١] فأكذبهم الله ورد عليهم قولهم وسماهم منافقين مأواهم الدرك الأسفل من النار..

على أن المنافقين أحسن حالا من المرجئة؛ لأن المنافقين جحدوا العمل وعَمِلُوه، والمرجئة أقروا بالعمل بقولهم وجحدوه بترك العمل به، فمن جحد شيئا، وأقر به بلسانه وعمله ببدنه أحسن حالًا ممن أقر بلسانه وأبى أن يعمله ببدنه، **فالمرجئة جاحدون لما هم به مقرون ومكذبون بما هم به مصدقون، فهم أسوأ حالًا من المنافقين**..

وَيْحٌ لمن لم يكن القرآنُ والسنةُ دليلَه فما أضل سبيلَه، وأكسف بالَه، وأسوأ حالَه»(١)

أنواع كفر التكذيب والجحود:

وهو نوعان: كما قال ابن القيم

الأول: كفر مطلق عام: وهو أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرسالَه الرسول ﷺ.

والثاني: كفر مقيد خاص، وهو أن يجحد شيئا من أصول الدين، كمن يجحد ربوبية الله، أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، أو يجحد البعث، أو القضاء والقدر ونحو ذلك، أو شيئا من أحكام الإسلام الظاهرة المتواترة، كمن يجحد وجوب الصلاة أو الصيام ونحوهما. أو يجحد تحريم محرم

(١) الإبانة (٢ / ٧٩٠)

كالفواحش أو الخمر ونحوهما، أو شيئا مما أخبر الله به من الأخبار الثابتة الظاهرة، كمن ينكر عذاب القبر، أو وجود الجن ونحوهما

الأدلة على كفر الجاحد المكذب:

وقد أجمع العلماء على كفر الجاحد المكذب، سواء كان جاحدا جحودا عاما أو خاصًا

والأدلة على هذا كثيرة منها ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [العنكبوت:٤٧]

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:٢٨]

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٩]

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢]

٥ - أن في هذا الإنكار تكذيبًا ظاهرًا للأحاديث الصحيحة، عن رسول الله ﷺ التي تقرر ما جحده، وقد قرر العلماء أن من ردَّ حديثًا واحدًا صحيحًا، أو كذبه بغير تقية - مع علمه بصحته - فهو كافر يقول إسحاق بن راهويه: «من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر، يقر بصحته، ثم رده بغير تقية فهو كافر».

وقال ابن الوزير: «إن التكذيب لحديث رسول الله ﷺ مع العلم أنه حديثه كفر صريح».

٦- إجماع العلماء على كفر من جحد أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، وقد حكى هذا الإجماع جمع من العلماء.

يقول ابن قدامة - وهو يتكلم عن حكم من ترك الصلاة -:

«ولا خلاف بين أهل العلم في كفر من تركها جاحدا لوجوبها إذا كان ممن لا يجهل مثله ذلك.... وكذا الحكم في مباني الإسلام كلها، وهي: الزكاة، والصيام، والحج...»(١)

وقال القاضي عياض: «وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل، أو شرب الخمر، أو الزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه...»(٢).

وقال ابن تيمية: «إن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان، وقواعد الدين، **والجاحد لها كافر بالاتفاق**»

وقال أيضًا: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، **أو بدل الشرع المجمع عليه فإنه كافر مرتد** باتفاق الفقهاء»(٣)

وقال ابن الأثير: «**فمن أنكر فرضية أحد أركان الإسلام كان كافرا بالإجماع**».

---

(١) المغني (٨/ ١٣١)

(٢) الشفا (٢/ ١٠٧٣)

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧)

وقال ابن الوزير: «وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستَّر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله...»(١)

وقال ابن العطار: «**وكذلك نقطع بتكفير كل من كذّب، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع، وما عُرِف يقينًا بالنقل المتواتر من فعل الرسول، ووقع الإجماع المتصل عليه**؛ كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها، وسجداتها»(٢)

(١) إيثار الحق (ص ٤١٥) لمحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧

(٢) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد [ص ٣٨٠] لعلاء الدين بن العطار الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م

النوع السادس:

استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه

اعلم: علَّمك الله الخير والعلم

أن الله تعالى هو المتفرد بالحكم والأمر، فهو الذي بيده التحليل والتحريم، وهذا من لوازم الربوبية؛ فإن الله تبارك هو الخالق الرازق المدبر لعباده أرزاقهم وأعمالهم، فمن لوازم ذلك أن يكون هو الحاكم المشرِّع فيهم شرائعَ وعبودياتٍ تنظِّم علاقتهم مع ربهم وعلاقتهم فيما بينهم، وهكذا، وكما أن الله تعالى هو الذي شرع العبادات المفروضة كالصلاة والزكاة والحج والصيام وغيرها، فهو أيضًا الذي شرع أحكام المعاملات كالبيع والشراء والإجارة والرهن والدين وغيرها، وكذلك هو الذي شرع أحكام الجنايات والديات والحدود وغيرها، بلا فرق، وكذلك ربنا الذي حرم الذنوب والكبائر ورتب عليها العقوبات الدنيوية والأخروية، فمن استحلَّ ما حرم الله تعالى فقد أنزل نفسه منزلة الربوبية في استحلال التحريم والتحريم من دونه سبحانه وتعالى، وهذا لا شك ناقض من نواقض الإيمان، فإنه لا ينبغي للعبد أبدا أن ينازع الله تعالى في صفة من صفات الربوبية أو ينازعه فعلا من أفعال الربوبية، قال تعالى في الحديث الإلهي: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ**

رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أُلْقِهِ فِي النَّارِ»(١)

معنى الاستحلال:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«المستحل للشيء: هو الذى يفعله معتقدًا حله»(٢)

فـ «الِاسْتِحْلَال: اعْتِبَارُ الشَّيْءِ حَلَالًا، فَإِنْ كَانَ فِيهِ تَحْلِيل مَا حَرَّمَهُ الشَّارِعُ: فَهُوَ حَرَامٌ، وَقَدْ يَكْفُرُ بِهِ إِذَا كَانَ التَّحْرِيمُ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

فَمَنِ اسْتَحَل عَلَى جِهَةِ الِاعْتِقَادِ مُحَرَّمًا - عُلِمَ تَحْرِيمُهُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ - دُونَ عُذْرٍ: يَكْفُرُ.

وَسَبَبُ التَّكْفِيرِ بِهَذَا: أَنَّ إِنْكَارَ مَا ثَبَتَ ضَرُورَةً أَنَّهُ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فِيهِ تَكْذِيبٌ لَهُ ﷺ، وَقَدْ ضَرَبَ الْفُقَهَاءُ أَمْثِلَةً لِذَلِكَ بِاسْتِحْلَال الْقَتْل وَالزِّنَى، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالسِّحْرِ.

وَقَدْ يَكُونُ الِاسْتِحْلَال حَرَامًا، وَيَفْسُقُ بِهِ الْمُسْتَحِل، لَكِنَّهُ لاَ يَكْفُرُ، كَاسْتِحْلَال الْبُغَاةِ أَمْوَال الْمُسْلِمِينَ وَدِمَاءَهُمْ. وَوَجْهُ عَدَمِ التَّكْفِيرِ أَنَّهُمْ مُتَأَوِّلُونَ»(٣) انتهى.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [١٢ / ٣٣٧ رقم ٧٣٢٨]، وأبو داود [٤ / ١٠٢ رقم ٤٠٩٢] باب مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ.، ابن ماجه [٥ / ٢٧٣ رقم ٤١٧٥] بَابٌ: الْبَرَاءَةُ مِن الْكِبْرِ وَالتَّوَاضُعُ

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٦)

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣/ ٢٣٦)

الأدلة على كفر المستحلِّ:

فاستحلال ما حرم الله تعالى، كتحريم ما أحل بلا فرق، وكلاهما قول على الله بغير علم، وافتراء على الله تعالى، وهو من أعظم الذنوب على الإطلاق.

يقول صالح آل الشيخ: «الاستِحلال: أن يعتَقِد أنَّ هذا العمل منه حلالٌ له، وليس بذنب، وأنَّه ليس بمحرَّم»(١)

وقد جعل الإسلام المُستَحِلَّ كافِرًا زائِدًا في الكفر، وكذلك متى قال لغيره: إنَّ الحرام حلالٌ فافعله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢-٣٣]

«يقول تعالى منكرًا على من تعنت، وحرم ما أحل اللّه من الطيبات ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٤٩) من دروس صوتية للشيخ، وقد بدأ فضيلته بشرحها في مدينة الرياض يوم السبت ١٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ وقد انتهى منه يوم السبت بعد العشاء الموافق ٢٠/ ١١/ ١٤٢٠هـ.

والطيبات من الرزق، من مأكل ومشرب بجميع أنواعه، أي: مَن هذا الذي يقدُم على تحريم ما أنعم الله بها على العباد، ومن ذا الذي يضيِّق عليهم ما وسَّعه اللّه؟

وهذا التوسيع من الله لعباده بالطيبات، جعله لهم ليستعينوا به على عبادته، فلم يُبحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لا تبعة عليهم فيها.

ثم ذكر المحرمات التي حرمها اللّه في كل شريعة من الشرائع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي: الذنوب الكبار التي تُستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا واللواط ونحوهما.

وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكبر والعجب والرياء والنفاق، ونحو ذلك، ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الذنوب التي تُؤثِّم وتوجب العقوبة في حقوق اللّه، والبغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوبُ المتعلقةُ بحق اللّه، والمتعلقةُ بحق العباد.

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد. والشركُ هو أن يشرك مع اللّه في عبادته أحدًا من الخلق، وربما دخل في هذا الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير اللّه، ونحو ذلك.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩] في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها اللّه، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من

المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد اللّه، وتغيير دين اللّه وشرعه»(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩].

الافتراء على الله تعالى من أعظم أنواع الظلم والبغي

وجعل الله تعالى افتراء الكذب عليه من أعظم أنواع الظلم والبغي:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف:٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:١٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَل، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ حَلَّلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَصَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ

(١) تفسير السعدي [ص ٢٨٨، ٢٨٧]

وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»(١)

ومعنى: «حَلَّلْتُ الْحَلَالَ» أي: اعتقدت حلَّه، وامتثلتُه.

ومعنى: «وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ» أي: اجتنبتُه امتثالًا لأمر الله تعالى باجتنابه.

من أجل هذا كله كان استحلالُ ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله كفرًا اعتقاديًا يخرج العبد من الملة.

كلام أهل العلماء في إثبات أن استحلال المحرمات كفر بواح:

قال الإمام ابن قدامة: «**من اعتقد حلَّ شيء أُجمع على تحريمه**، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه؛ **كَفَرَ**»(٢)

وقال ابن العطار: «**وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كلِّ من استحلّ القتل، أو شرب الخمر، أو الزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه**؛ كأصحاب الإباحة من القرامطة، وبعض غلاة المتصوفة»(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلًا لها فهو كافر بالاتفاق؛ **فإنه ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمَه**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم [١ / ٤٤ رقم ١٥] أحمد [٢٢ / ٢٨٨ رقم ١٤٣٩٤]

(٢) المغني [١٠ / ٨٣]

(٣) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد [ص ٣٨٠] لعلاء الدين بن العطار الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

(٤) انظر الصارم المسلول (٣/ ٩٧١) الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧

وقال مُلَّا قَاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إن استحلال المعصية صغيرة كانت أو كبيرة كفر** إذا ثبت كونها معصية بدلالة قطعية»(١)

يقول ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اتَّفق الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعليٌّ بن أبي طالب وغيرهما على أنَّ شاربي الخمر إنْ أَقَرُّوا بالتحريم جُلِدوا، وإن أصرُّوا على الاستِحلال قُتِلوا**»(٢)

وبين شيخ الإسلام أنه: «لا فرق في ذلك بين سبِّ النبي وبين قذف المؤمنين والكذب عليهم والغيبة لهم إلى غير ذلك من الأقوال التي عَلم أن الله حرمها؛ فإنه من فعل شيئًا من ذلك مستحلًا كَفَرَ»(٣)

يقول الزجَّاج: «فليس لأحدٍ أن يُحَرِّم ما أحلَّ الله، ولم يجعل لنبيِّه ﷺ أن يُحَرِّم إلا ما حرَّم الله عليه»(٤).

يقول القرطبي: «وما لم يحرِّمه الله فليس لأحدٍ أن يحرِّمه، ولا أن يَصِير بتحريمه حرامًا، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لِمَا أحلَّه الله: هو عليَّ حرام»(٥)

وإذا لم يثبتْ هذا عن رسول الله ﷺ فنفي ثبوته عمَّن هو دونه أَوْلَى مِن وليٍّ أمر أو حاكم، أو غير ذلك.

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص ١٢٦)
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٤٢٤)
(٣) الصارم المسلول (ص ٥١٨)
(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٦٦٥٩)
(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٦٦٥٩)

يقول عبدالقادر عودة: «ولا يملك وليُّ الأمر أن يُحِلَّ ما حرَّمه الله جل جلاله أو يُبيح ما لم يُبِحْه الله، فإذا فعل فعمَلُه باطل، ولا أثر له»(١).

قال الطحاوي في عقيدته: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»

«مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم الموحد المؤمن بالله واليوم الآخر بذنب يرتكبه كالزنا وشرب الخمر والربا وعقوق الوالدين وأمثال ذلك ما لم يستحل ذلك، فإن استحله كفر لكونه بذلك مكذبًا لله ولرسوله خارجًا عن دينه.

أما إذا لم يستحل ذلك فإنه لا يكفر عند أهل السنة والجماعة، بل يكون ضعيف الإيمان، وله حكم ما تعاطاه من المعاصي بالتفسيق وإقامة الحدود وغير ذلك حسب ما جاء في الشرع المطهر، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن سلك مسلكهم الباطل، فإن الخوارج يكفرون بالذنوب، والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، يعني: بين الإسلام والكفر في الدنيا، وأما في الآخرة فيتفقون مع الخوارج بأنه مخلد في النار، وقول الطائفتين باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة»(٢)

---

(١) التشريع الجنائي الإسلامي (١/ ٢٨١): لعبد القادر عودة، الناشر: دار الكتب العلمية

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – للشيخ خالد المصلح [١٣ / ٥] من دروس صوتية مفرغة.

«والعبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرَّمه عليه واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر. **فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يُذعن لله ويَنقاد فهو إما جاحد أو معاند.**

ولهذا قالوا: من عصى الله مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى الله مشتهيًا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة وإنما يكفره الخوارج. فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقًا بأن الله ربه فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق.

وبيان هذا: **أن من فعل المحارم مستحلًا لها فهو كافر بالاتفاق**؛ فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، **وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال: اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة: بعدم اعتقاد أن الله حرمها،** وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة.

وتارة يعلم أن الله حرمها ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم ويعاند المحرم فهذا أشد كفرًا ممن قبله»[1]

أنواع الاستحلال:

اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن الاستحلال على ثلاثة أنواع:

---

(١) العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي [ص ١٢٤] لمدحت آل فراج الناشر: دار الكتاب والسنة، باكستان – الطبعة: الثانية، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

❐ **النوع الأول: استحلال قلبي فقط من غير اقتران بالعمل الظاهر**

فهذا كفر أكبر اعتقادي محض، فمن اعتقد أن الزنا حلال، أو الربا حلال، أو القتل بغير حق حلال، أو اعتقد أن احتلال أرض المسلمين وأخذ أموالهم وهتك أعراضهم حلال،، أو اعتقد حِلَّ ظلم المسلمين بغير حق، أو اعتقد أنه ليس لله حكم في زوجته وبناته وولده فهم على هواه يسيرون وبتشريعه ورأيه يعملون وباختياره وعقله يدينون، أو اعتقدت أن التبرج والسفور وكشف العورات والاختلاط بالرجال الأجانب حرية شخصية لا دخل للدين فيها، أو اعتقدت أنه يجب مساواة النساء بالرجال في المواريث والاستحقاقات والواجبات، أو اعتقدت أنه ليس لزوجها عليها حق وفضل وزيادة درجة! = فكل هذا كفر أكبر اعتقادي، فبمجرد اعتقاده الباطل يخرجه من الملة عياذًا بالله تعالى، وإن لم يصحبه عمل ولا قول، وهذا في الحقيقة في غاية الخطورة؛ فإن بعض الناس يستهين بمثل هذا؛ فواجب على العبد أن يصحح اعتقاده؛ فيحل ما أحل الله في شرعه ودينه، ويحرم الله في شرعه ودينه.

❐ **النوع الثاني: أن يقع الاستحلال مُقارِنًا للعمل الظاهر**

كمن يقع في الزنا مستحلا له، أو يشرب الخمر مستحلا لها، أو يترك الصلاة مستحلا للترك غير نادم على ذنبه، أو يمنع الزكاة مستحلا للمنع غير ناوٍ ولا عازم على الأداء.

ولا شكَّ أن النوع الأول أخطر وأكثر؛ فإن العبد إن تهاون فيه وقع في الكفر الأكبر الاعتقادي، فأفسد عليه إيمانه، وانحلت عُرى الإيمان من قلبه تمامًا، سواء شعر بهذا أو لم يشعر.

فواجب على المسلم ـ إذن ـ أن يُحكم عقدَ قلبه فيعتقد تحريم ما حرم الله، وحِلَّ ما أحلَّ الله؛ فإن اشتبه عليه شيء من الحلال أو الحرام وجب عليه البحث والنظر في الآيات والأدلة إن كان من أهل النظر والاستدلال، وأما إذا كان لا يُحسن النظر في الأدلة؛ فواجب عليه أن يسأل أهل العلم عما جهل، فإن سألهم عما يجهل، وعما يُشكل عليه وعما يُشتبه عليه فأجابوه؛ فواجب عليه أن يسمع لهم ويطيع ولا يحيد عن كلامهم أو يُعرض عنهم.

فتنبه أيها الحبيب الكريم إلى معتقدك، ولا تتركه نهْبًا لشرذمة العلمانيين والليبراليين الذي يزعمون أن الدين تجربة شخصية، يحللون ما تشتهيه أنفسهم، ويحرمون ما يخالفون هواهم، وإياك وشراذم علماء السوء والمشرِّعين الذين عاثوا في دين الله فسادًا تحريمًا لما أحلَّ، وتحليلًا لما حرَّم، وكن على ما كان عليه أهل الإيمان من حسن الامتثال وحسن الاستسلام لله رب العالمين، نعوذ بالله من مُرديات الفتن وغوائل الشبهات ومهلكات الأهواء ومزعجات النفوس وتقلبات القلوب.

❐ النوع الثالث: الاستحلال العملي المحض

ومعناه: أن العبد يفعل الذنب مُصرًّا عليه بلا توبة ولا ندم ولا نية للإقلاع عنه ولا إرادة له بالاستغناء عنه ولا يرى في نفسه أي ضيق أو حرج في مقارفته وإتيانه! وهذا النوع من الاستحلال لا يلزم معه تواطؤ القلب معه باستحلال ما حرم الله تعالى؛ ومحل بحث هذا في نواقض الإيمان العملية.

النوع السابع:

الشك في حكم من أحكام الله عَزَّوَجَلَّ أو في خبر من أخباره

(كفر الشك والتردد)

إن من شروط تحقيق كلمة التوحيد: اليقين.

واليقين: هو أن ينطق بالشهادة عن يقينٍ يطمئن إليها قلبه، دون تسرّب شيءٍ من الشكوك التي يبذرها شياطين الجن والإنس، بل يقولها موقنًا بمدلولها يقينًا جازمًا، فلا بد لمن أتى بها أن يوقن بقلبه، ويعتقد صحة ما يقوله غيرَ شاكٍّ فيها أو في شيء من لوازمها ومقتضياتها ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٤]

الأدلة على شرط اليقين في صحة الإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥].

وجه الدلالة: أنهم حققوا الإيمان بالله ورسوله ﷺ من غير ارتياب أو شك مصدقين ذلك بجميل الفِعال والخصال بأداء ما افُترض عليهم وترك ما

نُهوا عنه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٤].

وجه الدلالة: أن من كان عنده شك في دين الله تعالى أو في شيء منه فقد خالف طريق الرسالة وعصى أبا القاسم ﷺ وضلَّ طريق الهدى، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ أن يتبرأ منه.

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**مَنْ لقيتَ يَشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشِّرْه بالجَنَّةِ**»(١)

قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: أَخْبَرَنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذًا حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ. يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سَجْفَ الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ إِلَّا أَنْ تَتَّكِلُوا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وَقَالَ مَرَّةً: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ**»(٢)

---

(١) أخرجه مسلم [١ / ٥٥ رقم ٣١] باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٦ / ٣٨١ رقم ٢٢٠٦٠] وأخرجه الحميدي (٣٦٩)، وابن حبان (٢٠٠)، والطبراني في «الكبير» ٢٠/ (٦٣)

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ وَهِيَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، يَرْجِعُ ذَاكَ إِلَى قَلْبٍ مُوقِنٍ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهَا**»(١)

قال الإمام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكرُ البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جَلَّ وَعَلَا بالوحدانية، وكان ذلك عن يقينٍ من قلبه، لا أن الإقرار بالشهادة يوجب الجنة للمُقِر بها دون أن يُقِر بها بالإخلاص» صحيح ابن حبان

وقال شيخ الإسلام: «اليقين والريب والشك ونحوها يتناول علم القلب وعمله وتصديقه وعدم تصديقه وسكينته وعدم سكينته ليست هذه الأمور بمجرد العلم فقط كما يحسب ذلك بعض الناس»(٢)

ومعنى كلامه: أن هذه الأعمال القلبية كلها لا تقبل إلا بالعمل الظاهر الذي يصدقها، أما مجرد عمل القلب فقط فلا تقبل منه، كما لم يقبل من إبليس تصديقه ويقينه لتركه ما يوجب ذلك التصديق بامتناعه عن السجود.

وقال أيضًا: «فإن اليقين أيضًا يراد به العلم المستقر في القلب ويراد به العمل بهذا العلم. فلا يطلق «الموقن» إلا على من استقر في قلبه العلم والعمل»(٣)

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٦ / ٣٢٣ رقم ٢١٩٩٨]، وابن ماجه [٢ / ١٢٤٧ رقم ٣٧٩٦] باب فضل لا إله إلا الله، وأخرجه البزار في «مسنده» (٢٦٢١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٣٦)

(٢) مجموع الفتاوى [١٥ / ١٨٤]

(٣) مجموع الفتاوى [١٦ / ٣٣٧]

وقال: «أعظم الحسنات هو الإيمان بالله ورسوله، وأعظم السيئات الكفر، والإيمان أمر وجودي، فلا يكون الرجل مؤمنًا ظاهرًا حتى يظهر أصل الإيمان، وهو شهادة أن لا إله الا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله، ولا يكون مؤمنًا باطنًا حتى يقر بقلبه بذلك، فينتفي عنه الشك ظاهرًا وباطنًا مع وجود العمل الصالح»(١)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شَمَّر العاملون، وهو مع المحبة ركنان للإيمان، وعليهما ينبني وبهما قوامه، وهما يُمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية، وعنهما تصدر، وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما تقوى الأعمال، وجميع منازل السائرين إنما تُفتتح بالمحبة واليقين، وهما يثمران كل عمل صالح، وعلم نافع، وهدى مستقيم»(٢)

وقال الجنيد: «اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب»

وقال ابن عطاء: «على قدر قربهم من التقوى أدركوا من اليقين»(٣)

وقال ابن جزي: «الْيَقِين: وَهُوَ صدق الْإِيمَان حَتَّى يطمئن بِهِ الْقلب بِحَيْثُ لَا يتَطَرَّق إِلَيْهِ شكّ وَلَا احْتِمَال وَسَببه شَيْئَانِ، أَحدهمَا: قُوَّة الْأَدِلَّة

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه [٢٠ / ٨٦]
(٢) مدارج السالكين [٢ / ٣٩٧]
(٣) مدارج السالكين [٢ / ٣٩٨]

وَكَثْرَتهَا، وَالْآخر: نور من الله يَضَعهُ فِي قلب من يَشَاء»(١)

من لوازم شرط اليقين:

١ ـ اعتقاد صحة كل ما جاءت به لا إله إلا الله بجميع مقتضياتها ولوازمها.

٢ ـ عقد القلب على صحة أركان الإيمان كلها واطمئنانه بها.

٣ ـ انتفاء الشك والريب عن القلب تمامًا فيما يخص شيئا من أركان الإيمان وتوابعه بل وشرائع الإسلام جميعها؛ فإن تطرق إليه شك أزاله بالعلم وسؤال أهل العلم.

٤ ـ اليقين الجازم ببطلان جميع الأديان والأهواء والملل ـ سوى الإسلام ـ وكفر أتباعها، وعدم التوقف في كفر المشركين وبطلان مذهبهم: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

٥ ـ اليقين الجازم بعدم إمكانية تقارب الإسلام مع أي دين آخر كاليهودية أو النصرانية أو غيرها؛ فإنها كلها باطلة، شهد بذلك الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) القوانين الفقهية [ص ٢٨٥] لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي

والشك ضد اليقين وهو ناقض من نواقض لا إله إلا الله

تعريفه: الشك لغة: خلاف اليقين.

وهو: التردد بين شيئين، سواء استوى طرفاه، أو رجح أحدهما على الآخر. قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس:٩٤]، قال المفسرون: أي غير مستيقن.

وهو يعم الحالتين. كما يأتي ويراد به الطعن، يقال: شككته بالرمح شكا: أي طعنته

الشك في الاصطلاح: هو الوقوف بين منزلتي الجهل والعلم

أي: استواء طرفي الجهل والعلم، بلا مرجح لأحدهما عن الآخر

وهو عند الفقهاء - **كما قال ابن القيم وغيره** -«هو التردد بين وجود الشيء وعدمه، سواء تساوى الاحتمالان، أو رجح أحدهما».

والمراد بكفر الشك: **هو التردد بين الإيمان وعدمه في شيء من أصول الدين، أو بين التصديق وعدمه بخبر أو حكم ثابت مما هو معلوم من الدين بالضرورة.**

فإن حصل شك للعبد في أحد أركان الإيمان الستِّ أو ما يتعلق بها كفر، عياذًا بالله.

والشك ينافي شهادة التوحيد؛ لأن الشهادة قائمة على العلم واليقين، وإلا لم تكن شهادةً، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

فكفر الشك: هو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

وموضع الدلالة: قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ مع قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾، والمعنى: أن شكه وتردده في حقيقة القيامة وقيام الساعة أخرجه من دائرة الإيمان.

أنواع الشك كثيرة:

فمنها: الشك في وجود الله تعالى، أو قدرته أو وحدانيته، أو انفراده باستحقاق العبودية، أو الشك في صفة من صفاته، أو الشك في كلامه.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم:١٠].

❐ ومنها: الشك في الإيمان والتردد فيه

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥].

❐ ومنها: الشك في ركن من أركان الإيمان

كالشك في البعث والنشور، والشك في الرسل أو أحد منهم، أو الشك في الكتب السماوية.. الخ

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت:٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦].

ومنها: الشك في الأحكام الشرعية كالصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم... الخ

فمن شك في فرضية الصلاة كفر سواء صلى أم لم يصل، وكذا الزكاة والحج وسائر فرائض الإسلام.

❐ ومنها: الشك في الرسالة

بأن لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا كذبه؛ بل يشك في أمره، ويتردد في اتباعه؛ إذ المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول من ربه حق لا مرية فيه؛ فمن شك في الاتباع لما جاء به الرسول، أو جوز أن يكون الحق خلافه؛ فقد كفر كفْرَ شك.

إلى غير ذلك من أنواع الشك التي تُزيل إيمان العبد من أساسه.

نعوذ بالله تعالى من سوء الحال، ونسأله حسن المرجع والمآل

❐ والأدلة على كفر الشك كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وكلام العلماء، فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢].

وموضع الدلالة: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت:٥٠].

وموضع الدلالة: قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ فهذا التردد في ركن الإيمان باليوم الآخر مخرج من دائرة الإيمان، ولذلك عقَّب الله بعدها بقوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٧].

يقول الشنقيطي: (وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى».

وقال في حال المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

وقال في شأن المنافقين: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمَنْ لَقِيَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِهِمَا غَيْرَ شَاكٍّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١)

وعنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ: إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَغَزْوٌ لَا غُلُولَ فِيهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ**» وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ يُكَفِّرُ خَطَايَا تِلْكَ السَّنَةِ**»(٢)

وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «**فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ يُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَو الْمُوقِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا. فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَو الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»(٣)

---

(١) أخرجه: مسلم [١ / ٥٥ رقم ٢٧]باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، وأحمد [١٥ / ٢٧٨ رقم ٩٤٦٦]

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [١٢ / ٤٨٢ رقم ٧٥١١]، والدارمي [٢ / ٣٩٧ رقم ٢٧٣٩] باب أي الأعمال أفضل، وأخرجه الطيالسي (٢٥١٨)، وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٥٣)، والبيهقي في الكبرى [٣ / ١٤ رقم ٤٦٩٠] بَابُ مَنِ اسْتَحَبَّ الْإِكْثَارَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ

(٣) **متفق عليه**: البخاري [١ / ٢٨ رقم ٨٦] بَاب مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ، ومسلم [٢ / ٦٢٤ رقم ٩٠٥] باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار

وقال فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللهِ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**»(١)

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - بعد أن ذكر بعض المكفرات -: «وكذلك من أضاف إلى نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به، **أو شك في صدقه،** أو سبه.... فهو كافر بإجماع»

وقال الشيخ ابن سحمان: «وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر. والشك هو التردد بني شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا كذبه، ولا يجزم بوقوع البعث، ولا عدم وقوعه ونحو ذلك، كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة، ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الزنى، ولا عدم تحريمه، وهذا كفر بإجماع العلماء»(٢)

---

(١) **صحيح**: أخرجه: أحمد [٣٩ / ٣٦٨ رقم ٢٣٩٤٣]، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، وأخرجه البزار في «مسنده» (٣٧٤٩)، وابن حبان (٤٥٥٩)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ ٧٨٨)، والحاكم (١/ ١١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان [٢ / ٣٤٠ رقم ١٠١٩]

(٢) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق [٤ / ٦٣] دراسة وتحقيق: عبد السلام ابن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م.

قال شيخ الإسلام:

«فإن حال الكافر: لا تخلو من أن يتصور الرسالة أو لا؛ فإن لم يتصورها فهو في غفلة عنها وعدم إيمان بها.... وإن كان مع ذلك لا حظ له؛ لا مصدق ولا مكذب ولا محب ولا مبغض فهو في ريب منه كما أخبر بذلك عن حال كثير من الكفار منافق وغيره كما قال: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥].

وكما قال موسى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم:٩-١١].

فأخبر سبحانه: عن مناظرة الكفار للرسل في الربوبية أولا فإنهم في شك من الله الذي يدعونهم إليه وفي النبوة ثانيا بقولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾»(١).

(١) مجموع الفتاوى [٢ / ٧٨]

وقال أيضًا: «وإن كان مكذبًا له فهو التكذيب والتكذيب أخص من الكفر.

فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر. وليس كل كافر مكذبا؛ بل قد يكون مرتابا إن كان ناظرا فيه أو معرضا عنه بعد أن لم يكن ناظرا فيه وقد يكون غافلا عنه لم يتصوره بحال لكن عقوبة هذا موقوفة على تبليغ المرسل إليه.

وكل واحد من الأمرين في أن يضم إلى المعرفة المجملة إما تكذيب وإما كفر بلا تكذيب»(١)

وقال أيضًا في كفر الحلولية الاتحادية: «وأمثال هؤلاء ممن يقول بإلهية بعض البشر وبالحلول والاتحاد فيه ولا يجعل ذلك مطلقا في كل شيء. ومن هؤلاء من يقول بذلك في بعض النِّسوان والمُرْدان أو بعض الملوك أو غيرهم؛ فهؤلاء كفرهم شر من كفر النصارى الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم.

.... فهذا كله كفر باطنا وظاهرا بإجماع كل مسلم ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»(٢)

---

(١) السابق [٢ / ٧٩]

(٢) مجموع الفتاوى [٢ / ٣٦٨]

فيا أيها المسلم الحريص على دينه وإيمانه:

تعلم أصول دينك وعقيدتك، فإنها شعارك ودثارك، ولا تجعل قلبك مَرْتعًا لأصحاب الشبهات والفتن؛ بل اجعل من عقيدتك الصحيحة صخرة عظيمة تتكسر عليها كلُّ أمواج الشبهات، وكن في دينك قويًا متعلمًا مُعلِّمًا، يَصدر عنك الناسُ وقد أصابوا من يقينك خيرًا، تدلُّ الناسَ على طريق الخير، وتدفع عنهم ريبَ الظنون والشكوك، فيكون مثلك في الناس كالسراج المضيء لهم.

النوع الثامن:

من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم

لقد بعث الله النبي ﷺ بالإسلام، وجعله ناسخًا لما قبله من الأديان، وأخبر أنه لا يقبل من أحد دينًا سواه، فكل من دان بغير دين الإسلام؛ فهو كافر مخلد في نار جهنم إن مات على كفره ولم يتب منه، ولم يؤمن بنبينا ﷺ ويصدقه ويتبعه، وهذا أصل عظيم من أصول الديانة، ومن لم يعتقد هذا فليس من دين الإسلام في شيء، والأدلة على هذا كثيرة جدًّا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]،

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ

بَعْضِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

فكل هذه الآيات دليل على وجوب البراءة من كل دين غير دين الإسلام، فمن اعتقد صحة عقيدة أو دين أو ملة غير ملة الإسلام فقد كذب بهذه الآيات وغيرها مما جاء في كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

فسمى ما هم عليه أهواء وليس دينا، فكل ما سوى الإسلام أهواء ومذاهب بشرية مختلقة لا علاقة لها بوحي السماء البتة، أو هي شرائع دخلها التحريف والتبديل والتغيير؛ فهي باطلة لا يجوز اتباعها ولا التدين بها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وعن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) أخرجه مسلم [١ / ١٣٤ رقم ١٥٣]، وأحمد [١٤ / ٢٦١ رقم ٨٦٠٩]

قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ**»(١)

قال ابن حجر: «والتحقيق التفصيل: **فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر**، وإن قصد حقيقة التعليق(٢) فينظر **فإن كان أراد أن يكون متصفًا بذلك كفر**؛ لأن إرادة الكفر كفر، **وإن أراد البعد عن ذلك لم يكفر**.

لكن هل يحرم عليه ذلك أو يكره تنزيهًا؟ الثاني: هو المشهور.

وقوله: «كاذبًا متعمدًا» قال عياض: تفرد بزيادتها سفيان الثوري وهي زيادة حسنة يستفاد منها: أن الحالف المتعمد إن كان مطمئن القلب بالإيمان وهو كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه لم يكفر، وإن قاله معتقدًا لليمين بتلك الملة لكونها حقًّا كفر، وإن قالها لمجرد التعظيم لها احتمِل»(٣)

«**فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ فلا يعبدون إلا الله ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا بغيرها** قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٨ / ١٥رقم ٦٠٤٧] بَاب مَا يُنْهَى مِن السِّبَابِ وَاللَّعْنِ، ومسلم [١ / ١٠٣رقم ١١٠] باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأحمد [٢٦/ ٣١٥ رقم ١٦٣٨٩]

(٢) معنى التعليق أن القائل يقول مثلا: هو على ملة النصارى إن فعل كذا وكذا أو هو على ملة الصليب إن كان فعل كذا وكذا. وتفصيل قوله: أنه إن حلف على ملة غير الإسلام فإن كان معظما لها يحب الانتساب لها يكفر، وإن كان يحلف كاذبًا في حلفه أو يحلف بها غير معظم لها وهو يعلم بطلانها وعدم صلاحيتها؛ فهاتان الحالتان الأخيرتان حكمهما حكم الكبيرة، وليس الكفر.

(٣) فتح الباري [١١ / ٥٣٩]

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨]»(١)

فمن هذه النصوص ـ وغيرها كثير جدًّا ـ يتبين لنا وجوب اتباع دين الإسلام، واعتقاد بطلان ما سواه من الأهواء والديانات المزعومة الأخرى.

الإجماع على كفر من لم يكفر الكافر:

وعليه: فمن لم يكفر الكافر أو شك في كفره فقد ناقض شهادة التوحيد، وكذّب بكل هذه النصوص، والمكذِّب بنصوص الوحي القطعية فهو كافر، والإجماع منعقد على هذا المعنى بين أهل الملة جميعًا:

قال الإمام المالطي الشافعي: «وجميع أهل القبلة لا اختلاف بينهم أن من شك في كافر فهو كافر؛ **لأن الشاك في الكفر لا إيمان له**؛ لأنه لا يعرف كفرا من إيمان»(٢)

وقال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من سبَّ الصحابة رضوان الله عليهم، أو واحدًا منهم، واقترن بسبِّه دعوى أن عليًا إله أو نبي، أو أن جبرائيل غلط، فلا شك في كفر هذا، **بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره**.

قال: ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، إلاَّ نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر، أو أنهم فسقوا، **فلا ريب في كفر قائل ذلك، بل من شك في**

---

(١) مجموع الفتاوى [١٨ / ٣١٨]

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع [ص ٤٠] لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧

كفره فهو كافر»[١]

وقال شيخ الإسلام في الدروز[٢]: «**كُفرُ هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم**، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين بل هم الكفرة الضالون»[٣]

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «إن المرتدين افترقوا في ردَّتهم، فمنهم

---

(١) «الدرر السنية»: (١٢/ ٦٩، ٧٠).

(٢) فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، لهم عقائد كفرية كثيرة منها:

- يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع.
- ينكرون الأنبياء والرسل جميعًا ويلقبونهم بالأبالسة.
- يعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة.
- يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.
- يعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.
- حج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند.
- ولا يكون الإنسان درزيًا إلا إذا كتب أو تلى الميثاق الخاص.
- يقولون بتناسخ الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى.
- ينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويَّيْن
- ينكرون القرآن الكريم ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي ولهم مصحف خاص بهم يسمى المنفرد بذاته.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه [٣٥/ ١٦٢] الناشر مكتبة ابن تيمية

من كذب النبي ﷺ ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا: لو كان نبيًا ما مات؛ ومنهم من ثبت على الشهادتين، ولكن أقرَّ بنبوة مسيلمة، ظنًا أن النبي ﷺ أشركه في النبوة، لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك، فصدقهم كثير من الناس. ومع هذا: أجمع العلماء أنهم مرتدُّون ولو جهلوا ذلك، **ومن شك في ردتهم فهو كافر**»(١)

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بعد أن بيَّن أحوال وكفر الطواغيت المعبودة في بلده: «إذا عرفتم ذلك، فهؤلاء الطواغيت، الذين يعتقد الناس فيهم، من أهل الخرْج وغيرهم، مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشحون له، ويأمرون به الناس، كلهم كفار مرتدون عن الإسلام، ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا، لو كان باطلًا فلا يخرجهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل، أنه فاسق لا يقبل خَطُّه ولا شهادته»(٢)

وقال الشيخ أبو بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «وقد أجمع المسلمون: **على كفر من لم يكفر اليهود والنصارى، أو شك في كفرهم**، ونحن نتيقن أن أكثرهم جهال» انتهى.

تنبيهات مهمة:

اعلم ـ نضر الله وجهك ـ

١ ـ أن التكفير من أعظم معاني الكفر بالطاغوت، والمتشكك في تكفير

---

(١) «الدرر السنية»: (٨/ ١١٨).

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد [ص ١١٧] الناشر: دار الأخبار

الكفار الأصليين مكذب بكل نصوص الوحي المكفرة لهم معترضٌ عليها غير راضٍ بها ولا معتقد صحتها، والمتردد في تكفيرهم متردد فيها، وكل هذا من نواقض الإيمان بلا شك.

٢ ـ أن العبد لا يتم له حقيقة الإيمان حتى يتم له تحقيق الكفرِ بالطاغوت، ولا يُعتبر العبد كافرًا بالطاغوت حتى يعتقد كفرَ من كَفَرَ بالله وبرسوله ﷺ.

٣ ـ أن الكفر بالطاغوت وأعوانه وأنصاره والراضين به أحدُ ركني شهادة التوحيد، فلا إله إلا الله مبنية على ركنين: الأول الكفر بالطاغوت، والثاني: إثبات الألوهية لله رب العالمين وحده لا شريك له؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

٤ ـ أن قضية الولاء والبراء مبنية على حب المؤمن وبغض غيره ممن ليس على دين الإسلام، مهما كانت قرابته وصلته؛ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣].

وقال تعالى في ختام سورة الفاتحة التي لا تُقبل الصلاة إلا بها ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] فهذه عقيدة الولاء ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] وهذه عقيدة البراء، ختم الله السورة بهاتين الآيتين الكريمتين بعد أن ذكر جميع أنواع التوحيد: توحيد الربوبية ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وتوحيد الأسماء والصفات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣-٤] وتوحيد الألوهية وهو توحيد العبادة والقصد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ثم ختم بعقيدة الولاء والبراء؛ في دليل ظاهر بأن الله لا يقبل دين عبد إلا بالإتيان بها جميعًا مجتمعة.

والأدلة على هذا المعنى كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟**»، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «**حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟**» قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: «**حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟**» قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «**حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟**» قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «**حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟**» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «**حَسَنٌ، وَمَا هُوَ**

بِهِ؟» قَالَ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**»(١)

فتأمل كيف جعل الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، تلك العقيدة التي إذا انحلت عقدها وعُراها انحلت عُرى الإسلام عروة عروة، حتى لم يبق منه شيء، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية!

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ**»(٢)

٥ ـ أن تكفير الكافر والبراءة منه منهاج الأنبياء وسبيل الأتقياء وطريق السعداء؛ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦] وهذه السورة تعدل ربع القرآن، وكان ﷺ يقرأها قبل نومه، ويقرأها في الركعة الأولى من سنة الفجر وفي الثانية بقل هو الله أحد، وكذا في سنة المغرب البعدية، وكذا في ركعتي الطواف.

---

(١) **حسن بشواهده**: أخرجه أحمد [٣٠ / ٤٨٨ رقم ١٨٥٢٤] وأخرجه الطيالسي (٧٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤)

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [١ / ١٠٥]

٦ ـ اعلم أن أكثر الذين يقعون في هذا الناقض ما حملهم على هذا إلا:

«اتباع الهوى، الجهل بحقيقة الدين، الظن السيء بالله، الإعراض عن الدين وترك العمل بالتوحيد، موالاة الكفار، كثرة علماء السوء، الإعلام الخبيث، دعاة الإلحاد والأفكار المصادمة لعقيدة الكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار، الخوف على المصالح واستحباب الحياة الدنيا، التورع والخوف من تكفير المسلم»(١)

٧ ـ ثم اعلم أن فئامًا من الإعلاميين والإذاعيين والكُتَّاب ممن لا خلاق لهم يتحرجون من تكفير المشركين الأصليين، ويَكفُّون عن تكفير المشركين، أو يتباطؤون في تكفيرهم، فهم مترددون في ذلك، ويرمون من يكفرهم بالتطرف والإرهاب والتشدد في الدين؛ فنتج من جراء ذلك فتنةٌ عارمةٌ في قلوب بعض العوام، فصار مِثلَهم مترددًا شاكًا في تكفير الكفار، يحسبون أن هذا من سماحة الإسلام وحسن أخلاقه والتعايش السلمي مع الطرف الآخر، وكل هذه معان صحيحة بلا شك(٢)، لكنها وُضعت في غير

---

(١) شرح نواقض الإسلام (ص٨٣٩)

(٢) لا يشك أحد أبدًا أن الإسلام أعطى كل ذي حق حقه، ولو كان على غير ملة الإسلام، ومن هذا الحق الذي جاء به الإسلام عدم ظلم من كان على غير ملة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]
وفي الحديث: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**» البخاري [٩ / ١٢ رقم ٦٩١٤]، فالإسلام حرم ظلمهم وقتلهم ⇦=

موضعها، واستعملت في غير ما نزلت له، فما من دين أو مذهب ـ حتى الأديان المخترعة التي لا أصل لها في الشرائع السماوية ـ إلا وله نصيب من عقيدة الولاء والبراء؛ حتى عُبَّاد البقر والفئران وعُبَّاد الحجر والأوثان لهم غَيْرة على ما يعتقدونه ربًّا، فهم يوالون من على شاكلتهم ويبغضون ويحاربون من خالف دينهم وعقيدتهم، ألم يقل الله تعالى عن الكفار المشركين عُبَّاد الحجر والصنم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٥-٦].

فتأمل كيف غاروا على آلهتهم، كيف ساروا يحاربون الإسلام غيرة على أصنامهم!

وقال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤١-٤٢].

فإذا كان هذا في حق هؤلاء المنحرفين الضالين فما بال البعض ممن ينتسب للإسلام يخجلون من تكفير من ليس على دينهم، وعلامَ يعطون الدنيَّة في دينهم، وأيَّ عيونٍ تلك التي يغازلون بهذه الذلة والخسة والهوان؟

وأيَّ استرضاء لهم يرجون ويؤمِّلون؟

= من غير حق، فثمة فارق كبير بين اعتقاد كونهم كفارًا، وبين استحلال ظلمهم وقتلهم بغير حق.

وأيَّ محبة يطلبون منهم وعليها يحرصون؟

ألم يخبرنا أحكم الحاكمين، العليم الخبير: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

أليس هذا بيانًا شافيًا ونصًا قاطعًا في هذا الشأن، فإلى الله المشتكى فيمن أعرض عن كتاب الله واستدبره هاجرًا لنصوصه الكثيرة المحكمة، مفتونا زائغًا مبتغيًا للفتنة في اتباع متشابهه!

النوع التاسع:

اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ، وأنه يسعه الخروج عن شريعته

اعلم ـ علمك الله الخير:

أن الله بعث نبيه ﷺ للناس كافة بشيرا ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا، فهدى به من الضلالة، وبصَّر به من العَماية، ففتح به قلوبًا غُلفًا، وآذنًا صُمًّا، وأعيُنًا عُميًّا، وعلّق الخير والفلاح في الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه ونصرته؛ ذاك أنه أفضل رسله وخير أنبيائه، بل سيد ولد آدم ولا فخر، فهو سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، وهو حجة الله على العالمين، وفضَّله في الدنيا بأشرف الرسالات، وفي الآخرة بأرفع الدرجات، فله فيها المقام المحمود، والمنهل المورود، واللواء المعقود، والفخر المشهود، وله الزلفى والفضيلة والقِرَى والوسيلةُ والسبقُ والشفاعة لأهل النيران، إذا تكامل الأنبياء واجتمع الأولياء والأصفياء، ووفيت كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون، فالحمد لله الذي جعلنا من أمته، ومستحبي دعوته الدائنين دينه المرتضى، السالكين سبيله الأهدى صلى الله على محمد أفضل الصلوات وأزكاها، وخصه بأجزل التحيات وأنماها، فمن

اكتحلت عيناه بسنة النبي ﷺ اكتحلت به كلُّ عين، ومن لم تكتحل عيناه به فلا اكتحلت به عين ولا قرَّت به نفس.

الأدلة على وجوب الاكتفاء بالشرع وبما جاء به النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

ثم اعلم ـ علمك الله الخير:

أن من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ فهو كافر

فقد أخبرنا سبحانه بحبوط وبطلان عملِ من خالف أمر النبي ﷺ وأعرض عنه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣].

وجه الدلالة: أن ترك طاعة النبي ﷺ والتولي عنه محبط لعمل العبد، وهو منافٍ للإيمان وناقض من نواقض شهادة: أن محمدا رسول الله، فطاعته واتباعه ركن من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، كما قال

تعالى أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٠-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(١)

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢)

الأدلة على كفر من اعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

---

(١) أخرجه البخاري [١ / ١٢ رقم ١٣] بَاب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِن الْإِيمَانِ.

(٢) أخرجه البخاري [١ / ١٢ رقم ١٤] بَاب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِن الْإِيمَانِ.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

وقال النبي ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(١)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يَسْمَعَ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلاَ يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لاَ يُؤْمِنُ بِي، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، قَالَ: قُلْتُ: مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا إِلاَّ كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: فَوَجَدْتُ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود:١٧].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ**

(١) اخرجه: البخاري [١ / ٧٤ رقم ٣٣٥]، والدارمي [١ / ٣٧٤ رقم ١٣٨٩] باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام

مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

قال ابن كثير: «قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما: **ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمدًا وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه**، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بُعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

وقال طاووس، والحسن البصري، وقتادة: أخذ اللهُ ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا.

وهذا لا يُضادُّ ما قاله عليّ وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه. ولهذا رواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن ابن طاووس، عن أبيه مثل قول عليّ وابن عباس.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررتُ بأخٍ لي من قُرَيْظَة، فكتب لي جَوَامعَ من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيَّرَ وَجْهُ رسول اللهِ ﷺ -قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٢٣ / ٣٤٩ رقم ١٥١٥٦]

ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا -قال: فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ﷺ، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِن الأمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِن النَّبِيِّينَ**»(١).

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر حدثنا إسحاق، حدثنا حماد، عن مُجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ وإما أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَإِنَّه -واللهِ-لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»(٢)»(٣)

فهذه النصوص ـ وغيرها كثير جدًّا ـ يبين لنا وجوب اتباعه ﷺ، ووجوب الاقتصار على شريعته، وتحريم الالتفات لغيره، وأن من فعل هذا أو اعتقده أو جوَّزه فقد أتى ناقضًا من نواقض الإيمان.

وفي بيان هذا الناقض قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن لم يؤمن بأن هذا رسول الله إلى جميع العالمين، وأنه يجب على جميع الخلق متابعته، وأن الحلال ما أحله والحرام ما حرمه، والدين ما شرَّعه، **فهو كافر مثل هؤلاء**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٥) قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٣): «رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابر الجعفي وهو ضعيف».

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والبزار برقم (١٢٤)، والدارمي (١/ ١١٥) قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٤): «رواه البزار وأحمد وأبو يعلى». وقد حسنه الألباني، وتوسع في الكلام عليه فليراجع في كتابه: «إرواء الغليل» (٦/ ٣٤).

(٣) تفسير ابن كثير [٢ / ٦٨]

المنافقين ونحوهم ممن يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته إما عمومًا أو خصوصًا، ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله تعالى، وأن الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، **وكل هذا ضلال باطل**»(١)

وقال أيضًا: «ومن فضَّل أحدًا من المشايخ على النبي ﷺ، أو اعتقد أن أحدًا يستغني عن طاعة رسول الله ﷺ، **استتيب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وكذلك من اعتقد أن أحدًا من أولياء الله يكون مع محمد ﷺ** كما كان الخضر مع موسى ﷺ فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه»(٢)

وقال أيضًا: «ومن اعتقد أن لله رجالا خواصًّا لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى ﷺ....

فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء، فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام، ولو كان في نفسه زاهدا عابدا، فالرهبان أزهد وأعبد، وقد آمنوا بكثير مما جاء به الرسول، وجمهورهم يعظمون الرسول ويعظمون أتباعه، ولكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاء به، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض **فصاروا بذلك كافرين**»(٣)

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –: «ويدخل في هذا الناقض الذين يقولون: إن الشريعة إنما هي للزمان الماضي أما الوقت الحاضر فلا تصلح له الشريعة؛ لأنها حدثت معاملات وجدّت أمور لا تتناولها الشريعة! وهذا

---

(١) انظر جامع الرسائل (ص٤٤)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٢

(٣) الفتاوى الكبرى [١ / ١٨١] بتصرف يسير

معناه أن الشريعة قاصرة عندهم وليست من حكيم حميد، فلا شك في كفر من يقول هذا المقال»(١)

شبهة والرد عليها:

قد يقول قائل: فماذا نقول في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩].

وقوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦].

وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

وقوله: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية:٢١-٢٢].

فهذه النصوص خاصة بالكافر الأصلي الذي لم يدخل في الإسلام بعدُ؛ فإنه لا يُكره على الإسلام، فإنه إن أُكره عليه فأسلم كَرْها ثم حسُن إسلامه قُبل منه ظاهرًا وباطنًا، وأما إذا أسلم كَرْها وهو غير راضٍ به، غير راغب فيه فهو منافق باطنًا مسلمٌ ظاهرًا، وأما المسلم الذي نطق بالشهادتين وأقرَّ بهما وأذعن لهما؛ فإن من مقتضيات الإيمان التي تجب عليه: الإقرار والاتباع

(١) انظر شرحه للنواقض ص (١٨٣)].

وتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، فيطيعه فيما أَمر، وينتهي عما نهى عنه وزَجَر، وألا يَعبد الله تعالى إلا بما شرع، وأن يصدقه فيما أخبر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٨-٩].

أوجه الكفر في هذا النوع[1]:

١ ـ أن فيها تكذيبًا لله تعالى ولرسوله حيث أخبرنا الله ورسوله أن محمدًا خاتم الأنبياء، وأنه مرسل إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وأنه لا نبيَّ بعده فهو خاتم النبيين وأن الوحي والتشريع انقطع بموته، وأن طاعته واتباعه فرض يكفر تاركه.

٢ ـ أن فيه مناقضةً لركن الإيمان بالله، والذي يقوم على عبادته والعمل بدينه وأمره وطاعة رسوله ﷺ.

٣ ـ أن مرتكب هذا الناقض قد أبطل شهادته بأن محمدا رسول الله ﷺ، وكفر بالرسالة والإيمان بالرسل؛ لأن هذه الشهادة تستلزم الانقياد للرسول ﷺ واتباعه وطاعته والعمل بأوامره، بل ولا تقوم هذه الشهادة إلا بهذه الأفعال والأوصاف فهذه الشهادة تقتضيها، وتارك المتابعة كافر بشهادة أن محمدا رسول الله ﷺ، والكافر بها كافر بالله تعالى وليس بمسلمٍ، كما أن الرسول ﷺ لم يُبعث إلا لأجل أن يُطاع.

٤ ـ أنه مناقض لمبدأ الإسلام من أصله؛ لأن الإسلام يقوم على الانقياد

(١) انظر: شرح نواقض الإسلام (ص١٦٠٢، ١٦٠٧)

للشرع واتباعه والخضوع والاستسلام له، وهذا الناقض قائمٌ على ترك ذلك ومصادمته وإبطاله بالكلية، فأيُّ دين يبقى بعد ذلك لصاحبه؟!

٥ ـ أنه جاحد بدين الله وشرعه ومعترضٌ على كون الإسلام اكتمل وأنه تعالى لا يقبل غيره.

٦ ـ أن فيه تفضيلًا لغير هَدي الرسول ﷺ على هديه وحكمه.

٧ ـ أن فيه إعراضًا عن التحاكم إلى ما أنزل الله وما شرعه على لسان رسوله ﷺ.

٨ ـ أن فيه تحليلًا للحرام وتحريمًا للحلال واستحلالًا للكفر.

٩ ـ أن فيه امتناعًا عن الشريعة وإعراضًا عنها، وهذا كفر عملي.

الطوائف الواقعة في هذا النوع(١):

وقعت في هذا النوع من أنواع الكفر الأكبر الاعتقادي عدةُ طوائف:

الأولى: غلاة الصوفية

القائلون بأن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات وجميع التكاليف، وتباح لهم المحظورات.

الثانية: الباطنية والفلاسفة

الذين يرون أن للشريعة ظاهرا وهو ما عليه الناس والعامة، وباطنًا وهو ما هم عليه من الاستحلال لكل ما حرم الله تعالى.

---

(١) انظر: شرح النواقض (ص١٦٠٦، ١٦٠٧) بتصرف كثير واختصار

❐ الطائفة الثالثة: القاديانية والبهائية والبابية

وهذه الطوائف الثلاثة يرى مؤسسوها أنهم أنبياء نَسختْ شريعتُهم شريعةَ محمد ﷺ.

❐ الطائفة الرابعة: العلمانيون

القائلون أن الشريعة غير صالحة في الحكم بها في مسائل الاقتصاد والمعاملات والسياسة.

❐ الطائفة الخامسة: الليبراليون والدعاة إلى الحرية المطلقة

الذي يرون أن الدين تجربة شخصية، وأنه لا دولة للإسلام، وأن حكم النبي ﷺ غير ملزم لأحد، وأن الحدود كانت مناسبةً للمجتمع النبوي فحسب، وهي غير ملائمة للمجتمعات الحديثة إلى آخر هذا الشطط العقلي والفكري.

❐ السادسة: المدرسة العقلية الحديثة

التي تجعل من العقل حاكما على الشرع، ويعتبر مفكروها عصمةَ عقولهم، مع عدم الاكتراث بالنصوص الشرعية، وأنه يؤخذ منها ما يوافق العقل والعصر الحديث، وما عدا هذا يطرح ويهجر بلا حرج.

❐ السابعة: المشرِّعون والقانونيون والدستوريون

الذين يزعمون عصمة القوانين الوضعية، وتجويز تشريعها وسنها، وفرضها على الناس مع تأخير الشريعة، وعدم الاعتراف بها، واتهامها بالقصور وعدم الواقعية.

❐ الثامنة: القرآنيون

الذين يرون الاقتصار فقط على القرآن، وينفون السنة تمامًا، ومنهم من يُثبِت الحديث المتواتر، وينفي أخبار الآحاد.

النوع العاشر:

كفر الإعراض

اعلم علَّمك الله الخير:

أن الأصل في المسلم إذعان قلبه لله رب العالمين، وخلوُّه من مرضي الشبهات المُردية والشهوات المهلكة فذلك «القلب السليم الذي ينجو من عذاب الله وهو القلب الذي قد سلم من هذا وهذا، فهو القلب الذي قد سَلِم لربه وسلم لأمره، ولم تبق فيه منازعة لأمره، ولا معارضة لخبره، فهو سليم مما سوى الله وأمره لا يريد الا الله، ولا يفعل إلا ما أمره الله، فاللهُ وحده غايته، وأمرُه وشرعه وسيلته وطريقتُه، لا تعترضه شبهةٌ تحول بينه وبين تصديق خبره ـ لكن لا تمرُّ عليه إلا وهي مجتازة تَعلْمُ أنه لا قرار لها فيه ـ ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه، ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك، وسليم من البدع، وسليم من الغي، وسليم من الباطل»(١)

ثم اعلم أن من أصول الإيمان: الإذعان والاستسلام ظاهرا وباطنا لله تعالى، والالتزام بدينه وشرعه وامتثال أمره، والقيام بطاعته والعمل بكتابه

(١) مفتاح دار السعادة [١ / ٤١] الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

وعبادته وحده لا شريك له، وعدم الامتناع عن ذلك، وإظهار الخضوع والاستكانة والتواضع للشرع، ولما جاء به النبي ﷺ.

الأدلة على أن الانقياد شرط من شروط لا إله إلا الله.

الأدلة من نصوص الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على اشتراط الانقياد:

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان:٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود:١١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣].

والأدلة من القرآن على هذا المعنى كثيرة جدًّا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(١)

وعن ابْن الْخَصَاصِيَّةِ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ لِأُبَايِعَهُ، قَالَ: **فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَأَنْ أُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ، وَأَنْ أَحُجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَأَنْ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ.**

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا اثْنَتَانِ، **فَوَاللهِ مَا أُطِيقُهُمَا: الْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ،** فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ مَنْ وَلَّى الدُّبُرَ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، فَأَخَافُ إِنْ حَضَرْتُ

(١) أخرجه البخاري [٩ / ٩٢ رقم ٧٢٨٠] باب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

تِلْكَ جَشِعَتْ نَفْسِي، وَكَرِهَتِ الْمَوْتَ، وَالصَّدَقَةُ فَوَاللهِ مَا لِي إِلَّا غُنَيْمَةٌ وَعَشْرُ ذَوْدٍ، هُنَّ رَسَلُ أَهْلِي وَحَمُولَتُهُمْ.

قَالَ: فَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ حَرَّكَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**فَلَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ، فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذًا؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أُبَايِعُكَ. قَالَ: «**فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ**»(١)

و**وجه الدلالة**: أن ابن الخصاصية كان عنده قبول قلبي وتصديق بما جاء به النبي ﷺ، لكنه امتنع عن الانقياد الكامل لكل ما جاء به؛ فلذلك لم يبايعه النبي ﷺ حتى أقرَّ بالانقياد والالتزام بكل ما بُعث به ﷺ.

وعَن ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(٢)

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَرَّ بِي عَمِّي الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو وَمَعَهُ لِوَاءٌ قَدْ عَقَدَهُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْ عَمِّ، أَيْنَ بَعَثَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: «**بَعَثَنِي إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ**»(٣)

وجه الدلالة من الحديث: أن هذا الرجل لم ينقد لأمر الله تعالى بتحريم

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٦/ ٢٨٤ رقم ٢١٩٥٢]

(٢) أخرجه البخاري [١ / ١٤ رقم ١٥] بَاب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٠/ ٥٤٣ رقم ١٨٥٧٩]

نكاح زوجة الأب بعد موته، على ما كان موجودا في العرب قبل الإسلام، وقد جاء الإسلام بتحريم هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢].

وهذا الرجل قد بلغته الحجة وقد قرأ سورة النساء التي نزل فيها التحريم، فليس له عذر، ولذلك أقيم عليه الحد.

وقد أجمع السلف من الصحابة ومن بعدهم على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فمن فقد أحد هذه الثلاثة فهو كافر غير مسلم

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

«فإنه يعني بـ «إسلام الوجه»: التذلل لطاعته والإذعان لأمره. وأصل «الإسلام»: الاستسلام، لأنه «من استسلمت لأمره»، وهو الخضوع لأمره. وإنما سمي «المسلم» مسلمًا بخضوع جوارحه لطاعة ربه»(١)

وقال العلامة الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

قال: «أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا

(١) انظر تفسير الطبري [٢ / ٥١٠]

يؤمن أحد حتى يُحكِّم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرًا وباطنًا ويسلمه تسليمًا كليًّا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، وبين في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهرا وباطنا لما حكم به ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]»(١).

الإعراض عن الدين من نواقض الإيمان

فالإيمان لما كان خضوعًا واستجابةً وقبولًا لدين الله، عُدّ الإعراض الكلي عن هذه الأمور ناقضًا للإيمان ومفسدًا له؛ فالإعراض ترك القبول لما جاء به الدين عقيدة وشريعة.

وهذا الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به هو تَولٍّ عن طاعة الرسول ﷺ، وامتناع عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية؛ قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وقال جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٤-١٢٧].

---

(١) انظر أضواء البيان [١ / ٢٤٥]

قال ابن القيم: «والمقصود أن الله سبحانه أخبر أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى فإن له معيشة ضنكا، وتكفل لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علمًا وعملًا في العاجلة بالحياة الطيبة وفي الآخرة بأحسن الجزاء، وهذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ ونسيانه في العذاب بالآخرة»(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**قد تبيّن أن الدين لابدّ فيه من قولٍ وعملٍ**، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجبًا ظاهرًا، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صيامًا، ولا غير ذلك من الواجبات»(٢)

وقال ابن القيم: «كفر الإعراض: أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»(٣)

---

(١) مفتاح دار السعادة [١ / ٤٣]

(٢) مجموع الفتاوى [٧ / ٦٢١]

(٣) مدارج السالكين [١ / ٣٣٨]

ورد ذكر الإعراض في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا(١)

١- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢].

قال الإمام القرطبي: «ثم أعرض عنها بترك القبول»(٢)

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...أي: تناساها، وأعرض عنها، ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالًا»(٣).

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظ بآيات ربه التنزيلية أو التكوينية أو مجموعهما فتهاون بها، وأعرض عن قبولها، ولم يتدبرها حق التدبر، ويتفكر فيها حق التفكر»(٤).

وقال محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: أي تولى وصد عنها»(٥).

٢- قال سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١].

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...الغفلة عن الشيء، والإعراض عنه متنافيان،

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية [١ / ٣٣٧] بتصرف.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٠٨)
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٩١).
(٤) فتح القدير (٣/ ٢٩٦).
(٥) أضواء البيان (٤/ ١٤٢)

لكن يجمع بينهما باختلاف حالين، أخبر عنهم، أولًا: أنهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يَؤُول إليه أمرهم، ثم أخبر ثانيًا، أنهم إذا نُبِّهوا من سِنَة الغفلة وذكروا بما يَؤُول إليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك»(١).

٣- قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ [طه:١٠٠].

أي: أعرض عنه فلم يؤمن به، ولا عمل بما فيه.

٤- وقال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤].

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...والظاهر أن الإعراض متسبب عن انتفاء العلم لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل أعرضوا عن الحق، وقال ابن عطية: «ثم حكم عليهم تعالى بأن أكثرهم لا يعلمون الحق لإعراضهم عنه، وليس المعنى فهم معرضون؛ لأنهم لا يعلمون، بل المعنى فهم معرضون ولذلك لا يعلمون الحق»»(٢).

٥- وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني القرآن، قاله ابن زيد، وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما: عن القبول، إن قيل في أهل الكفر، الثاني عن العمل، إن قيل إنها في المؤمنين»(٣).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٢٩٦).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٣٠٦)، وانظر فتح القدير(٣/ ٤٠٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٩)، وانظر ١٤/ ١٠٨).

٦- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أعرضتم عن طاعتي، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ قال: القليل الذين اخترتهم لطاعتي، وسيحل عقابي عمن تولَّى وأعرض عنها».

وقال أيضًا: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾، أي تركتم ذلك كله

٧- قال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم يستدبر عن كتاب الله الذي دعا إلى حكمه، معرضًا عنه منصرفًا، وهو بحقيقته وحجته عالم»(١).

وورد في القرآن الكريم ذكر التولي بمعنى الإعراض، وترك الطاعة مثل:

٨- قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ ثم أعرضتم، وإنما هو (تفعلتم) من قولهم: ولاني فلان دبره. إذا استدبر عنه وخلفه خلف ظهره، ثم يُستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمر بها»(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٩١).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٦٢)

٩- وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٤٣].

قال الإمام الطبري: «﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ يقول: يتركون الحكم به، بعد العلم بحكمي فيه، جرأة علي وعصيانًا لي»(١).

وقال: «وأصلُ التولي عن الشيء الانصرافُ عنه...»(٢)

ووردَ لفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة في مواضع من القرآن،

كقوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٦].

وقوله سبحانه: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٥-١٦].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١-٣٢].

قال شيخ الإسلام: «فالتكذيب للخبر، والتولي عن الأمر، **وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أَخبروا، وطاعتهم فيما أَمروا**»(٣)

وقال في موضع آخر تعليقًا على هذه الآيات: «فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، **فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول**

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٣٦)

(٢) نفسه (١٠/ ٣٣٧).

(٣) الإيمان الأوسط (ص ١٥٤) الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة، التولي»(١)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمتولي هو العاصي الممتنع عن الطاعة».

والأدلة على كفر الإعراض من القرآن كثيرة جدًّا، وفيما ذكر نفعٌ وكفايةٌ إن شاء الله.

ومن السنة:

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»(٢)

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى

(١) مجموع الفتاوى [٧ / ١٤٢]

(٢) أخرجه البخاري [١ / ٢٤ رقم ٦٦] بَاب مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا

قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ **وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١)

وقال شيخ الإسلام في قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور:٤٧-٥٠].

قال: «فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول: سمعنا وأطعنا فإذا كان النفاق يثبت **ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم**»(٢)

معاني الإعراض في الكتاب والسنة:

بعد هذا الإيجاز لكلام أهل اللغة والمفسرين، يمكن أن نستخلص من معاني الإعراض ما يلي:

١- **أن الإعراض يأتي بمعنى:** عدم الاستماع لأوامر الله عَزَّوَجَلَّ، وعدم المبالاة بها أو التفكر فيها وهو الغالب.

---

(١) أخرجه البخاري [٢ / ٩٥ رقم ١٣٦٠] بَابٌ إِذَا قَالَ الْمُشْرِكُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

(٢) الصارم المسلول [ص ٤٢]

٢- **ويأتي بمعنى**: عدم القبول لها، وهذا يأتي بعد الاستماع لها والتذكير بها.

٣- **ويأتي بمعنى** الامتناع والتولي عن الطاعة، وهذا يكون بعد الاستماع والقبول.

٤- **ويأتي بمعنى**: ترك العمل.

٥- **ويأتي بمعنى**: الصدود.

٦- **ويأتي بمعنى**: ترك حكم الله، والانصراف عنه مع العلم بحقيقته.

بأي شيء يقع الإعراض؟

الأول: **يتعلق بالعلم**، وهو قول القلب، من عدم الاستماع، وعدم المبالاة.

الثاني: **يتعلق بالعمل**: عمل القلب والجوارح.

أ- **عمل القلب**: من عدم القبول والاستسلام.

ب- **عمل الجوارح**: من الامتناع وعدم الانقياد الظاهري بترك العمل، والتولي عن الطاعة.

الثالث: **الإعراض عن حكم الله والتحاكم إليه**.

فهذا هو مفهوم الإعراض، وهذه هي أنواعه وحالاته.

الإعراض المكفر وغير المكفر

بعد ذكر مفهوم الإعراض وحالاته، يرد علينا هذا التساؤل، ما الإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام؟

ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنواع الكفر الأكبر: كفر الإعراض، وعرفه قائلًا: «وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة...»(١)،

وفصل ذلك في موضع آخر فقال: «..إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها،

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها،

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»(٢)

فالإعراض المكفر على حسب ما ذكره هو نوع من اللامبالاة فلا يسمع الحجة، ولا يبحث عنها، ولا يفكر في ذلك، ولا يعني ذلك أن الإمام يحصر كفر الإعراض بما ينافي قول القلب فقط، لكنه لا يسمي في كلامه ترك العمل بعد العلم كفر إعراض، وإنما يطلق عليه كفر عناد وهو نفسه كفر الإعراض من جهة التولي وترك العمل والامتناع....

كذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كفر الإعراض المنافي لقول القلب حيث قال: «...والكفر أعم من التكذيب فكل من كذب الرسول

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٦، ٣٦٧)، انظر مفتاح دار السعادة،(ص ٩٤).

(٢) طريق الهجرتين (ص ٣٨٤)، انظر ما قبلها، وانظر مفتاح دار السعادة (ص ٤٤)، إرشاد الطالب (ص١٢، ١٣).

كافر، وليس كل كافر مكذبًا، بل من يعلم صدقه، ويقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر، **أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب...**»(١).

وكذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر ضمن نواقض الإسلام «العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، فالإمام كما يبدو من كلامه يعتبر جهل أصول الدين والإعراض عن تعلمه مع القدرة كفرًا أكبر وكذلك ترك العمل بعد ما يعلم.

أما الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد أجاب إجابة شاملة وموجزة حينما سئل عن الإعراض الناقض للإسلام، فقال: «إن أحوال الناس تتفاوت تفاوتًا عظيمًا وتفاوتهم بحسب درجاتهم في الإيمان إذا كان أصل الإيمان موجودًا والتفريط والترك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات، وأما إذا عدم الأصل الذي يدخل به الإسلام وأعرض عن هذا بالكلية، فهذا كفر إعراض، فيه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، ولكن عليك أن تعلم أن المدار على معرفة حقيقة

(١) الفتاوى الكبرى [٦ / ٥١٨]

الأصل وحقيقة القاعدة وإن اختلف التعبير واللفظ...»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن، وإن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض والسب ونحوه»[٢]

، فشيخ الإسلام يبين أن الإيمان يزول بمجرد الإعراض والترك المحض لحكم الرسول ﷺ، حتى لو لم يقترن بهذا الترك استحلال أو جحود والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١].

قال الإمام ابن القيم في معنى هذه الآية: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه والتسليم لما حكم به رضى واختيارًا ومحبة فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق...»[٣].

---

(١) منهاج أهل الحق والاتباع للشيخ سليمان بن سحمان (ص ٦٤، ٦٥)، وانظر منهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبد اللطيف (ص ٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) الصارم المسلول [ص ٤٢]

(٣) الصواعق المرسلة [٤ / ١٥١٨] الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ – ١٩٩٨

وإذًا نستخلص من كلام الأئمة في تفسيرهم للآيات وكلامهم عن كفر الإعراض أن الإعراض الناقض للإسلام هو إعراض عن أصل الإيمان، إما أن يعرض إعراضًا تامًا عن تعلم أصول الدين مع قدرته على ذلك أو عن قبولها والانقياد القلبي لها، أو يعرض إعراضًا تامًا عن العمل بالجوارح، أو يعرض عن حكم الله ورسوله ﷺ

أسباب الإعراض:

والإعراض له أسباب كثيرة منها:

الجهل وهو أعظمها، والتفريط والغفلة، ومنها التقليد، ومنها الرغبة عن الدين وعدم الاكتراث به، ومنها: حب الدنيا وإيثارها والاستكثار منها، ومنها الكبر والبطر والعجب والاستنكاف عن قبول الحق والعمل به.

هل يعذر المُعرِض الجاهل؟(١)

الجهل على نوعين:

الأول: جهل ناتج عن عدم وجود العلم وعدم إمكانيته:

كما يحصل لأهل البوادي الذين لم يجدوا من يعلمهم، وهذا القسم إن كان صاحبه من أهل الإسلام ولم يقع في الشرك فهذا يُعذر ولا يكفر، وإن كان واقعا في الشرك فيكفر صاحبه وتجري عليه بعض أحكام الكفر كالتي تتعلق بالنكاح والتوارث والصلاة عليه، أما القتل واستباحة الدم والمال فلا، كذلك العذاب يوم القيامة فلا يكون قبل الحجة الرسالية.

---

(١) انظر شرح النواقض (ص٣٩٧)

❑ الثاني: جهل سببه التفريط في التعلم والإعراض وعدم طلب الحق، وهذا غير معذور على الإطلاق

قال ابن القيم في طريق الهجرتين: «قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧] فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وضلاله به إنما كان بسبب اعراضه وعَشْوِه عن ذكره الذي أنزله على رسوله ﷺ فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاين هلاكه وإفلاسه ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨] **وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة.**

فإن قيل: فهل لهذا عذر في ضلال إذا كان يحسب أنه على هدى؟

كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٧].

قيل: **لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، ولو ظن أنه مهتد فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، فإذا ضل فإنما أتى من تفريطه وإعراضه.**

وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن إنما يتناول الأول وأما الثاني: فإن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]»(١).

---

(١) مفتاح دار السعادة [١ / ٤٤]

خاتمة حتى لا نقع في هذا الناقض:

واختم هذا الناقض بهذه الآية

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي: فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يعني الفرقة القاعدين، يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم، فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم، وتبعث سرايا أخر، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ لا يعملون بخلافه»(١).

قلت: في هذه الآية أوجب الله تعالى على كل مجتمع أن تخرج منه طائفة لتتفقه في الدين وتتعلم الشرائع ثم ترجع فتعلم بقية المجتمع مما لم يخرج للتعلم والتفقه، **فالطائفة الأولى: واجبها التعلم والتفقه ونشر العلم والدين، والطائفة الثانية: واجبها قبول العلم والهدى والسمع والطاعة الذي جاءت به الطائفة الأولى، فإن قصَّرت إحدى الطائفتين فيما أوجب الله عليها فقد أثمت، وإن قصرت الطائفتان كلتاهما فقد لحق المجتمعَ كلَّه الإثمُ والذنبُ**

(١) تفسير البغوي [٤ / ١١١]

العظيمُ بترك تعلم الدين والإعراض عن تعلمه وكذلك بالإعراض عن العمل به واتباعه وتطبيقه وتحكيمه.

وقد اختلف المفسرون في أي الطائفتين التي تخرج للتعلم هل هي النافرة أم القاعدة؟

قال ابن القيم: «ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه وانذار قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم وقد اختلف في الآية فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم؛ بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين فيكون النفير على هذا نفير تعلم...

وقالت طائفة أخرى: المعنى وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم؛ بل ينبغي أن تنفر طائفة للجهاد وفرقة تقعد تتفقه في الدين فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدة وعلمتها ما أنزل من الدين والحلال والحرام، وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة وهذا قول الاكثرين...

وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين وتعلمه وتعليمه فإن ذلك يعدل الجهاد بل ربما يكون أفضل منه»[1]

(١) مفتاح دار السعادة [١ / ٥٦] باختصار

النوع الحادي عشر:

النفاق الاعتقادي

اعلم ـ علمك الله الخير:

أن الأصل في المسلم أن يؤمن إيمانًا كاملًا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، محققًا ذلك بقلبه ولسانه وجوارحه، صادقًا في إيمانه، محبًا لشهادة التوحيد: لا إله إلا الله ولوازمها ومقتضياتها، منقادًا لما تقتضيه ظاهرًا وباطنًا؛ فيحبُّ التوحيد وأهلَه، ويحب من أُرسل به وهو رسول الله رب العالمين ﷺ، ويحب الدينَ الذي جاء به، والشرعَ الذي أُلزم به ـ وهو الإسلام ـ فيحب كلَّ ما جاء من شريعة الإسلام من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغيرها من شرائع الإسلام، عاملًا بذلك غير مستكبر ولا مُستنكفٍ ولا معرضٍ عن شيء منه، مبغضًا للشرك وأهله، متبرئًا من كل أنواع الشرك وعبادة الطاغوت، هاجرًا لكل أنواع الأقوال والأعمال والاعتقادات والأعيان الشركية.

وأما إذا أظهر الإسلام والانقياد ظاهرًا فقط، وفي باطنه معرضٌ مبغضٌ لشهادة التوحيد وما جاءت به، مبغضٌ للرسول ﷺ أو لما جاء به فذاك النفاق الذي ذكر الله في كتابه.

فالنفاق: أن يُظهِرَ للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كلّه مكذّب به. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

والنفاق: تدور معاني هذه الكلمة في اللغة حول: جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه.

قال ابن رجب الحنبلي: «والذي فسره به أهلُ العلم المعتبرون أنَّ النفاقَ في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير، وإبطان خلافه»(١).

«والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه، وهو مأخوذ من «نافق اليربوع» وهو جحر من جحرته يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي فيه دخل، فيقال: قد نفق ونافق ومنافق، يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد، شبيه بفعل اليربوع، لأنه يدخل من باب ويخرج من باب، فما كان من الأحاديث فيها ذكر النفاق، وليس معناها أن من فعل شيئا مما ذكر فيها فهو منافق كنفاق من يظهر الإسلام ويسر الكفر، إنما معناها أن هذه الأفعال والأخلاق من أخلاق المنافقين وشيمهم وطرائقهم.

ومثله: «أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قرأت البارحة بَرَاءة فَخَشِيت أن أكون قد نافقت، فقال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»، قال: نعم، قال «**تحدث بذلك نفسك؟**» قال: لا، قال: «**أنت مؤمن**»(٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣/ ١٢٥٠)

(٢) أصول السنة (ص: ٣٨٨) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، الناشر: ⇦=

أساس النفاق:

وأساس النفاق الذي بُني عليه: أن المنافق لابد وأن تختلف سريرته وعلانيته، وظاهره وباطنه؛ ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

وأمثال هذا كثير.

قال ابن القيم: «وَأَسَاسُ النِّفَاقِ وَأَصْلُهُ: هُوَ التَّزَيُّنُ لِلنَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِي البَاطِنِ مِنَ الإِيمَانِ»(١)

إذن: أخصُّ وأهمُّ ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن، وبين الدعوى والحقيقة كما قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : «أجمع جميعُ أهل التأويل على أنَّ هذه الآية نزلتْ في قومٍ من أهلِ النِّفاقِ، وأنَّ هذه الصفة صفتُهم»(٢).

وَقَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ يُقَالُ: النِّفَاقُ اخْتِلافُ السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ،

=

مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٦٩) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٦٨)

وَالقَولِ وَالعَمَلِ»[١]

وروي عنه أنَّه قال على المنبر: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم المنافقُ العليم، قالوا: كيف يكون المنافق عليمًا؟ قال: يتكلم بالحكمةِ، ويعمل بالجَوْر، أو قال: المنكر»

وسُئل حذيفة عن المنافق، فقال: «الذي يَصفُ الإيمانَ ولا يعملُ به»

وفي صحيح البخاري: قَالَ أُنَاسٌ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ خِلاَفَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»[٢]

وفي المسند عن حُذيفة، قال: «إنكم لَتَكَلَّمُونَ كلامًا إِنْ كنّا لنعدُّه على عهد رسول الله ﷺ النفاق، وفي رواية قال: إنْ كان الرجلُ ليتكلَمُ بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ، فيصير بها منافقًا، وإنِّي لأسمعها من أحدِكم في اليوم في المجلس عَشْرَ مرارٍ»[٣].

قال بلالُ بنُ سعد: «المنافق يقولُ ما يُعرَفُ، ويعمل ما يُنكَرُ»

أنواع النفاق[٤]

النفاق على نوعين اثنين:

---

(١) صفة النفاق (ص٥٠)، وصحح إسناده المحقق.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٧١ رقم ٧١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٧١رقم ٧١٧٨)

(٤) انظر: النفاق مرض العصر (ص٤٥) للمؤلف بتصرف واختصار

❐ النوع الأول: النفاق الأكبر

وهو النفاق الاعتقادي الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر - «بأن يظهر تكذيب الرسول ﷺ أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرَّة بانخفاض دينه أو المَساءة بظهور دينه. ونحو ذلك: مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله ﷺ. وهذا القدر كان موجودا في زمن رسول الله ﷺ وما زال بعده؛ بل هو بعده أكثر منه على عهده؛ لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى. فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجودًا فوجوده فيما دون ذلك أولى»(١).

«وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار - وقد وصف اللّه ﷻ أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم في عداوة الإسلام - وهؤلاء موجودون في كل زمان

قال ابن رجب الحنبلي: «وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كلَّه أو بعضَه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار»(٢)

قلت: إِنَّ قَصْر تعريف النفاق الاعتقادي على إظهار الإسلام وإخفاء

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١)

الكفر غيرُ جامعٍ؛ فلا شك أن أصحاب هذا النوع شديدي النكاية على الإسلام؛ لتمام بغضهم وشدة عداوتهم، واستحكام كفرهم وزندقتهم، فهم يعلمون ذلك من أنفسهم، ويشهدون على أنفسهم بالكفر الصراح كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧]، ولكن ينبغي أن يُضمَّ إلى هذا النوع من المنافقين نوعٌ آخرُ: وهو المسلم الذي تلبَّس بنوع من أنواع النفاق الأكبر كبغض شرع اللهﷻ، أو إنكار شريعته وحكمه، أو بغض سنة النبي ﷺ أو شيء منها إلى آخر ذلك من أنواع النفاق الاعتقادي، وإن كان لا يشعر بذلك، فلا يلزم ـ إذن ـ أن يكون شاهدًا على نفسه بالكفر والنفاق وبغض الإسلام ومحاربته ـ كالنوع الأول ـ؛ بل ربما يكون مصليًّا مزكيًّا، وقد يكون منفقًا قد بنى مسجدًا أو قدَّم أعمالًا خيريةً؛ لكنه في الوقت ذاته ينكر الحدود ويبغض الشريعة، ولا يحب السنة فهو يحاربها ويسعى في هدمها ومحاربة أهلها، ومدافعة شرع الله تعالى؛ وهذا النوع الأخير أشدُّ خطرًا وأكثر شيوعًا وعددًا من النوع الأول بلا شك.

إنَّ تَستَّر هذا النوع من المنافقين ببعض الأعمال الخيرية ليس شيئا جديدًا قد استحدثوه؛ بل هو أمر قديم جدًّا؛ فقد قام المنافقون في زمان النبوة ببناء مسجد!!، نعم ببناء مسجد؛ لحرب الإسلام والتفريق بين المؤمنين وتدشين حملات التشويه والإشاعات للصفِّ المسلم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن

تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

ونعم أيضًا، كان المنافقون في زمان النبوة يصلون ويزكون ويحجون، ويظهرون الموالاة والطاعة لله ولرسوله ﷺ؛ فقد كان رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول يقف أمام المنبر وينصح قومه بطاعة النبي ﷺ، وهذا قَزمَان المنافق يقاتل يوم أُحُدٍ حتى يموت!

يقول عاصم بن عمر بن قتادة: «كان فينا رجل أتى لا يُدرَى ممن هو يقال له: قزمان وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له: «**إنه لمن أهل النار!**»

قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالًا شديدًا فقتل وحده ثمانيةً أو سبعةً من المشركين، وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتُمل إلى دار بني ظُفَر. قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: واللهِ لقد أبليتَ اليوم يا قزمان فأبشر! قال: بماذا أُبَشَّر فوالله إنْ قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلتُ. قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهمًا من كنانته فقتل به نفسه»(١)

وأنا أريد أن أؤكد على هذا القيد الأخير في النوع الثاني: وهو كونهم لا يشعرون بأنهم منافقون، ولا بأنهم متلبسون بنوع من أنواع النفاق الاعتقادي ولا بناقض من نواقض الإيمان وهذا واضح في آيات كثيرة كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ

(١) السيرة النبوية (٤/ ٣٧)

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

ففي هذه الآيات يشير سبحانه وتعالى إلى كونهم لا يعلمون أنهم مفسدون في الأرض ولا بكونهم سفهاء العقول والقلوب، وأنَّ ما يقومون به من جهد وتعب هو في حقيقته إفساد في الأرض؛ فهم غافلون جاهلون بحالهم.

❐ النوع الثاني: النفاق الأصغر:

والنوع الثاني من أنواع النفاق هو ا لنفاق الأصغر

«وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها: مثل أن يكذب إذا حدَّث، ويُخلف إذا وعد، ويخون إذا اؤتمن، أو يفجر إذا خاصم. ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعْدَ أَخْلَفَ**».

وفي رواية «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ**».

ومن هذا الباب: الإعراض عن الجهاد. فإنه من خصال المنافقين. قال

النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ» رواه مسلم(١)

المسلم قد يحدث له النفاق الأكبر عند ظهور الفتن:

مما ينبغي التنبيه عليه: أن الفتن إذا غَشيت المجتمع المسلم فإنها تزلزل القلوب، وتعصف بهيشات الأسواق، وتخرج معادن الرجال ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]، فإذا أقبلت الفتن غَربلت المجتمع المسلم؛ فيزول معها المنافقون وأما المؤمنون فيزدادون إيمانا وإحسانًا وثباتًا ويقينًا ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

وأما المنافقون فتُخرِج الفتن مُخبَّآتِ قلوبهم وما التأمت عليه من النفاق والرجس والخبث ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

وهذه الغرْبلةُ لابد منها لكل مجتمع، فسنة التمحيص سنة كونية قدرية: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٥)

فالفتن ممحِّصَةٌ للصف، مُظهرةٌ لمعادن الرجال، كاشفةٌ لأسرار المنافقين، فاضحةٌ لمخبَّآت قلوبهم ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفرٍ أو وُلدوا على الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ﷺ **فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل**. ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك وإلا فكثير من الناس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد، **ولو شُكِّكوا لشَكُّوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفارا ولا منافقين**؛ بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأُ الرَّيْب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ﷺ ما يقدمونه على الأهل والمال.

وهؤلاء إنْ عُوفُوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة. **وإن ابتلوا بمن يُورد عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق. وكذلك إذا تعين عليهم الجهادُ ولم يجاهدوا كانوا من أهل الوعيد؛ ولهذا لما قدِم النبي ﷺ المدينة أسلم عامة أهلها، فلما جاءت المحنة والابتلاء نافق من نافق. فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لماتوا على الإسلام ودخلوا الجنة، ولم يكونوا من المؤمنين حقًا الذين ابتلوا فظهر صدقهم**»(١).

(١) مجموع الفتاوى [٧ / ٢٧١]

وقال أيضًا:

«وفي الجملة: **ففي الأخبار عمن نافق بعد إيمانه ما يطول ذكره هنا؛** فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الإسلام الذي يثابون عليه ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على الإيمان، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة.

وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق أكثرُهم أو كثير منهم. ومنهم من يظهر الرِّدة إذا كان العدو غالبا؛ وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة»(١).

فإذا كان هذا الحال في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكيف بزماننا، نسأل الله المعافاة في الدنيا والآخرة.

من خصال النفاق الأكبر الاعتقادي:

١- تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

٢- بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

---

(١) مجموع الفتاوى [٧ / ٢٨١]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٦].

٣- المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:٥٠].

٤. موالاة الكفار باطنًا ومحبتهم والانتماء لهم ومظاهرتهم على المسلمين.

قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:١١].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

٥. التشكيك في الدين، وإثارة الشبهات والطعن فيه وحرب أهله.

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال:٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر:٣١].

٦. بغض الجهاد، والطعن في المجاهدين، وتثبيطهم وصدهم عنه.

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء:٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧].

٧. الاستخفاف بالدين والاستهزاء والسخرية من المتمسكين بالسنة

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

٨. محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١].

٩. عدم قبول الشرائع، والإعراض عن الدين

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور:٤٨-٥٠].

١٠. عبادة الدنيا والافتتان بها والانغماس في الشهوات.

قال تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:٢٠٠](١).

(١) للاستزادة انظر متفضلا: (النفاق مرض العصر) للمؤلف.

النوع الثاني عشر:

كفر الإباء والاستكبار

اعلم ـ علمك الله الخير ـ:

الأصل في المسلم قبول ما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بجميع لوازمها ومقتضياتها ومدلولاتها، والرضا بذلك كله والتسليم له وعدم رد شيء من ذلك

وكذلك قبول كل ما جاء به الرسول صلى اله عليه وسلم والرضا به وعدم رد شيء منه، مع تسليم القلب بذلك كله والرضا وعدم الإباء والاستكبار عما جاء به.

الأدلة على كون شرط القبول أحد شروط لا إله إلا لله:

وقد تواترت النصوص على إثباته، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»(١).

و عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**ذَاقَ**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري [١ / ٢٧ رقم ٧٩] بَاب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، ومسلم [٤ / ١٧٨٧ رقم ٢٢٨٢] باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم

طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»(١).

والقبول عمل قلبي، وهو مستلزم لعمل الجوارح وهو المسمى بالانقياد، ومعناه: القيام بفعل الفرائض والتحاكم للشريعة والالتزام بالدين والعمل بالتوحيد.

وعلى هذا فالقبول سابق على الانقياد، مقدم عليه، فالقبول صفة الباطن والانقياد صفة الظاهر، وهما متلازمان لا ينفكان، ولا يصح إيمان العبد بأحدهما دون الآخر، فافهم هذا جيدا؛ فإنه في غاية الأهمية.

لوازم ومقتضيات القبول القلبي:

واعلم أن من لوازم القبول القلبي:

عبادة الله وحده لا شريك له، والقيام بأمر التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، وفعل الفرائض وترك المحرمات، والحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت وهجر التحاكم إليه، مع موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين، واتباع السنة والهدى والحرص عليها ومحبتها ونشرها وجهاد ومحاربة من يبغضها ويحاربها.

---

(١) أخرجه مسلم [١ / ٦٢ رقم ٣٤] باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر، وأحمد [٣ / ٢٩٩ رقم ١٧٧٩]

وضد القبول: كفر الإباء والاستكبار والامتناع[١]

وهو كفر من عرف صدق الرسول ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم يَنقَدْ له إباءً واستكبارًا، فهو امتناع عن قبول الحق الذي جاء به الرسول ﷺ،

والمعصية قد تكون صادرة عن إباء واستكبار مثل كفر إبليس من هذا النوع، قال الله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

وهذا النوع من النواقض هو الغالب على كفر أعداء الرسول ﷺ

وقد تكون صادرة عن شهوة وغفلة مع إقرار القلب وقبوله للشرع والأمر؛ فهذا معصية لها حكمها، كمعصية آدم ﷺ.

تعريفه الإباء والاستكبار:

الإباء: الامتناع، والاستكبار: الاستعظام للنفس

والمراد بكفر الإباء والاستكبار هو: **الامتناع عن الانقياد لأمر الله، أو أمر رسوله ﷺ رفضًا واستعلاء، مع معرفة أنه حق.**

ومعلوم أن من شروط لا إله إلا الله أيضًا شرط الانقياد.

---

(١) للاستزادة: مجموع فتاوى ابن تيمية: (٧/ ٥٦١) - الصارم المسلول على شاتم الرسول: (ص ٥٢٠) - كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (ص ٦٦) - مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: (ص ٣٣٨) - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: (ص ١٧٧) - تسهيل العقيدة الإسلامية: (ص ٢١٧) وغيرها.

ومعناه: **الانقياد التَّام للا إِلَه إِلَّا الله وَلما اقتضته ظَاهرا وَبَاطنا انقيادًا منافيًا للترك.**

والواجب على المسلم: الاستسلام لله بِالتَّوْحِيدِ والانقياد لما جَاءَ بِهِ الرَّسُول ﷺ عَن ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالطَّاعَةِ، وَذَلِكَ بِالْعَمَلِ بِمَا فَرَضَهُ الله وَترك مَا حرمه والتزام ذَلِك. وَلَا ينْتَفع قَائِل لَا اله إِلَّا الله بهَا إِلَّا بِهَذَا الانقياد. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ...﴾ [لقمان:٢٢] الْآيَة.

والاستكبار والإباء نقيض القبول القلبي

فمن كان مستكبرًا انتفت عنده الشهادة؛ لانتفاء أحد شروطها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته وكلام الله ورسالته يتضمن إخباره وأوامره؛ **فيُصدِّق القلب إخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به.**

... وينقاد لأمره ويستسلم وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين **فمتى ترك الانقياد كان مستكبرًا فصار من الكافرين**»(١)

وقال أيضًا: «وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه».

ويقول ابن القيم: «فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله

(١) الصارم المسلول [ص ٥١٩]

بالإنكار، **وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار**، ومن هذا: **كفر من عَرَفَ صدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكبارا**، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل»(١)

ومن أمثلة كفر الإباء والاستكبار:

١. كفر إبليس لعنه الله

عندما لم ينقد لأمر الله له بالسجود لآدم استكبارًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]

يقول ابن جرير: «وتأويل قوله: (أَبَى): يعني - جل ثناؤه - بذلك إبليس أنه امتنع من السجود لآدم... (وَاسْتَكْبَرَ): يعني بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله في السجود لآدم، وهذا - وإن كان من الله جل ثناؤه خبرًا عن إبليس - فإنه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به، وفيما نهاهم عنه»(٢).

٢. كفر الذين صدقوا الرسل بقلوبهم

ولم يتبعوهم عنادا واستكبارًا، كفرعون وقومه قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

قال ابن القيم: «ومن هذا ـ النوع ـ كفر من عرف صدق الرسول ﷺ وأنه

---

(١) مدارج السالكين [١ / ٣٣٧]

(٢) تفسير الطبري [١ / ٥١٠]

جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكبارا وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، وقول الأمم لرسلهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [إبراهيم:١٠]، وقوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس:١١]، وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩]، وقال: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة:١٤٦]»(١).

٣ـ ومن ذلك أيضًا: كفر أبي طالب عم النبي ﷺ

فإنه صدَّقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحميَّة، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر.

٤- ومن ذلك أيضًا: من يمتنع من قبول حكم معلوم من الدين بالضرورة.

ويرفض الانقياد له استكبارًا، مثل من ترك الصلاة أو الزكاة أو الحجاب أو التعدد أو الحدود ونحوها استكبارًا واستنكافًا.

٥ـ ومن ذلك أيضًا قتال أبي بكر للمرتدين مانعي الزكاة بكل طوائفهم.

فإنهم امتنعوا عنها إباء واستكبارًا، فمنهم من كفرها رأسًا، ومنهم من امتنع أن يعطيها لأبي بكر رضي الله عنه، وهؤلاء الذين وقع فيهم الخلاف بين الصحابة في أول الأمر حتى عزم أبو بكر على قتالهم ثم تبعه عمر والصحابة؛ فما قاتلوهم وظفر أبو بكر بهم وأرادوا التوبة قال لهم: «**حتى تشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار**» يعني: لم يقبل منهم توبتهم حتى يُقرِّوا

(١) مدارج السالكين [١ / ٣٣٧]

بالقبول القلبي بأن يشهدوا على أنفسهم بالكفر الذي وقعوا فيه؛ وأن أصحاب النبي ﷺ كانوا هم الأصوبَ والأهدى سبيلًا.

وهذا عامٌ في توبة كل من كفر إباء واستكبارًا عن قبول شيء من الشرع؛ فتكون توبته بالإقرار بالقبول أنه كان على خطأ، وأنه إن مات على حاله كان من أهل النار.

٦. كذلك الامتناع عن أداء الفرائض مع القدرة عليها وعدم العذر بتركها[١]

كالصلاة والزكاة والحج والصيام وغيرها.

قال شيخ الإسلام: «العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرَّمه عليه واعتقاده انقياد لله فيما حرمه وأوجبه = فهذا ليس بكافر، **فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد = فهو إما جاحد أو معاند**، ولهذا قالوا: من عصى الله مستكبرا كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهيًا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة»[٢].

نقل إجماع العلماء على كفر من امتنع عن الانقياد لأمر الله، أو أمر رسوله ﷺ استكبارًا

حكى الإجماع على كفر من امتنع عن الانقياد لأمر الله، أو أمر رسوله ﷺ استكبارا جمعٌ من العلماء؛ نعم الانقياد عمل الجوارح، لكن لا يمتنع

(١) لا يلزم من كل ممتنع أن يكون مستكبرًا فبعض الناس قد يترك العبادة غفلة وشهوة مع إقراره بها وندمه على تركها، لكن يلزم من كل مستكبر أن يكون ممتنعًا، أو منافقًا.

(٢) الصارم المسلول [ص ٥١٩]

العبد من الانقياد الظاهر إلا بعدم قبوله والإباء والاستكبار القلبي غالبًا؛ كما كان من إبليس لعنه الله؛ فإن امتناعه عن الانقياد الظاهر بترك السجود لآدم كان بسبب عدم القبول القلبي لأمر الله تعالى.

يقول إسحاق بن راهويه: «وقد أجمع العلماء أن من سبَّ الله عَزَّوَجَلَّ، أو سبَّ رسوله ﷺ، أو دفع شيئا أنزله الله... وهو مع ذلك مقرٌّ بما أنزل الله أنه كافر...»

وقال ابن تيمية: «من فعل المحارم مستحلا لها فهو كافر بالاتفاق؛ فإنه ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل. والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها.

و هذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدا محضا غير مبنيٍّ على مقدمة، وتارة يعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم ويعاند المحرَّم فهذا أشد كفرا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبة الله وعذبه.

ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمردًا أو اتباعًا لغرض النفس وحقيقة كفر هذا؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به ويصدِّق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، **ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه فهذا نوع من غير النوع الأول، وتكفير هذا**

معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع بل عقوبته أشد»(١)

وقال أيضًا - وهو يتكلم عن حكم تارك الصلاة - «... والثاني: ألا يجحد وجوبها، **لكنه ممتنع من التزام فعلها كبرًا أو حسدًا أو بغضًا لله ورسوله** ﷺ، فيقول: أعلم أن الله أوجبها على المسلمين، والرسول صادق في تبليغ القرآن، ولكنه ممتنع عن التزام الفعل استكبارًا أو حسدًا للرسول، أو عصبية لدينه، أو بغضًا لما جاء به الرسول ﷺ فهذا أيضًا كافر بالاتفاق»(٢)

قاعدة: من علامة كفر الإباء والاستكبار اختلاق المعاذير والجدال بالباطل مع الامتناع عن الانقياد

لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [الأعراف:١١] سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس، لم يسجد امتناعًا وإباء واستكبارًا؛ فسأله ربه وهو أعلم بحاله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢].

فهذا قياس فاسد وجواب باطل وعذر باهت أوقعه في الكفر والطرد من رحمة الله تعالى وتخليده في نار الجحيم

وإبليس إمامٌ لكل من أتى من بعده من المستكبرين الممتنعين عن الانقياد للشرائع واتباع الرسل والرسالات؛ فاعتراضهم بالمعاذير والمقاييس

---

(١) الصارم المسلول [ص ٥١٩]

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه [٢٠ / ٩٧]

الباطلة الفاسدة على رد الحق الذي أُمروا باتباعه والانقياد له؛ قال تعالى عن فرعون وآله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥ – ٤٧].

فاعترضوا بهذه الحجة الفاسدة والقياس: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾

ومثلهم أعداء الرسل والرسالات اعترضوا عن الانقياد والقبول بمقاييس فاسدة؛ قال تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم:١٠].

فاعترضوا عن القبول والانقياد للرسل؛ لأنهم بشرٌ مثلهم؛ وكذلك عادٌ وثمودُ: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:١٤].

ومنهم من يعترض بأن الرسل خالفوا ما وجدوا عليه الآباء والأجداد من عبادتهم للأصنام والأوثان؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وقال تعالى عن قريش حين امتنعوا من قبول دعوة الإسلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا

﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

وتأمل في اعتراض اليهود على قبول دعوة الرسول ﷺ:

وهم من قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

تقول صفية رضي الله عنها: كنتُ أحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونَه.

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسين، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنَا.

قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ

قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: **عداوته والله!**»

وبالرغم من ذلك صدوا عن دعوة الحق وقبولها متواصين بذلك حتى قال ﷺ كما في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِن الْيَهُودِ لآمَنَ بِي الْيَهُودُ**»(١)

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري [٥ / ٧٠رقم ٣٩٤١] بَاب إِتْيَانِ الْيَهُودِ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، ومسلم [٤ / ٢١٥١ رقم ٢٧٩٣] باب نزل أهل الجنة.

ذم المقاييس والقياس الفاسد

ولذلك نهى العلماء عن المقاييس الفاسدة؛ لأنها بوابة الإباء والاستكبار ودحض الحق:

ومثلُ هذا من المقاييس التي حذر منها أبو حنيفة أصحابه، وقال: «لا تأخذوا بمقاييس زفر، فإنكم إن أخذتم بمقاييس زفر حرَّمْتُمُ الحَلاَلَ، وحلَّلتمُ الحَرَامَ..»

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «واعلم -رحمك الله- أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة؛ فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين»(١).

وقال الطحاوي في عقيدته: «وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ»(٢)

---

(١) يقول د. ناصر العقل: «يشير بهذا إلى منهج أهل الأهواء، ومخالفة هذا المنهج للسنة مخالفة تضاد وتباين، وهو أن أهل الأهواء يقولون في دين الله برأيهم وقياسهم، ويقصد هنا القياس في أصول الدين لا القياس في الأحكام؛ لأن القياس في الأحكام مبني على الاجتهاد في أمر معلوم؛ إما باستنباط حكم من دليل، أو بقياس مسألة على أخرى لها دليل، أو ترجع إلى قاعدة شرعية تقوم عليها الأدلة، فهذا قياس عمل عليه المجتهدون من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الفقه» التعليق على شرح السنة للبربهاري ص١٤

(٢) قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ لَا يَثْبُتُ إِسْلَامُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ، وَيَنْقَادُ إِلَيْهَا، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَارِضُهَا بِرَأْيِهِ وَمَعْقُولِهِ وَقِيَاسِهِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَمِنَ الرَّسُولِ ⇦=

وقال طاووس: «أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة»(١).

أمثلة على القياس الفاسد:

١. عبادة الأصنام بدعوى أنها تقرب إلى الله زلفى

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣] «وبهذا القياس الفاسد عُبدت الأصنام، واتَّخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما: هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره»(٢)

٢. قياس المشركين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة أنهم قد عصوا الله في ثيابهم

فأنزل الله فيهم ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

= الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ. وَهَذَا كَلَامٌ جَامِعٌ نَافِعٌ» شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية [ص ١٦٨]

(١) حادي الأرواح [ص ٢٣٤]

(٢) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد [ص ٢٩٤] لأبي يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ) الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٣ـ قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة على المذكَّى

ويقولون للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

٤ـ وكذلك لما أخبر الله أن الأصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم

قياس ابن الزَبْعَرِيِّ، قبل أن يسلم هو وغيره من المشركين عيسى عليه السلام بها، وقالوا: يجب أن يعذب عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٧-٥٨]، ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩]، وبيَّن تعالى الفرق بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١] بيَّن أن من كان صالحًا نبيًا أو غير نبي لم يعذب لأجل من أشرك به وعبده وهو بريء من إشراكهم به»(١).

٥ ـ كذلك أكثر أنواع وضروب الشرك جاءت من باب القياس الفاسد والاعتراض الباطل على نصوص التوحيد «ونتج من هذا القياس الفاسد والرأي الكاسد تلك الضلالة الكبرى، والمصيبة العظمى التي وقع فيها كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم، **ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء الصالحين من دون الله تعالى في**

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي [ص ١٢٧] لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ) الناشر: مؤسسة الريان، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

الشدائد والمصائب حتى إنك لتسمع جماعات متعددة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم، ويطلب منهم من الحاجات المختلفة بلغات متباينة، فهم عند المستغيثين بهم يعلمون مختلف لغات الدنيا، ويميزون كل لغة عن الأخرى، ولو كان الكلام بها في آن واحد! وهذا هو الشرك في صفات الله تعالى الذي جهله كثير من الناس، فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرى»[1].

والحاصل:

أنه ليس كل قياس يُقبل، وليست كل حجة يعتدُّ بها، وليس كلُّ دليل يكون صحيحًا؛ فإن أكثر الممتنعين عن الانقياد للشرائع والقبول للحق سبب امتناعهم المجادلة بالباطل والأقيسة الفاسدة والحجج الباطلة، فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه [ص ٩٥]

النوع الثالث عشر:

شرك المحبة

اعلم ـ علمك الله الخير ـ:

أن من أصول الإيمان ومن شروط كلمة التوحيد: المحبة

بل هي أصل الأصول، وعليها تتفرع جميع العبادات القلبية والقولية والعملية، وهي المحرِّكة للقلوب نحو علام الغيوب، وهي الباعثةُ على العمل

«فمحبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصله وأجل قواعده؛ بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق أصلُ كل قول من أقوال الإيمان والدين؛ فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة: إما عن محبة محمودة، أو عن محبة مذمومة، فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدُر إلا عن المحبة المحمودة»(١).

ونعني بهذا الشرط:

- محبة هذه الكلمة ولما جاءت به من أمر التوحيد، فيحب العبد ربه

(١) أمراض القلوب [ص ٥٩]

سبحانه وتعالى ويمتلئ قلبه بمحبته، إخباتًا وخشية ومحبة وإجلالًا وتعظيمًا ورغبة ورهبة وخوفًا ورجاءً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

• وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته كما في الصحيح من حديث عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ**» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»(١).

• ويحب الإسلام الذي هو دينه وشرعه الذي ارتضاه لهذه الأمة المباركة، فيفرح به ويحبه ويعتز به ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

عن سعيد بن منصور قال: قدم وكيع مكة حاجًّا، فرآه الفضيل بن عياض وكان وكيع سمينًا فقال الفضيل: ما هذا السِّمَنُ وأنت راهب العراق؟

فقال له وكيع: **هذا من فرحتي بالإسلام**، فأفحمَه»(٢).

• ويحب الرسول ﷺ وما جاء به، وينشرح صدره بسنته محبة وإجلالًا

---

(١) أخرجه البخاري [٩ / ١١٥ رقم ٧٣٧٥] بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(٢) تاريخ دمشق [٦٣ / ٨١] لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

وتوقيرًا واحترامًا، وفي الصحيح «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»(١).

• كذلك محبته للعبادة، ولكل ما يحبه الله وسوله ﷺ وتعظيمه وتوقيره لكل شعائر الله وتعظيمه لحرماته ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠].

قال شيخ الإسلام: «فمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة وهي الواجبات والمستحبات إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده»(٢).

• وكذلك محبة ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين كما كان عبد الله ابن عمر يدعو بالمواقف في حجه فيقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلنِي أحبك وَأحب ملائكتك وأنبياءك وعبادك الصَّالِحين اللَّهُمَّ حببني إِلَيْك وَإِلَى ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصَّالِحين».

وهذا الأصل من أعظم أصول الإيمان التي يجب على كل مسلم العمل بها، والسعي في استكمالها

«وَإِذا كَانَ أصل الْإِيمَان العملي هُوَ حب الله تَعَالَى وَرَسُوله، وَحب الله

(١) أخرجه البخاري [١ / ١٢ رقم ١٦] بَاب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) جامع الرسائل لابن تيمية [٢ / ٢٥٧]

أصل التَّوْحِيد العملي، وَهُوَ أصل التأليه الَّذِي هُوَ عبَادَة الله وَحده لَا شريك لَهُ؛ فَإِن الْعِبَادَة أَصْلهَا أكمل أَنْوَاع الْمحبَّة مَعَ أكمل أَنْوَاع الخضوع، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَام»(١).

الأدلة على كون المحبة شرطًا من شروط الإيمان:

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة على هذا المعنى، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(٢).

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية [٢ / ٢٥٤]

(٢) أخرجه البخاري [١ / ١٢ رقم ١٦] بَاب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ.

وَفِي الصَّحِيح أَن عمر قَالَ لَهُ: «يَا رَسُول الله وَالله لأَنْتَ أحبُّ إِلَيّ من كل شَيْء إِلَّا من نَفسِي فَقَالَ: «**لا يا عمرُ حَتَّى أكونَ أحبَّ إِلَيْك من نَفسك**»، قَالَ: فلأنت أحب إِلَيّ من نَفسِي، قَالَ: «**الآن يا عمر**»

وعن أنسٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**»(١).

وعنه أيضًا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(٣)

وعَنْ أَنَسٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٤)

وعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**»(٥)

وفي رواية: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: الْمُوَالاةُ فِي اللهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**»(٦)

---

(١) أخرجه البخاري [١ / ١٢ رقم ١٧] بَاب عَلَامَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ

(٢) أخرجه البخاري [١ / ١٢]

(٣) أخرجه البخاري [١ / ١٢ رقم] بَاب حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ مِن الْإِيمَانِ

(٤) أخرجه البخاري [١ / ١٢رقم ١٣] بَاب مِن الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٠ / ٤٨٨ رقم ١٨٥٢٤]

(٦) **صحيح**: أخرجه الطبراني (١١٥٧٣)، وانظر الصحيحة (٩٩٨)

لوازم ومقتضيات المحبة:

اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن من لوازم شرط المحبة(١):

١ ـ محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

٢ ـ محبة ألوهية الله وربوبيته وأفعاله وصفاته ومحبة توحيده فيها.

٣ ـ محبة أوامر الله وشرعه ودينه وفرائضه.

٤ ـ محبة الإسلام وامتثاله والعبادة والطاعة.

٥ ـ محبة الرسول ﷺ واتباعه وطاعته.

٦ ـ محبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه.

٧ ـ محبة أولياء الله وبغض أعدائه.

شرك المحبة:

ويقابل هذا كله: الشرك في المحبة

والشرك في المحبة: أن تحب من دون الله شيئًا كما يُحَبُّ الله تعالى فمن فعل هذا فقد اتخذ ندًّا وهذا شرك المحبة وأكثر أهل الأرض قد اتخذوا أندادًا في الحب والتعظيم.

فمن أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فقد اتخذ من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم وهذا شرك؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

---

(١) انظر: شرح النواقض (ص٢٤٠)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة، لزم أن يكون محبًّا له، ومحبته هي الأصل في ذلك»

ويقول أيضًا: «فمن جعل غير الرسول ﷺ تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه، وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله ندًّا وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح، يدعوه ويستغيث به، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه مع إيجابه طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ويحلله ويحرمه، ويقيمه مقام الله ورسوله فهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥]»(١).

الأصل في الشرك العملي الشرك في المحبة القلبية:

«**فمعلوم أن أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة**؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

---

(١) الفتاوى الكبرى [٥ / ٢٤١]

فأخبر أن من الناس من يشرك بالله فيتخذ أندادًا يحبونهم كما يحبون الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء، والمؤمنون أشد حبا لله من هؤلاء لأندادهم ولله؛ فإن هؤلاء أشركوا بالله في المحبة، فجعل المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد، والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله فلم يجعلوا لله عِدْلا في المحبة، بل كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول هي من محبة الله، وكذلك كل حب في الله وهو الحب لله»(١).

ونظير هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

فإنهم أحبوا شركاءهم وآلهتهم كحبهم لله وعظموهم كتعظيمهم لله.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان ذلك: «فكل من اتخذ ندًّا لله يدعوه من دون الله، ويرغب إليه، ويرجوه لما يؤمله منه من قضاء حاجاته، وتفريج كرباته، كحال عباد القبور والطواغيت والأصنام، فلابد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك، فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالى، ويقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، **فقد أشركوا في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره**، فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يُبطل كلَّ قول يقولونه وكل عمل يعملونه؛ لأن المشرك لا يُقبل منه عملٌ، ولا يصح منه، وهؤلاء وإن قالوا لا إله إلا الله فقد تركوا كلَّ قيد قيدت به هذه الكلمة»(٢).

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية [٢ / ٢٥٥]

(٢) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد [ص ٣٠٩]

الحب التام مستلزم للانقياد التام

قال شيخ الإسلام: «وَالْحب التَّام منا مُسْتَلْزم للإرادة التَّامَّة الْمُوجبَة للْفِعْل مَعَ الْقُدْرَة والبغض التَّام منا مُسْتَلْزم للكراهة التَّامَّة الْمَانِعَة للقدرة فَإِذا كَانَ العَبْد قَادِرًا على محبات الْحق وَلَا يَفْعَلهَا فلضعف محبتها فِي قلبه أَو وجود مَا يُعَارض الْحق مثل محبته لأَهله وَمَاله فَإِن ذَلِك قد يمنعهُ عَن فعل مَحْبُوب الْحق، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]»(١)

والعبد واجب عليه أن يحب ما أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ من الطاعات والعبادات، ويبغض أضداد ذلك من المعاصي والذنوب والشركيات، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

و «إِذا كَانَ أصل الْإِيمَان صَحِيحا وَهُوَ التَّصْدِيق فَإِن هَذِه الْمُحرمَات يَفْعَلهَا الْمُؤمن مَعَ كَرَاهَته وبغضه لَهَا، فَهُوَ إِذا فعلهَا لغَلَبَة الشَّهْوَة عَلَيْهِ، **فَلَا بُد أَن يكون مَعَ فعلهَا فِيهِ بغض لَهَا وَفِيه خوف من عِقَاب الله عَلَيْهَا، وَفِيه رَجَاء لِأَن يخلص من عقابها إِمَّا بتوبة وَإِمَّا حَسَنَات وَإِمَّا عَفْو وَإِمَّا دون ذَلِك، وَإِلَّا فَإِذا لم يبغضها وَلم يخف الله فِيهَا وَلم يرج رَحمته فَهَذَا لَا يكون مُؤمنا بِحَال**

(١) جامع الرسائل لابن تيمية [٢ / ٢٨٩]

بل هُوَ كَافِر أَو مُنَافِق»[١].

أنواع المحبة وأحكامها

تنقسم المحبّة إلى محبة خاصّة ومحبّة مشتركة والمحبّة الخاصّة تنقسم إلى محبّة شرعية ومحبة محرمة.

❐ فالمحبة الشرعية أقسام:

١. محبة الله

وحكمها أنها من أوجب الواجبات، وذلك لأن محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصها ينقص التوحيد، وقد مرَّ تفصيل ذلك.

٢- محبة الرسول ﷺ

وهي أيضًا واجبة من واجبات الدين؛ بل لا يحصل كمال الإيمان حتى يحب المرء رسول الله ﷺ أكثر من نفسه كما مرَّ في الأحاديث «فعلامة تقديم محبة الرسول على محبة كل مخلوق: أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداعٍ آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإن قدم المرء طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي: كان دليلا على صحة محبته للرسول وتقديمها على كل شيء، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من هذه الأشياء المحبوبة طبعا: دل ذلك على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه»[٢]

---

(١) السابق [٢ / ٢٩٠]

(٢) فتح الباري ـ [١ / ٤٤]

وهذه المحبّة تابعة لمحبة الله تعالى وتتمثل في متابعته ﷺ وتقديم قوله على قول غيره.

«فإن محبة الرسول تبع لمحبة مُرسلِه عَزَّوَجَلَّ. هذا كله في امتثال الواجبات وترك المحرمات. فإن تعارض داعي النفس ومندوبات الشريعة، فإن بلغت المحبة على تقديم المندوبات على دواعي النفس كان ذلك علامةَ كمال الإيمان وبلوغه إلى درجة المقربين والمحبوبين المتقربين بالنوافل بعد الفرائض، وإن لم تبلغ هذه المحبة إلى الدرجة فهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين الذين كملت محبتهم»(١).

٣- محبة الأنبياء والمؤمنين

وحكمها واجبة لأن محبة الله تعالى تستلزم محبة أهل طاعته وهؤلاء هم الأنبياء والصالحون ودليله قوله ﷺ: «**مَنْ أحبَّ في اللهِ**» أي أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك، ولا يكتمل الإيمان أيضًا إلا بذلك ولو كثرت صلاة الشخص وصيامه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

---

(١) فتح الباري ـ[١ / ٤٤]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقد رأيتنا في عهد رسول الله وما منا أحد يرى أنه أحقُّ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم».

أنواع المحبة المحرمة:

النوع الأول: المحبة الشركية:

المحبة الشركية: هي المحبة لغير الله تعالى المتصفة بالتذلل والخضوع مع الرغبة والرهبة من المخلوق

وهذه المحبة يتولد منها الشرك الأكبر المخرج من الملة، فالغلو في المحبة يحمل العبد على التعظيم ثم التقديس ثم التأليه عياذا بالله تعالى.

ويدخل تحت هذا النوع عدة صور من المحبة الشركية الناقضة للإيمان، ومن ذلك:

١. شرك قوم نوح عليه السلام

وهو أول شرك وقع في الأرض بعد موت آدم عليه السلام، بسبب الغلو في محبة قوم صالحين من علمائهم وهم: ودٌّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر

وفي البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»(١).

وعند الطبري: «كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع

---

(١) أخرجه البخاري [٦ / ١٦٠ رقم ٤٩٢٠] بَاب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح:٢٣]

يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صَوَرناهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم»(١).

ورواية ابن أبي حاتم واضحة في أن السبب الرئيس في حدوث الشرك: المحبة الشركية؛ فعن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر -وهو قائم يصلي-يزيد بن المهلِّب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيدَ بن المهلب، أما إنه قتل في أول أرض عُبد فيها غيرُ الله. قال: ثم ذكر وَدًّا -قال: «**وكان وَدٌّ رجلًا مسلمًا وكان مُحببًا في قومه**، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جَزَعهم عليه، تشبه في صورة إنسان، ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكونَ في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا:

نعم. فصوَّر لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه. فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم. قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال وتناسلوا ودَرَس أمر ذكرهم إياه، حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من غير الله: الصنم الذي سموْه وَدّا»(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٢٩/ ٦٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير [٨ / ٢٣٦]

٢. غلو اليهود في محبة عُزَيْر ﷺ

حتى نسبوا له الألوهية والربوبية مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠].

٣. غلو النصارى في محبة عيسى ﷺ

حتى عبدوه من دون الله تعالى

ففي الصحيح عَن ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

والإطراء: هو الغلو في المدح، وإنما يكون المدح عن حب وتعظيم في القلب، وهذا الغلو في المحبة هو الذي يحمل العبد على تأليه المخلوق، فالمحبة الشركية هي الحاملة للعبد على تعظيم المخلوق كتعظيمه لله تعالى.

٤. الغلو في محبة الأولياء الصالحين أصحاب الأضرحة

مما حمل كثيرًا من جهلة الصوفية وعوام المسلمين إلى الوقوع في الشرك، من نسبة النفع والضر لهم وسؤالهم، وطلب الحاجات منهم، والطواف حول قبورهم، وتقديم النذور والصدقات والجبايات لهم... إلى

---

(١) أخرجه البخاري [٤ / ١٦٧ رقم ٣٤٤٥] بَاب قَوْلِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

غير ذلك من خصال الشرك التي تقع عند قبور هؤلاء الصالحين؛ فالمحبة الشركية هي أساس كل شرك وقع في الأرض.

٥. المحبة للبدع الشركية

وهي من أعظم أنواع المحابِّ المحرمة، فالبدع هي بوابة الشرك الأكبر، فمن الطوائف المبتدعة من حملتهم بدعتهم على الشرك والخروج بهم عن حظيرة الإيمان، **كما حدث لبعض طوائف الصوفية كالحلولية والاتحادية،** فغلوهم في البدعة كإتيانهم العشق والسُّكر ونحوه حملهم ذلك على الشطط والشطحات التي خرجت بهم عن دائرة الإيمان.

ومن ذلك أيضًا: غلوهم في محبة الرسول ﷺ وإعطاؤه صفات الألوهية أو الربوبية.

والبدعة أيضًا حملت طوائف من الشيعة على الكفر بالله تعالى وإتيان أنواع الشركيات، كما عند النصيرية والدروز والبهائية والقديانية والبابية والخُرَّامية وغيرها من أنواع الطوائف التي خرجت بهم بدعتهم عن حظيرة الإيمان.

والبدعة أيضًا حملت طوائف من الرافضة والصوفية على تقديس علمائهم وأئمتهم إلى درجة الربوبية والألوهية

قال التيجاني: «من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه»

ثم قال: «فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في

التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب»

ويقول الشعراني في الطبقات: «أخذ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقينًا أنه لا يقدم علينا في المحبة أحدًا من الخلق مطلقًا حتى أهله وولده ». فانظر كيف جعلوا أنفسهم بمنزلة الرسول ﷺ»

٦ـ ومن الشرك في المحبة نفي المحبة عن الله تعالى:

نفي صفة المحبة عنه سبحانه وتعالى أو تعطليها أو تأويلها بما لا يليق به سبحانه

وهذا فعل الجهمية المعطلة، فإنهم زعموا أن الله لا يحب، ولا يحبه أحد.

ولذلك لما خطب خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ يوم الأضحى بالبصرة، قال في آخر خطبته: «انصرفوا إلى منازلكم وضحُّوا بارك الله لكم في ضحاياكم، فإنِّي مضحٍّ اليوم بالجعد بن درهم، فإنَّه يقول: لم يتخذ الله إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عمَّا يقول الجعدُ علوًا كبيرًا، ونزل عن المنبر فذبحه بيده، وأمر بصلبه»(١)

قال ابن قيم في نونيته:

ولأجل ذا ضحى بجعدٍ خالدُ الـ ∴ ـقسريُّ يوم ذبائح القربانِ

(١) هذه القصة أخرجها البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٦٤)، وفي خلق أفعال العباد (ص ٨)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢١) رقم (١٣)

إذ قـــال إبـــراهيم لـــيس خليلـــه ∴ كـــلا ولا موســـى الكلـــيم الـــداني
شـكر الضـحيَّةَ كـلُّ صـاحبِ سـنةٍ ∴ لله درك مـــــن أخـــــي قربـــــانِ

ومثلُ المعتزلةِ الأشاعرةُ «وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنها توهم نقصا؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه.

فأما الأشاعرة؛ فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته، وكذلك يقولون في صفات الرضا والغضب والكراهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وأما أهل الحق؛ فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصا ولا تشبيها، كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته»(١)

٧ـ كذلك الموالاة الشركية لأهل الكتاب أو للمشركين عامة

وسيأتي بيانها في نوع خاص بها.

(١) شرح العقيدة الواسطية – الهراس [ص ١٠٢]

❐ النوع الثاني: المحبة المحرمة:

وذلك بأن يحب أهله أو ماله أو عشيرته وتجارته ومسكنه فيؤثرها أو بعضها على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال كالهجرة والجهاد ونحو ذلك ودليله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

ويدخل في هذا النوع أيضًا: محبة ما يبغضه الله تعالى من المنهيات والمحرمات، فيحب الحرام مؤثرًا له على ما أحل الله تعالى، فإن الله تعالى أحلَّ لعباده من صنوف المطعومات والمشروبات والمناكح والمساكن والألبسة والمكاسب والأماكن وغيرها؛ فإن آثر العبد الحرام، تاركًا ما أحل الله تعالى، فهذه من المحبة المحرمة التي يحاسب عليها العبد.

فالذي يشرب الخمر تارك لما أحلَّ الله له من صنوف الشراب مُؤثِرٌ لما حرم الله في كتابه

والزاني تارك ما أحل الله له من الأنكحة الحلال، مُؤثِرٌ لما حرم عليه من الفروج المحرمة.

والسارق تارك ما أحل الله من أنواع المكاسب والأرزاق، مُؤثِرٌ لما حرم الله من المكاسب الخبيثة... وهكذا

فكل صاحب معصية ترك ما أحل الله له، وآثر ما حرم عليه محبة له وتفضيلا له على الحلال

فإذا فعل العبد ذلك عند غلبات الهوى والشهوات، مع إقراره على نفسه بالمعصية، نادمًا على ما يفعل، متمنيًا التوبة والرجوع والكف عما هو واقع في من المحرمات والكبائر = فهذا مؤمن عاصٍ إن كان يقع في الصغائر، فاسقٌ إذا كان ملمًا ببعض الكبائر.

وأما إذا وقع في الحرام مستحلًا له فقد وقع في الكفر، فإن استحلال الحرام كفر مخرج من ملة الإسلام، كما سبق بيان هذا.

النوع الرابع عشر:

كفر البغض والكره

وهذا النوع متمم ومكمل للنوع السابق، فإن المحبة الشركية يقابلها البغض والكره للشرع، أو بعضه، وهو ناقض من نواقض الإيمان، ونوع من أنواع الكفر الأكبر الاعتقادي.

الأدلة على كون البغض والكره للشرع من نواقض الإيمان:

والأدلة على هذا كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فمن هذا:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون:٧٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٦].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٨].

قال شيخ الإسلام:

«ويُصدِّق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، فهذا نوع غير النوع الأول **وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام**، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع بل عقوبته أشد»(١).

الواجب على العبد أن يكون حبه وبغضه موقوفًا على الشرع:

مرَّ معنا ذكر المحبة وشأنها ومنزلتها في الدين، ومثلها البغض فإنه من العبادات العظيمة فإنه صنو المحبة، وبه تحفظ بيضة الدين، وعليهما تقوم عقيدة الولاء والبراء؛ ولهذا يجب على العبد أن يتقيد في حبه وبغضه بالشرع:

قال شيخ الإسلام: « فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه. ومقدار حبه وبغضه: هل هو موافق لأمر الله ورسوله؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله؛ بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض. لا يكون متقدما فيه بين يدي الله ورسوله؛ فإنه قد قال: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

(١) الصارم المسلول [ص ٥١٩]

[الحجرات:١] ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله.

ومجرد الحب والبغض هوى؛ لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله: ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦] فأخبر أن من اتبع هواه أضله ذلك عن سبيل الله وهو هداه الذي بعث به رسوله. وهو السبيل إليه»(١).

أنواع البغض وبيان ما هو الشركي منها:

البغض منه ما هو عبادة لازمة لصحة إيمان العبد، ومنها ما هو من متممات الإيمان، ومنه ما هو بغض شركي

١. البغض التعبدي:

وهو ما يلزم من تحقيقه تحقيق إيمان العبد، كبغض إبليس والكفرة والمشركين وبغض الطواغيت وبغض كل ما عبد من دون الله تعالى، وكذلك بغض أولياء الشيطان وحزبه،

ومن ذلك بغض كل كبائر الذنوب: كالقتل والزنا وشرب الخمر واللواط والسرقة وعقوق الوالدين والخيانة وغيرها من كبائر الذنوب.

ومن ذلك أيضًا: بغض جميع المعاصي والذنوب وبغض خصال النفاق العملي

---

(١) مجموع الفتاوى [٢٨ / ١٣٣]

كالكذب والخيانة والغدر والفجر في الخصومة وتطفيف الميزان وغيرها من أنواع المحرمات.

٢. البغض الكفري

ويقع تحت هذا النوع: بغض الله تعالى أو أفعاله أو صفاته، أو رسوله كما سيأتي تفصيله.

٣. البغض المحرم

ويدخل في هذا التباغض المحرم بين المؤمنين بسبب غير شرعي، كالتهاجر والتخاصم والتباغض من أجل الأحساب والأنساب أو الأرزاق والمكاسب أو التناحر والتكاثر من الدنيا وغير ذلك مما يجري بين الناس

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال:١].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٠٣]

وقد ذكر ابن كثير في سبب نزول هذه الآية:

«أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلا من اليهود مَرَّ بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هُمْ عليه من الاتفاق والأُلْفَة، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بُعَاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبُه حتى حميت نفوس القوم وغضب

بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرَّة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يُسكِّنهم ويقول: «**أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح رضي الله عنهم»(١)

وعن أبي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا**»(٢)

قال شيخ الإسلام: «فالنفس إذا أحبت شيئا سعت في حصوله بما يمكن حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية، فمن أحب محبة مذمومة أو أبغض بغضًا مذمومًا وفعل ذلك كان آثمًا، مثل أن يبغض شخصا لحسده له، فيؤذي من له به تعلق إما بمنع حقوقه أو بعدوان عليهم أو لمحبة له لهواه معه، **فيفعل لأجله ما هو محرم أو ما هو مأمور به لله فيفعله لأجل هواه لا لله**، وهذه أمراض كثيرة في النفوس، والإنسان قد يبغض شيئا فيبغض لأجله أمورا كثيرة بمجرد الوهم والخيال»(٣)

٤. البغض المستحب:

وهو الذي يقع في بعض المكروهات، ككراهية النبي ﷺ للصلاة في خميصة لها أعلام فعن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ فَنَظَرَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٧٨، ٧٩)، وتفسير ابن كثير [٢ / ٩٠]

(٢) أخرجه البخاري [٧ / ١٩ رقم ٥١٤٣] بَاب لَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَدَعَ.

(٣) أمراض القلوب [ص ٢٥]

إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «**اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلَاتِي**»(١).

فإن النبي ﷺ أبغض الصلاة فيها؛ لأنها أخذت من خشوعه.

وقد تكاثرت مواضع كراهيته ﷺ لمواضع من المكروهات الشرعية،

قال ابن القيم: «فصل: في ألفاظ كان ﷺ يَكْرَهُ أن تُقَال

فَمِنْهَا: أن يقول: خَبُثَتْ نَفْسِي، أَوْ جَاشَتْ نَفْسِي، وَلْيَقُلْ: لَقِسَتْ.

ومنها: أن يُسَمِّي شَجَرَ العِنَبِ كَرْمًا، نَهَى عَنْ ذلِكَ، وقال: «لا تَقُولُوا: الكَرْمَ، وَلَكِنْ قُولُوا: العِنْبُ والحَبَلَةُ».

وكرِه أن يقولَ الرجلُ: هلكَ النَّاسُ. وقال: «**إِذَا قَالَ ذلِكَ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**». وفى معنى هذا: فسد الناسُ، وفسد الزمانُ ونحوهُ.

ونهى أن يُقَالَ: ما شَاءَ الله، وَشَاءَ فُلانٌ، بَلْ يُقَالُ: مَا شَاءَ الله، ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟، قل: مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**».

وفى معنى هذَا: لولا الله وفلانٌ، لما كانَ كذا، بل هو أقبحُ وأنكر، وكذلك: أنا باللهِ وبفُلان، وأعوذُ باللهِ وبفُلان، وأنا في حَسْبِ الله وحَسْبِ فلان، وأنا متَّكِل على الله وعلى فلان، فقائلُ هذا، قد جعل فلانًا نِدًّا للهِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري [١ / ٨٤ رقم ٣٧٣] بَاب إِذَا صَلَّى فِي ثَوْبٍ لَهُ أَعْلَامٌ وَنَظَرَ إِلَى عَلَمِهَا.

ومنها: أن يُقال: مُطِرْنا بَنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، بل يقُولُ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمتهِ

ومنها: أن يقول في حَلِفِهِ: هو يَهُودِي، أو نصراني، أو كافر، إن فعل كذا.

ومنها: أن يقولَ لِمسلمٍ: يا كَافِرُ.

ومنها: أن يقولَ للسلطان: مَلِكُ المُلُوكِ. وعلى قياسه: قاضى القضاة.

ومنها: أن يقول السَّيِّدُ لِغلامه وجارِيته: عَبْدِي، وأمَتِي، ويقول الغلامُ لسيده: ربى، وليقُل السَّيِّدُ: فَتَاي وفتاتي، وليَقُلِ الغلامُ: سيِّدي وسيِّدتي.

ومنها: سبُّ الرِّيحِ إذَا هبَّتْ، بل يسألُ الله خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، ويَعُوذُ باللهِ مِنْ شرِّهَا وشر ما أُرسلت به.»(١)

٥. البغض المكروه:

وهذا النوع من الكره متعلق ببغض بعض السنن والمستحبات، أو حب بعض المكروهات

كمن يستثقل السنن الرواتب للصلوات المكتوبة، أو صلاة الوتر، أو يستثقل صلاة التراويح.

ويقع تحت هذا النوع: من يحب المكروهات، كمن يحب النوم على بطنه أو النوم على شقه الأيسر، ومن يحب الشبع، ومن يحب التوسع في المباحات، ومن يحب كثرة النوم والكسل والتراخي، ومن يحب كثرة المزاح والضحك، وغير ذلك.

---

(١) زاد المعاد [٢ / ٤٦٨، ٤٦٩] بتصرف يسير.

٦ـ البغض الطبيعي الفطري

ويدخل في هذا النوع ما تنكره الطبائع وتكرهه النفوس وتشمئز منه الفطر السليمة، كبغض أنواع النجاسات، وبغض الحيوانات الضارة كالفأرة والحية والأسد وغير ذلك، وكراهية ما يؤذي ويضر، وغير ذلك من أنواع المكروهات والمبغوضات الفطرية

ومنه بغض بعض الناس لأنواع من المطعومات التي لا تألفها طباعهم، كما في الحديث عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِضَبٍّ مَشْوِيٍّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ لِيَأْكُلَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ ضَبٌّ فَأَمْسَكَ يَدَهُ فَقَالَ خَالِدٌ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ**» فَأَكَلَ خَالِدٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ»(١)

فالنبي ﷺ كره الأكل من الضب ليس لشيء إلا لأنه ليس من طعام قومه، فتركُه للأكل منه ليس لأنه يحرمه على نفسه، ولكن طبيعة نفسه لا تقبله

وفي الصحيح أيضًا أنه ترك أكل البصل والثوم معتذرا بقوله: «**فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**»(٢)

ومنه بغض الناس لركوب البحر، أو السفر بالطائرات وغير ذلك مما يختلف فيه الناس اختلافًا كثيرًا

---

(١) أخرجه البخاري [٧ / ٧٢ رقم ٥٤٠٠] بَاب الشِّوَاءِ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى فَجَاءَ ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أَيْ مَشْوِيٍّ

(٢) أخرجه البخاري [٩ / ١١٠ رقم ٧٣٥٩] بَاب الْأَحْكَامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالدَّلَائِلِ

فهذا النوع لا مؤاخذة فيه على العبد؛ **إلا إذا منع من واجب أو دفع إلى ارتكاب محرم**

مثاله: من يكره الظُّلْمة فيمتنع عن شهود الفجر في جماعة في المسجد خوفًا من الظُّلْمة، ومن يمتنع عن الصيام مخافة الجوع والضعف، ومن يمتنع عن الجهاد في سبيل الله مخافة الموت والهلكة؛ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

فالكراهة في الآية هي الكراهة الجبيلة الفطرية، وهي كراهة الموت والهلكة والألم = فهذه الكراهة غير معتبرة في ترك الجهاد؛ لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والنفع العام للعباد والبلاد ودحض أعداء الله، وقطع دابرهم وكسر شوكتهم، وكذلك لما يترتب عليه من الفوز بالدرجات العليا في الآخرة.

البغض الكفري المخرج من الملة:

المقصود بهذا النوع: البغض الذي يناقض شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

؛ فقد مرَّ معنا أن المحبة شرط من شروط لا إله إلا الله، وهي أصل الإيمان وعليها يبنى، فإذا انتفت المحبة، أو كانت موجودة لكنها مشوبة بنقيضها؛ فإن هذا يعد كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، فكما أن مبنى الإيمان على الحب والذل والتعظيم، فكذلك مبناه على بغض ما يضاد ذلك مما هو محادة لله ولرسوله،

صور من البغض الشركي:

وهذا النوع له صور متعددة، على رأسها:

الأول: أن يبغض العبدُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ

وهذا النوع من أشد أنواع الكفر، ويدخل تحته:

أ. قول الملاحدة بنفي وجود الرب سبحانه وتعالى

كقول الدهرية فيما مضى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

وقول كفار العرب للنبي ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ [الفرقان:٦٠].

وقول الشيوعية والإلحادية بنفي وجود الإله.

ب. ادعاء الربوبية أو ادعاء بعض صفات الرب

وهذا مستلزم لبغض ربوبيته سبحانه على خلقه ورفضها، فلا يقر بها ولا يعترف بها ظاهرًا وإن كان يقرُّ بها باطنًا، ومن ذلك قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وقوله لموسى ﷺ: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣].

وقول النمرود لإبراهيم ﷺ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨].

ت. ويدخل تحته أيضًا من يتهم ربه بالظلم أو المحاباة أو يتهمه بالفقر أو البخل كما فعل جهلة اليهود وزنادقة العقلانيين والمنطقيين والفلاسفة المارقين، وكذا أتباعهم وصبيانهم من المفكرين والنساء الذين يتهمون ربهم بالظلم، ويتهمونه بميله للرجال دون النساء تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، قال تعالى:

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١]، وكذلك زنادقة المستهزئين بربهم الساخرين بصفاته وبمقامه، تعالى ربنا عن قول المارقين علوًّا كبيرًا

يقول عبد العزيز المقالح: «صار الله رمادًا، صمتًا رعبًا في كف الجلادين. حقلًا يُنبِت سُبحاتٍ وعمائم بين الرب، الأغنية الثروة والرب القادم من هوليوود، كان الله قديمًا حبًا، وكان نهارًا في الليل أغنية تغسل بالأمطار الخضراء تجاعيد الأرض».

ويقول عبد الوهاب البيَاتي: «الله في مدينتي يبيعه اليهود، الله في مدينتي مشرَّدٌ طريد، أراده الغزاة أن يكون لهم أجيرًا شاعرًا قوادًا، يخدع في قِيثارة المذهب العباد لكنه أصيب بالجنون، لأنه أراد أن يصون زنابق الحقول من جرادهم أراد أن يكون..»

ويقول بدر شاكر السياب: «فنحن جميعًا أموات. أنا ومحمد والله وهذا قبرنا أنقاض مئذنة مُعفَّرة، عليها يكتب اسم محمد والله. ثم يقول: «وإن الله باق في قرانا ما قتلناه، ولا من جوعنا يومًا أكلناه»(١)

وهذا الكفر البواح لا ينطق به إلا من أبغض ربَّه وامتلأ قلبه غِلًّا وسفاهة وزندقة وسوء أدب مع ربه جل جلاله.

---

(١) الاستهزاء بالدين وأهله (ص١٨ وما بعدها) بتصرف واختصار.

ج ـ ومن ذلك أيضًا: أن يبغض العبد توحيد الله بعبادته وإخلاصه بالعمل ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢].

وقال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ﴾ [الفرقان:٤٢].

فهؤلاء كرهوا التوحيد وضاقت صدورهم أن تكون العبادة لله وحده لا شريك له، فأحزن قلوبَهم التوحيدُ والدعوةُ إليه واستبشروا بالشرك والكفر.

وفي الصحيح عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي «**يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ**» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ**» قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: **تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا!**

فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:١-٢]»(١).

وبغض التوحيد له علامات كثيرة منها(٢):

١ ـ حرب التوحيد وتضييق مجاريه وعدم التمكين له مع السماح للشرك والكفر بالحرية والظهور.

٢ ـ الصد عن سبيل الله ومنع الناس من العمل بالدين والدخول فيه والقيام به على وجهه، والسعي في إخفاء معالم الدين وشعائره الظاهرة، أو نشر وترويج كل ما يخالف الدين ويضاده ويهدمه ويقدح فيه والدفاع عنه وعن أهله ومحبة إشاعة الفاحشة.

٣ ـ ذم الدين وسبه وشتمه والقدح فيه والسخرية به أو بشيء منه.

٤ ـ تمدُّحُ الكفر وإظهاره والسماح له وتأييد أهله ومدحهم وإعانتهم على كفرهم.

٥ ـ محاربة أهل الدين والتربص بهم وأذيتهم وسبهم ولمزهم والإساءة إليهم.

٦ ـ حرب الجهاد وأهله وصد الناس عنه وهذه أبرز علامات أهل النفاق

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ

(١) أخرجه البخاري [٦ / ١١١ رقم ٤٧٧٠] بَاب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾.

(٢) انظر: شرح نواقض الإسلام (ص٢٦٩) مع زيادات وتصرف كثير.

قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران:١٦٧].

٧ ـ كتمان الحق ولبسه بالباطل وهو من أخطر ما يواجه أهل الإسلام.

٨ ـ ويدخل في ذلك أيضًا: نشر البدع الشركية

كالحج لأصحاب الأضرحة وإنشاء المزارات وشد الرحال إليها، والاعتكاف عندها، والطواف حولها، وتقديم النذور والذبائح لها، وتقديم أنواع الصدقات لصناديقها، وكذلك بذل أنواع الأذكار والأوراد قربانًا لها، وتعليق الناس بأصحابها، وإضفاء القدسية على أصحابها والقصص الباعثة على تعظيمهم وتقديسهم من دون الله تعالى، وفي الوقت ذاته: محاربة أهل التوحيد الناهيين عن ذلك كله والطعن فيهم ونبذهم ورميهم بالجهل والتشدد واستعداء السلطات والحكومات عليهم.

٩ ـ فتح مساجد الأضرحة والمشاهد المعظمة عند العوام والدعوة إليها وحراستها وترميم المتهدم منها، ورعايتها وتنظيم الموالد والمحافل والحضرات فيها، وإنشاء المؤتمرات فيها.

ح ـ ومن ذلك: أن يبغض العبد شيئًا من صفات المولى عَزَّوَجَلَّ أو أسمائه وأفعاله ويتسخط عليها ويعترض عليها، أو يتسخط قضاء الله وقدره وحكمه وحكمته في أفعاله

قال تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة:٦٤].

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر:٣١].

❐ الثاني: بغض الإسلام وحكم الله وشرعه ودينه وأمره ونهيه أو يبغض التحاكم إليه أو شيئًا من الدين أو يحب ما حرم الله ونهى عنه مع بغض ما أمر به واقترضه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦٠-٦١].

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩].

فأخبر أن بغض شرعه وما بعث به من الهدى وعدم التحاكم إليه والتسليم له من الفسق الأكبر المخرج من الملة، وأن ما هم عليه من الأهواء المردية والعقول السقيمة مُفضٍ إلى الفتنة والضلال إن اتَّبعهم.

قال شيخ الإسلام: «فَمن اعْتقد قبح مَا أَمر الله بِهِ أَمر إيجاب أَو اسْتِحْبَاب أَو أبْغض ذَلِك وَكَرِهَهُ بِحَيْثُ يتألم على فعله ويتأذى بِوُجُودِهِ فَفِيهِ من النِّفَاق بِحَسب ذَلِك وَهُوَ إِمَّا نفاق أكبر يخرجه من أصل الْإِيمَان وَإِمَّا نفاق أَصْغَر يُخرجهُ من كَمَاله الْوَاجِب عَلَيْهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

بل إِذا علم العَبْد أَن هَذَا الْفِعْل قد أمره الله بِهِ وأحبه فَاعْتقد هُوَ أَن ذَلِك لَيْسَ مِمَّا أَمر الله بِهِ وأبغضه وَكَرِهَهُ فَهُوَ كَافِر بِلَا ريب»(١)

❐ الثالث: بغض أحد من الملائكة.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧-٩٨].

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع أهل العلم

(١) جامع الرسائل لابن تيمية [١ / ٢٤٨]

بالتأويل جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوٌّ لهم، وأن ميكائيل ولي لهم»(١)

ومثل هؤلاء من يقولون: إن جبريل خيال، وأنه يأخذ علمه من الأولياء

قال شيخ الإسلام: «وعند المتفلسفة أن جبريل إنما هو خيال في نفس النبي ليس هو مَلَكًا يأتي من السماء والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الأولياء في زعمهم فإنه يأخذ من العقل المجرد الذي يأخذ منه الخيال؛ فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَكُ الذي يوحي به إلى الرسول»(٢)

❑ الرابع: بغض أحد من الرسل أو سبُّه أو الطعنُ فيه أو انتقاصُه أو رميُّه بالنقائص وبما لا يليق

فحبُّ الأنبياء فرض عين، وهو ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان عبد إلا به، وعلى النقيض فإن بغضهم رِدَّةٌ عن دين الإسلام ونقض الإيمان المنعقد في القلب

قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] ومثلها آية آل عمران: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٣٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى [١٣ / ١٨٩]

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام عن ابن عربي الصوفي الحلولي:

«ولهذا عاب ابن عربي نوحًا أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وهو الذي جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة، وأهلك سائر أهل الأرض لما كذبوه؛ فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الأصنام، وأنهم ما عبدوا إلا الله وأن خطاياهم خَطتْ بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، **وهذا عادته ينتقص الأنبياء ويمدح الكفار** كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وغيرهم. ومدح عباد العجل وتنقصَ هارون وافترى على موسى ﷺ»(١)

❑ الخامس: أن يبغض الرسول ﷺ لذاته أو أفعاله وهديه أو شرعه ودينه وسنته أو شيئًا مما جاء به.

فإن حُبَّه ﷺ فرضُ عين على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو من أصول الإسلام ولوازم الإيمان، ولا يَقبل الله من عبد صرفًا ولا عدلًا حتى يحقق إيمانه بالنبي ﷺ ومحبته وتوقيره وتعزيره ونصرته، فقد جعل اتباعه مفتاحَ دار السلام، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ

(١) مجموع الفتاوى [١٣ / ١٩١]

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح:٨- ٩].

فبغضه ﷺ ناقض للإيمان، محبط للأعمال كما مرَّ معنا تفصيل ذلك.

❐ السادس: بغض القرآن أو آية منه، أو اعتقاد نقصه، أو تحريفه، أو اعتقاد حيفه وظلمه، أو اعتقاد أنه يخضع للنقد والتعديل والإصلاح كأي مُنتَج بشري

فإن هذا كله كفر بواح، محبطٌ للعمل، مذهبٌ للإيمان من أساسه، والدليل على هذا

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٦].

فإذا كان الله قد كفرهم لأنهم أطاعوهم في بعض الأمر، فكيف بمن كره الشريعة رأسًا، وأبغضها ولم يرض بها.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٨].

قال شيخ الإسلام: «وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك

وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»(١).

يقول طه حسين في إحدى محاضراته في كلية الآداب(٢): «لاشك أن الباحث الناقد والمفكر الحر الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كاتب ديني آخر».

وقال أيضًا: «فمثلًا نرى القسم المكي فيه يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة»

ويصف القرآن الذي نزل على النبي ﷺ قبل الهجرة بقوله: «ويمتاز كذلك بتقطيع الفكرة واقتضاب المعاني وقصر الآيات، والخلو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر فيه القَسَمُ بالشمس والقمر والنجوم إلى آخر ما هو جدير بالبيئات الجاهلية الساذجة التي تشبه بيئة مكة تأخرًا وانحطاطًا» تعالى الله عن قوله علوًّا كبيرًا

ويقول أيضًا: «ليس القرآن إلا كتابًا ككل الكتب الخاضعة للنقد!! فيجب أن يجرى عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائيا عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتابًا عاديًا فتقولوا فيه كلمتكم!»

فأيُّ كلام يقال في مثل هذا، الذي سبَّ القرآن وانتقصه وجعله كأي منتج بشري

---

(١) الصارم المسلول [ص ٥٩٠]

(٢) منقول عن محضر الجلسة الرابع والعشرين لمجلس النواب المصري ٢٨ مارس لسنة١٩٣٢ م.

ومثله نصر حامد أبو زيد وغيرهما كثيرون، نعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان.

❐ السابع: بغض السنة والأحاديث وردها أو شعيرة من شعائر الله

ويدخل في هذا الاستهزاء بالسنن والاستخفاف بها، وتشويها عند العامة، والطعن فيها،

فهذا من نواقض الإيمان بإجماع الأمة سلفًا وخلفًا

❐ الثامن: بغض الصحابة أو أهل الإيمان والدين أو العلماء أو المجاهدين.

حب الصحابة فرض عين على كل مسلم ففضائلهم كثيرة متعددة، فهم الذين نصروا الدين ونشروه، وهم الذين قاتلوا المشركين، وهم الذين نقلوا القرآن والسنَّة والأحكام، وقد بذلوا أنفسهم ودماءهم وأموالهم في سبيل الله، وقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فلا يسبهم ولا يبغضهم إلا منافق لا يحب الدين ولا يؤمن به.

«وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله، ويذب عن رسول الله بنفسه وماله، ويعينه على إظهار دين الله وإعلاء كلمة الله، وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة وهو حينئذ لم يستقر أمره، ولم تنتشر دعوته ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه»(١)

وقد زكاهم الله في كتابه وأثنى عليهم ومدحهم وأخبرنا أنه راضٍ عنهم غير ساخط، وأنه عفا عن مسيئهم وقبل من محسنهم، وأخبرنا أنهم أفضل الأمة

---

(١) الصارم المسلول [ص ٥٨١]

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠] وهم أول المخاطبين بهذا المدح والثناء، والأمة من بعدهم تبع لهم.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

إلى غير ذلك من الأدلة، فمن أبغضهم أو كفَّرهم أو فسقهم فقد أكذب الله في شهادته لهم بالرضى والمغفرة والفضل، ومن أكذب اللهَ كفر بعد إسلام، وانسلخ من دائرة الإيمان بالكلية

وعن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**»(١)

وعن الْبَرَاءَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا**

(١) **متفق عليه**: البخاري [١ / ١٢ رقم ١٧] بَاب عَلَامَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، ومسلم [١ / ٨٥ رقم ٣٣] باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق

يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»(١)، فإذا كان بغض بعض الصحابة وهم الأنصار شارةً ودليلًا على النفاق، فكيف ببغض جميع الصحابة؟!

قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ: فاعلم أنه زنديق».

وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء: فاتهمه على الإسلام».

وقال مالك رضي الله عنه: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سَوْء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين»

والنقولات في هذا كثيرة جدًّا عن أهل العلم، والحاصل أن بغض الصحابة وتكفيرهم أو تفسيقهم كفر مخرج من الملة.

❐ التاسع: بغض العرب

والمقصود بالبغض هنا: أن يبغض العرب لأن خاتمة الرسالات وقعت فيهم، وأن النبي ﷺ جاء من أشرف بطونهم وأعرق قبائلهم، فيمتلأ قلبه غيظًا وحقدًا عليهم؛ حسدًا لهم على ما منَّ الله عليهم من هذا الفضل العظيم والشرف الجسيم، **وهذا الناقض قد وقع فيه اليهود والنصارى والمجوس**

(١) البخاري [٥ / ٣٢ رقم ٣٧٨٣] بَاب حُبِّ الْأَنْصَارِ

والنصيرية والشيعة الروافض ونحوهم، وإنما حملهم على الكفر والصد عن دعوة الإسلام حسدهم للعرب أن بعث فيهم النبي ﷺ واختصاصهم بهذا الشرف؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

قال ابن كثير: «عن عاصم بن عُمَر عن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قال: قالوا: فينا والله وفيهم -يعني في الأنصار-وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم، نزلت هذه القصة يعني: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ قالوا: كنا قد علوناهم دهرًا في الجاهلية، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون: إن نبيًا من الأنبياء يُبعث الآن نتبعه، قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. **فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به**. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]»(١).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

وعن ابن عباس، قال: «كان حُيَيُّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدًا، إذْ خَصهم الله برسوله ﷺ وكانا جَاهدَين في ردِّ

(١) تفسير ابن كثير [١ / ٣٢٥]

الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية»(١).

وجه كون بغض العرب ناقضًا من نواقض الإيمان:

بغض آحاد العرب من قبائل أو أمصار أو بلدان لأمور متعلقة بالدنيا كالبخل أو الظلم أو الغنى أو غيرها لا يضر العبد في إيمانه؛ **أما بغض جنس العرب كافة مع كون الباعث على هذا البغض هو كونهم اختصوا بالرسالة وكون الخلافة فيهم** = فهذا هو الكفر الأكبر المخرج من الملة لعدة أمور:

منها: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

فالله سبحانه هو أعلم أين يضع رسالات رسله، ومن أي أقوام يختارهم، وفي أي بلد يرسلهم، فالطاعن في اختيار الله تعالى واصطفائه خارج من الملة.

ومنها: الحديث الذي أخرجه الترمذي بسند حسن عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال: قلتُ: «يا رسولَ الله، إِنَّ قريشًا جلسوا فتذاكروا أَحْسَابَهم بينهم، فجعلوا مَثَلَكَ كَمَثَلِ نَخْلة في كَبْوة من الأرض، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله خَلَقَ الخلق، فجعلني من خيرِ فِرَقِهم، وخَيْرِ الفريقين، ثم خَيْرِ القبائل، فجعلني في خير قبيلة، ثم خَيْرِ البيوتِ، فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرُهم نَفْسًا وخيرُهم بيتًا**»»(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير [١ / ٣٨٢]

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي [٥ / ٥٨٤ رقم ٣٦٠٧] في فضل النبي ﷺ، والبزار (٤/ ١٤٠ رقم ١٣١٦)

ومنها: ما اختُصَّ به العرب من أحكام شرعية

قال شيخ الإسلام: «ثم إن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها عن غيرهم، فخص قريشا بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغير ذلك، ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة، واستحقاق قسط من الفيء إلى غير ذلك، فأعطى الله -سبحانه- كل درجة بحسبها، والله عليم حكيم، الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، والله أعلم حيث يجعل رسالته»(١).

ومنها: أن أصحابه ﷺ هم أفضل صحب صحبوا نبيًا، وهم أفضل الأمم خلا الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة الراشدون، فالطاعن فيهم طاعن في رسول الله ﷺ

«فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ حِقْدٌ عَلَى خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ النَّبِيِّينَ؟ بَلْ قَدْ فَضَلَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِخَصْلَةٍ، قِيلَ لِلْيَهُودِ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وَقِيلَ لِلنَّصَارَى: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وَقِيلَ لِلرَّافِضَةِ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ!!»»(٢)

قال شيخ الإسلام: «ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب

---

(١) المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم [ص ٣٣] المؤلف: محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: ٧٧٨هـ)، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

(٢) شرح الطحاوية [ص ٤٧٩]

والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق إما في الاعتقاد وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك»(١)

وقال أيضًا: «فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد **أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم رومهم وفرسهم وغيرهم، وأن قريشا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفسًا وأفضلهم نسبًا**، وليس فضل العرب ثم قريش، ثم بني هاشم بمجرد كون النبي ﷺ منهم وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل وبذلك ثبت لرسول الله ﷺ أنه أفضل نفسًا ونسبًا وإلا لزم الدور»(٢)

عن عبد الرحمن بن مالك بن مِغْوَل، عن أبيه قال: قال لي الشعبي:

«أحذركم هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتًا لأهل الإسلام، وبغيًا عليهم. قد حرَّقهم علي - رضي الله عنه - بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن ياسر نفاه إلى خازر»(٣).

ومنها: ما فضَّل الله به العرب عن غيرهم مما أعطاهم من الفضائل

قال شيخ الإسلام: «وسبب هذا الفضل: **ما اختُصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم**، وذلك لأن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما

(١) اقتضاء الصراط المستقيم [ص ١٤٩]

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم [ص ١٤٨]

(٣) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد [ص ٤٨٣]

بالعمل الصالح، والعلم مبدأه العقل، وهو قوة الفهم، وتمامه قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء وغير ذلك من الأخلاق المحمودة»(١)

ومنها: نزول القرآن باللغة العربية وهي أكمل لغة تحمل معاني الشرع ولوازمه

«فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، فلم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين إذ هو أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله وأقرب إلى إقامة شعار الدين»(٢)

ومنها: إجماع الأمة عربهم وعجمهم أحمرهم وأسودهم وأبيضهم على هذا المعنى

«فالأمة مجمعة على فضل طريقة العرب السابقين وأن الفاضل من تبعهم، وهو المطلوب، والذي يجب على المسلم إذا نظر إلى الفضائل أو تكلم فيها أن يسلك سبيل العاقل الذي غرضه أن يعرف الخير ويتحراه جهده، ليس غرضه الفخر على أحد، ولا الغمط من أحد»(٣)

---

(١) المنهج القويم [ص ٣٤]

(٢) المنهج القويم [ص ٣٥]

(٣) المنهج القويم [ص ٣٦]

وقد عمل الصحابة بهذا التفضيل «لما وضع عمر الديوان كتب الناس على قدر أنسابهم، فبدأ بأقربهم فأقربهم إلى رسول الله، فلما انقضت العرب ذكر العجم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين وسائر الخلفاء بعدهم إلى أن تغير الأمر بعد»(١).

وهذا التفضيل لمن آمن من العرب فهو لمؤمنهم وليس لذواتهم، على العكس مما يفهمه بعض فسقة العرب الآن؛ فالعبرة بالتقوى والعمل الصالح قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

فإن «فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص، **فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش**»(٢).

بغض بعض الأحكام الشرعية قد يكون سببًا في زوال الإيمان، وحبوط العمل:

كما أن محبة الشرع لازمة وشرطٌ من شروط الإيمان، فكذلك بغضه أو بغض شيء منه ناقض من نواقض الإيمان، ومحبط من محبطات الأعمال

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٦].

---

(١) المنهج القويم [ص ٣٤]

(٢) السابق (ص٣٥).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥] إلى غير ذلك من الآيات.

اعلم بارك الله فيك: أن المسلم إذا رضي بحكم الله شرعًا وديناً، وأذعن له، ولم يرفضه، ولم يعترض عليه، فهذا هو الواجب الذي أُمر به، ولا يضره لو كانت نفسه تكره الفعل طبعا، ككراهة النفس للقتال مع قبولها وإذعانها لحكم الله. قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]. فهذه الكراهة غير مؤاخذ بها، لأنها كراهة جبلية عامة في النفوس البشرية.

لكن هل يدخل في هذا كراهية بعض الناس لبعض الأحكام الشرعية، ككراهية المرأة للتعدد أو الحجاب أو الختان أو ترك التنمص والتبرج، وككراهية الرجل للحية والالتزام الظاهر بالسنة وغير ذلك، والجواب أن المبغض لذلك له حالان:

❐ الأولى: أن يكره هذا من باب الجبلة والطبيعة، وما يتوقعه من فعله من الألم

فهذا لا شيء فيه، ولا يلزم منه الرضا، وإن كان الرضا أعلى وأجمل وأقوم سبيلًا، لكن ليس كل النفوس تحتمله وتصبر عليه، وفي معنى هذا يقول ابن القيم: «**وليس من شرط الرضى ألا يحس بالألم والمكاره**؛ بل ألا

يعترض على الحكم ولا يتسخطه، ولهذا أشكل على بعض الناس الرضى بالمكروه وطعنوا فيه، وقالوا: هذا ممتنع على الطبيعة وإنما هو الصبر وإلا فكيف يجتمع الرضى والكراهية وهما ضدان.

والصواب: أنه لا تناقض بينهما وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضى كرضى المريض بشرب الدواء الكريه، ورضى الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ، ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها»(١)

وعليه: فلا حرج على الإنسان إذا كره ما كُتب عليه؛ لا لكراهته من حيث أمَر الشارع به؛ ولكن لكراهته من حيث الطبيعة؛ أما من حيث أمْر الشارع به فالواجب القبول، وانشراح الصدر به؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

الحالة الثانية: أن يكره كون الشرع جاء به، ويتمنى أن لم يكن شرعه لعباده، بل ويستحب غيره عليه، ويحاربه ويفضل المعصية عليه؛ فلا شك أن هذا كفر مخرج من الملة بلا ريب؛ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٩].

فلو ضربنا مثالًا بمسألة: تعدد الزوجات

فعموم النساء يكرهنه جبلةً وطبيعةً، وذلك لما يترتب عليه من مزاحمة

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٥).

امرأة وضرة أخرى لها في زوجها، وربما يكون بغضها لمظنة خوف حَيْف الزوج وميله للزوجة الجديدة دونها إلى غير ذلك من المضرات والمكروهات، مع كمال رضاها بشرع الله تعالى والإذعان له، فهذه لا شيء عليها، ومثله كراهة المؤمنين للقتال مع رضاهم به وحبهم للجهاد قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

وأما إذا كرهت المرأة التعدد وأبغضته وتمنت من قلبها أن الله لم يكن شرعه للرجال، فهذه لا شكَّ في كفرها، ومثلها التي تقول: لو زنى زوجها أهون عليها من أن يتزوج عليها أخرى.

ومثلها: التي تعتقد أن الزوجة الأخرى ستضيق عليها رزقها وولدها أو تأخذ رزقها من زوجها

فتتشاءم منها وتبغض التعدد وتعده ظلمًا وحيفًا عليها وعلى أولادها!

ومثلها: التي تسمي التعدد خيانة، ولا فرق عندها بين خيانة الزوج لها بالزنا وبين نكاحه لامرأة أخرى على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ!

سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السائل: هناك مشكلة اجتماعية خطيرة استفحلت بسبب الغزو الاجتماعي تلك هي عدم تعدد الزوجات، فما رأيكم في ذلك؟

فأجاب الشيخ: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام

على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

فلا ريب أن تعدد الزوجات فيه مصالح جمة، وقد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء:٣]، فالله جَلَّوَعَلَا شرع لعباده تعدد الزوجات لمصالح كثيرة منها: ما في ذلك من عفة الرجل وعفة النساء، فإن الزواج من أسباب العفة للرجل عما حرم الله، ومن أسباب عفة النساء عما حرم الله، وبقاء الرجل بلا زوجة أو مع زوجة لا تُعفَّه؛ لأنه شديد الشهوة قد يضره ويعرضه للفتن، وهكذا بقاء المرأة بدون زوج قد يعرضها للفتنة، فمن رحمة الله سبحانه أن شرع لعباده الزواج وشرع التعدد حتى يحصل من ذلك الخير الكثير، ومن أسباب ذلك أن الرجل قد لا تكفيه واحدة، قد يكون قوي الشهوة، فلا تكفيه واحدة، وربما تعرَّض بسبب ذلك إلى ما حرم الله فلذلك شرع الله التعدد، ومن ذلك أيضًا: أن المرأة تحيض ويصيبها النفاس أيضًا فيتعطل الرجل مدة النفاس ومدة الحيض، فإذا كان عنده ثانية وثالثة وجد ما يُعِفُّه عند تعطل المرأة وعند وجود ما يمنع الجماع، كذلك قد تمرض المرأة، قد تسافر لبعض الأسباب؛ **فالحاصل أن الحاجة إلى الثانية والثالثة والرابعة حاجة ظاهرة**، كذلك قد يكثر النساء ويتعطلن من الأزواج كونهن عند زوجٍ يعفهن ويقوم عليهن وينفق عليهن ويصونهن ولو كن أربعًا تحت واحد، هذا خير لهن من تعطلهن وعدم التزوج، فالذي جاءت به الشريعة كله خير وكله صلاح للمجتمع فلا ينبغي لعاقل أن يستنكر ذلك، وإن كان بعض النساء قد تستنكر ذلك لقلة الفهم وقلة البصيرة وقلة العلم، وإلا فالتعدد فيه مصالح للجميع، للرجال والنساء جميعًا، **ولكن**

بعض النساء قد يجحد هذا الشيء وقد ينكر هذا الشيء ويرغب السلامة، وذلك من عدم النظر في العواقب، ومن عدم البصيرة في الدين فلا ينبغي للمرأة أن تستنكر هذا الشيء، نعم، إذا سلمت من الضرة لا بأس، **ولكن لا يجوز لها أن تستنكر حكم الله ولا أن تكره حكم الله بل عليها أن ترضى بحكم الله وأن تعلم أن حكم الله فيه خير للجميع وفيه السعادة للجميع ولو حصل عليها بعض الأذى من الجارة**، والحمد لله ما دام الأمر على شرع الله، وفيه مصالح كثيرة فينبغي لها التحمل والتصبر وعدم الاستنكار للزوج الذي عنده أكثر من واحدة؛ بل إذا تيسر لها زوج ليس معها شريك فلا بأس، وإلا فلا ينبغي أن تصبر على الوحدة والبقاء بدون زوج من أجل عدم الجارة، بل ينبغي لها أن تصبر وأن تنكح الزوج الذي معه زوجة قبلها أو زوجتان، ولا بأس عليها في ذلك إذا عدد»(١).

وسئل الشيخ: محمد ناصر الدين الالباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

السائل: ما نصيحتكم للنساء في مسألة رفضهن لتعدد الزوجات؟

فأجاب الشيخ: «هذا في بلاد الإسلام كلها، ليس عندكم فقط، المشكلة عامة، وعندنا هنا وفي سوريا كذلك؛ لأنه هذا من غزو الغرب الفكري لبلاد الإسلام؛ لأن الكفار ينقمون على المسلمين أشياء كثيرة، ومنها تعدد الزوجات، ولعلك تعلم أن هناك كثيرًا من الكُتَّاب الإسلاميين انغشوا بدعايات الكافرين، ووصلت هذه الدعاية بقوة مع بعض الرجالات المصريين الذين عاشوا في فرنسا، ورجعوا منها إلى مصر، فنشروا فيها هناك

(١) من الموقع الرسمي للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ما يتعلق بحرية المرأة وحددوا موضوع الزواج بأكثر من واحدة بما يتعلق بالضرورة ولذلك فقد سمعنا في الإذاعة المصرية مرارًا وتكرارًا أن الإسلام لا يحض على تعداد الزوجات، وإنما ذلك للضرورة ويتأولون الآية التي تقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء:٣] أنهم يجمعون بين الآيتين، ويدعون أن الآية التي تنص على أنه غير مستطاع العدل بينهن، تنفي جواز التعدد إلا للضرورة، وهذا من تحريف الكلام الإلهي عن موضعه، والواقع أن الله عَزَّوَجَلَّ أباح التعدد، بل حض عليه؛ لأن قوله تعالى في الآية المشهورة: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣] هذه الآية أوضحها النبي ﷺ أنها ليست فقط للإباحة والإجازة، بل لبيان الفضيلة، حينما قال عليه الصلاة والسلام: «**تَزَوَّجُوا الوَلُودَ الْوَدُودَ، فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكِمُ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» فتكثير سواد أمة الرسول ﷺ ليس له إلا سبب واحد، وهو أن يكثر الرجل من النساء الحريم بالعدد الذي أباحه له القرآن الكريم، وهو أربعة من النسوة وعلى ذلك جرى سنة السلف، فكثير من الصحابة كان لهم أكثر من زوجة واحدة، كأبي بكر مثلا وعلي وغيرهما، فكثير السواد يحصل بهذه الوسيلة، وتقليل السواد يحصل بالتحجير على المسلمين أن يتزوجوا بأكثر من واحدة، فعلى ذلك الفتيات المسلمات اللاتي يتخذن ذلك الموقف وهو عدم القبول بأن تكون زوجةً لزوجٍ متزوج أو تبقى كما قلت عانسًا أو إذا كانت متزوجة وأراد زوجها أن يتزوج عليها، فتختار الطلاق، هذا بلا شك من وحي التربية الغربية، ولاشك أن البلاد الإسلامية غزيت منذ نحو قرن من الزمان، أو أقل أو أكثر وذلك حسب اختلاف البلاد التي استعمرت من بعض

الكفار غزيت فكريًا في عقر دارها،..... الشاهد: **أن فكرة امتناع الفتيات المسلمات من التعدد، هذه فكرة خطيرة جدًّا، ومخالفة للشريعة الإسلامية،** وعليهن أن يطرحوا الأهواء الشخصية وأن يخضعوا أنفسهم للأحكام الشرعية، **وإلا ما يكنَّ مسلمات حقًا صالحات كما قد يدعي منهن أنها ملتزمة، ولكنها إذا وُجِهَتْ بمثل هذا الحكم الشرعي استنكفت** والله عَزَّوَجَلَّ يقول في صريح القرآن الكريم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] فنحن ننصح الشابات، بل الشباب أن يرفعوا عن أفكارهم قضية عدم جواز التعدد إلا للضرورة، بل هو جائز بدون ضرورة، وذلك خير للشباب المسلم، ولو من الناحية الشهوانية، أن يقضي وطره بالحلال، بالزوجة الثانية، خير له من أن يقضي وطره بالحرام بأن يتخذ خليلاتٍ وصاحبات بالحرام، والله المستعان»(١).

وسئل الشيخ: محمد بن صالح العثيمين عن التعدد

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«رأيُنا في التعدد أنه أفضل من الاقتصار على واحدة؛ لما في ذلك من كثرة النسل وكثرة تحصين الفروج، والغالب في المجتمعات أن النساء أكثر من الرجال فيحتجن إلى من يحصن فروجهن، والإنسان إذا كان عنده واحدة فقد أحسن إلى واحدة وعلمها مما علمه الله من أمور الشرع، وإذا كان عنده

(١) سلسلة الهدى والنور: الشريط ٣٤٥

اثنتان زاد خيرًا فعلم اثنتين وأرشدهما وقام بمؤنتهما، وإذا كان عنده ثلاثة كان أكثر، وإذا كان عنده أربعة كان أكثر فكلما تعدد الأزواج أعني الزوجات فإنه أفضل وأحسن للمصالح التي تترتب على ذلك؛ لكن لا بد من شروط:

الشرط الأول: القدرة المالية بأن يكون عند الإنسان ما يدفعه مهرًا وما ينفقه على الزوجات

الثاني: القدرة البدنية يعني يكون عند الإنسان شهوة وقوة بحيث يؤدي الواجب الذي عليه نحو هذه الزوجات.

والشرط الثالث: القدرة على العدل بأن يعرف من نفسه أنه قادرٌ على أن يعدل بين الزوجة الجديدة وبين الزوجة القديمة فإن كان يخشى على نفسه أن لا يعدل فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ يعني فاقتصروا على واحدة ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾.

وفي حال تعدد الزوجات لا ينبغي للزوجة أن تغضب وأن تحزن وأن تعامل الزوج بالإساءة بناءً على أنه تزوج أخرى لأن ذلك من حقه وعليها أن تصبر وتحتسب الأجر من الله على ما حصل عليها مما يُنقِصُ عليها حياتها، وهي إذا فعلت ذلك أعانها الله عَزَّوَجَلَّ على تحمل هذا الأمر الذي ترى أنه من أعظم المصائب، ولهذا نسمع أنه في بعض الأماكن التي يتعدد فيه الزوجات وأن تعدد الزوجات عندهم أمرٌ عادي نسمع أن الزوجة القديمة لا تهتم ولا تتكدر ولا تحزن إذا تزوج زوجها بزوجة جديدة؛ **فالمسألة إذًا مبنية على العادة إذا كان البلد لا يعتاد فيه الرجال التعدد صعب على المرأة أن تتعدد الزوجات، وإذا كان من عادتهم التعدد سَهُلَ عليها،** فنقول للمرأة التي تزوج

عليها زوجها اصبري واحتسبي الأجر من الله حتى يعينك الله على ذلك ويعين زوجك على العدل؛ وليحذر الزوج من الجور بين الزوجات وعدم العدل فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم توعد من فعل ذلك في قوله: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»(١).

وعليه العدل بين الزوجات في كل شيء في المباسطة في المكالمة في الانشراح في المبيت في كل شيءٍ يقدر عليه أما المحبة فهي أمرٌ ليس باختيار الإنسان؛ ولهذا لا يجب عليه أن يعدل بينهن في المحبة لأن ذلك ليس إليه فالقلوب بيد الله عَزَّوَجَلَّ يصرفها كيف يشاء لكن ما يستطيع أن يقوم به من العدل فهو واجبٌ عليه»(٢).

ففي الجملة ينبغي على المرأة أن تحافظ على إيمانها أن يشوبه شيء، كما ينبغي عليها أن تجاهد نفسها في دفع وساوس الشياطين؛ فإن هذا أعون لها على أمر دينها ودنياها.

❁❁❁

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود [٢ / رقم ٢١٣٥] باب فِي الْقَسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ.، والدارمي [٢ / ١٩٣ رقم ٢٢٠٦] باب في العدل بين النساء

(٢) الموقع الرسمي للشيخ: مكتبة الفتاوى: فتاوى نور على الدرب (نصية): الصلاة

النوع الخامس عشر:

الشرك في الخوف

اعلم بارك الله فيك:

أن الخوف من الله تعالى من أعظم أنواع العبادات القلبية، فهو عظيم النفع، جليل القدر، والعبد إذا سكن في قلبه الخوف من الله تعالى لم يزدد به إلا خيرا وقربة وسعادة في الدنيا والآخرة، وأما إذا فارق قلبَه الخوفُ من الله تعالى أظلم عليه قلبه وسكنته الآفات والأمراض الفتَّاكة والشهوات المحرقة وشتَّت همه وفرَّقت عليه ضيعته، وعلا قلبه الغفلةُ والقسوةُ فلا يكاد يوفق لخير في دينه ودنياه عياذا بالله تعالى

الأدلة على كون الخوف من أصول الإيمان الاعتقادية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

أمر الله تعالى عباده بالخوف منه، وجعله شرطًا للإيمان؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ووصف ملائكته الكرام بقولِه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠]،

ووصف أنبياءه صلوات الله عليهم وسلم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩].

ومدح الذين يخشونه ـ والخشية: خوف يصحبه علم ـ فقال عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وعن عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللهَ؟ قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يُخَافُ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ»(١)

قال الحسن البصري: «عمِلوا لله الطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُردَّ عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا».

الخوف من الله تعالى أصل كل خير في الدنيا والآخرة

لأن الخوف سوط النفوس العاصية الشاردة عن طريق الخير والصلاح كالدواب الشاردة عن جادة الطريق؛ والتي تحتاج إلى تأديب السياط على ظهرها حتى ترجع إلى طريقها المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا زيغ

قال أبو سليمان الداراني: «أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ

(١) **صحيح**: أحمد [٤٢ / ١٥٦ رقم ٢٥٢٦٣]، الترمذي [٥ / ٣٢٧ رقم ٣١٧٥]

وقال: ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب»

قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأنّ أهل الجنة قالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤].

وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]»(١).

الخوف من لوازم الإيمان وموجباته

«الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤] وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه فقال عن أنبيائه بعد أن ثنى عليهم ومدحهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] فالرغب: الرجاء، والرهب: الخوف والخشية.

وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠].

والخوف على قدر العلم، فمن كان بالله أعلم كان منه أخوف

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (ص١٠٥)

وفي الصحيح عن النبي أنه قال: «**إني أعلمُكم بالله وأشدُّكم له خشيةً**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلما كان العبد بالله أعلم، كان له أخوف؛ قال ابن مسعود: «كفى بخشية الله علمًا».

قال أبو سليمان: «ما فارق الخوفُ قلبا إلا خرب.

وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يَزُل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

وقال حاتم الأصم: لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولَقِيَ فيها آدم ما لَقِيَ، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لَقِيَ ما لَقِيَ، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعورا لَقِيَ ما لَقِيَ وكان يعرف الاسم الأعظم، ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون»(٢)

الخوف المحمود

الخوف المحمود الصادق: وهو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله.

الخوف الواجب: هو ما حمل على فعل الواجبات، وترك المحرمات.

والخوف المستحب: هو ما حمل على فعل المستحبات، وترك المكروهات.

---

(١) طريق الهجرتين [ص ٤٢٣]

(٢) مدارج السالكين [١ / ٥١٣]

فالخوف المحمود هو الذي يقربك من الله تعالى وتهرب منه إليه سبحانه.

وليحذر العبد أن يتجاوز ذلك الحد؛ فإنه يخاف ـ إن تجاوز ـ منه اليأس والقنوط؛

قال العلامة ابن القيم: «كل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى؛ فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه»(١)

واعلم أن الخوف ليس مقصودًا لذاته بل مقصودًا لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومن علامات الخوف المحمود: أن صاحبه ينتفع بالآيات والعبر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات:٢٦]، وقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠].

وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

القليل من العبادة يكفي مع الخوف

وفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ ﷺ ذَكَرَ مِن السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُم اللهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ لَهُ إِلَّا ظِلُّهُ: «**رَجُلًا ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»: أَيْ خَافَ وَعِيدَهُ وَعِقَابَهُ خَالِيًا

فخاف مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب.

---

(١) مدارج السالكين [١ / ٥١٣].

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى**»(١)

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَلِجُ - أَيْ لَا يَدْخُلُ - النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**»(٢)

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: «لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَا تُصِيبُ دُمُوعُ الْإِنْسَانِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ مَكَانًا مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عَلَى النَّارِ، وَكَانَ لِصَدْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِن الْبُكَاءِ أَيْ فَوَرَانٌ وَغَلَيَانٌ كَغَلَيَانِ الْقِدْرِ عَلَى النَّارِ

وَقَالَ الْكِنْدِيُّ: «الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تُطْفِئُ الدَّمْعَةُ مِنْهُ أَمْثَالَ الْبِحَارِ مِن النَّارِ»(٣).

لا يجمع الله على عبد خوفين:

لمنزلة الخوف عند الله تعالى؛ فإنه بكرمه سبحانه لا يجمع على عبد

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩)، أحمد (٣/ ٤٧٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [١٦ / ٣٣٠ رقم ١٠٥٦٠]، والنسائي [٦ / ١٢ رقم و٣١٠٧] باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه.

(٣) الزواجر [١ / ٣٦] لشيخ الإسلام شهاب الدين الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

خوفين؛ فخوف العبد في الدنيا ينجيه من خوف يوم القيامة؛ ذاك أن الله أَمَّن المؤمنين يوم القيامة وفي جنات النعيم

قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)] فالحديث يدل على أن خوف العبد في الدنيا يؤمنه من مخاوف يوم القيامة؛ قيل ليحيى بن معاذ: «مَنْ آمَنُ الْخَلْقِ غدًا؟ فقال: أشدهم خوفًا اليوم»

وشكى رجل للحسن: إني أجلس إلى أقوام يخوفونني؛ فقال الحسن: إنك إن تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك الخوف..

والخوف من الله تعالى يحرق نار الشهوات في قلب العبد، وشدة حاجة العبد له:

قال تعالى على لسان ابن آدم: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨] فتأمل كيف حجزه الخوف عن قتل أخيه.

وقال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

---

(١) **حسن**: رواه ابن المبارك في الزهد [ص١٥٧]، وحسنه الألباني في الصحيحة [ص٧٤٢].

وتأمل أيضًا كيف حجزه الخوف عن الوقوع في الرذيلة والفاحشة.

قال إبراهيم بن شيبان: «إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد الدنيا عنه».

قال ابن الجوزي: «الْخَوْفُ هُوَ النَّارُ الْمُحْرِقَةُ لِلشَّهَوَاتِ، فَإِذًا فَضِيلَتُهُ بِقَدْرِ مَا يَحْرِقُ مِن الشَّهْوَةِ وَبِقَدْرِ مَا يَكُفُّ عَن الْمَعْصِيَةِ وَيَحُثُّ عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْخَوْفُ ذَا فَضِيلَةٍ وَبِهِ تَحْصُلُ الْعِفَّةُ وَالْوَرَعُ وَالتَّقْوَى وَالْمُجَاهَدَةُ وَالْأَعْمَالُ الْفَاضِلَةُ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟»(١)

وقال الفضيل بن عياض: «من خاف الله دلَّه الخوفُ على كل خير».

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «سَأَلْتُ وُهَيْبَ بْنَ الْوَرْدِ أَيَجِدُ طَعْمَ الْعِبَادَةِ مَنْ يَعْصِي اللهَ تَعَالَى؟ قَالَ لَا، وَلَا مَنْ يَهُمُّ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى»(٢).

والخوف من الله تعالى علامة الإيمان الراسخ في القلب

وهو من أجل أعمال القلوب والذي يفيض بأثره الحسن على اللسان والجوارح

«فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفا وحبا، **فالخوف من أجلِّ منازل الطريق** وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة وهم إليه أحوج وهم بهم أليق ولهم ألزم»(٣)

---

(١) الزواجر [١ / ٣٨]

(٢) الزواجر [١ / ٣٨]

(٣) طريق الهجرتين [ص ٤٢٤]

بأي شيء يستجلب الخوف من الله تعالى

«ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف، وهو ينشأ من ثلاثة أمر:

أحدها: معرفته بالجناية وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

والثالث: أنه لا يعلمُ لعله يُمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنبَ.

فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه»(١)

وبالجملة فمن استقر في قلبه ذكرُ الدار الآخرة وجزاؤها، وذكرُ المعصية والتوعد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح = هاج في قلبه من الخوف مالا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو، وأما إن كان مستقيما مع الله فخوفه يكون مع جريان الأنفاس؛ لعلمه بأن الله مقلب القلوب وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ، فإن شاء أن يقيمَه أقامه، وإن شاء أن يزيغَه أزاغَه كما ثبت عن النبي ﷺ، وكانت أكثر يمينه: لا ومقلب القلوب لا ومقلب القلوب وقال بعض السلف: القلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا!

وقال بعضهم: مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة تقلبُّها الرياح ظهرا لبطن!

---

(١) طريق الهجرتين [ص ٤٢٤]

ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] فأي قرار لمن هذه حالُه ومن أحقُّ بالخوف منه بل خوفه لازم له في كل حال، وإن توارى عنه بغلبة حالةٍ أخرى عليه فالخوف حشْوُ قلبه، لكن توارى عنه بغلبة غيره فوجود الشيء غير العلم به فالخوف الأول ثمرة العلم بالوعد والوعيد، وهذا الخوف ثمرة العلم بقدرة الله وعزته وجلاله، وأنه الفعال لما يريد وأنه المحرك للقلب المصرف له المقلب له كيف يشاء لا إله إلا هو»(١).

فائدة: أيهما أفضل: مقام الخوف أم مقام المحبة؟

مقام المحبة أعلى وأفضل من مقام الخوف، فإن عبادة الخائفين عبادة الفارِّين من مخوف المضطرين إلى الأمان، وأما عبادة المحبين فهي عبادة المقبلين المشتاقين المتلذذين المستأنسين بصحبة المُحِبِّ؛ قال ابن القيم: «والخوف ليس مقصودًا لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخُوْف؛ فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والخوف يتعلق بالأفعال، والمحبة تتعلق بالذات والصفات، ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم، ولا يلحقهم فيها خوف ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه»(٢)

(١) السابق [ص ٤٢٥]

(٢) مدارج السالكين [١ / ٥١٤].

الخوف الشركي

ولما كان الخوف من أعظم مقامات الدين وأجلِّها، صار صرفه لغير الله من أعظم أوجه الشرك والكفر القلبي، **والشرك في الخوف: هو أن يخاف غير الله من وثن أو صنم أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس، أن يضره أو يصيبه بما يكره.**

وهذا النوع يسميه العلماء خوف السِّر

فيخاف العبد من غير الله أن يصيبه بما يشاء، من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك، بقدرته ومشيئته، سواء ادَّعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًا يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

ويدخل في هذا خوف المشركين من الأوثان والأصنام أو الطواغيت أو الجن أو الأموات، أو كل غائب من جن أو إنس أن يصيبه بما يكره؛ كما قال الله عن قوم هود ﷺ أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٤-٥٥].

وقد خوف المشركون رسول الله محمدًا ﷺ من أوثانهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦].

وهذا الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم أنها قادرة على إنزال الضرِّ والبأساء بمن لا يعبدها، وهذا دأب عبَّاد المخلوقين في كل زمان ومكان، ولهذا يخوِّفُون به أولياء الرحمن، وهذا القسم هو الواقع اليوم من

عُبَّاد القبور أيضًا، فإنهم يخافون الصالحين ـ أصحاب القبور والأضرحة كالحسين وعبد القادر الجيلاني وغيرهم ـ بل يخافون الطواغيت كما يخافون الله بل أشدّ، ولهذا إذا تَوجّهتْ على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة (الضريح أو القبر) لم يُقدِم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أنّ هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى.

وهذا الخوف لابد أن يصحبه التعظيم للمخُوْف منه؛ فإن الخوف إذا اقترن بالتعظيم مع المحبة والذل كان الخوف الشركي المحرم المخرج من الملة، والذي هو من نواقض الإيمان ومحبطات الأعمال؛ وذلك لتعلق قلب العبد بغير خالقه، ونسبة النفع والضر لغيره؛ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان:٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

فقد أخبرنا الله تعالى أنهم عبدوهم بالخوف والرجاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالشرك إن كان شركا يكفر به صاحبه. وهو نوعان: - شرك في الإلهية وشرك في الربوبية. فأما الشرك في الإلهية فهو: أن يجعل لله ندا - أي: مِثْلًا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.....

وإنما كان شركهم كما ذكرنا أن اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وهذا المعنى يدل على أن من أحب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فقد أشرك، وهذا كقوله: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٨] **وكذا من خاف أحدا كما يخاف الله** أو رجاه كما يرجو الله وما أشبه ذلك»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فما حُفظتْ حدودُ الله ومحارمُه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته** فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فسادًا لا يُرجَى صلاحُه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن سوَّى بين الخالق والمخلوق في الحب له أو الخوف منه والرجاء له فهو مشرك»(٣).

هل الخوف من الجن شرك أكبر؟

هذا يختلف باختلاف الأشخاص والمواقف:

أ. فيكون خوف جبلة وطبيعة: لا إثم فيه ولا حرج

فمن خاف من الجن كمن يخاف من الأسد والثعبان والعقرب وغيرها مما يتوقع منها الضر والأذى، أو يخاف خيانتها ومكرها وغدرها.

---

(١) مجموع الفتاوى [١ / ٩٢]

(٢) مجموع الفتاوى [١٥ / ٢١].

(٣) مجموع الفتاوى [٢٧ / ٣٣٤]

أو يخاف من دخول الأماكن المهجورة؛ لأن الجن تسكن الأماكن المهجورة، ونحو ذلك = فإن هذا كله لا يؤاخذ به؛ لأنه خوف جبلي لا يتعلق به تعظيم أو محبة أو عمل قلبي.

ب. وقد يكون الخوف من الجن شركًا:

إن كان الخائف منهم يعتقد استقلال الجن بالنفع والضُّر، مع وجود التذلل والتعظيم، فيخافهم رغبة ورهبة، طمعًا فيما عندهم، وخوفًا من سطوتهم وبطشهم؛ فهذا شرك أكبر مخرج من الملة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

وهذا النوع يدخل في خوف السر؛ لأنه اعتقادٌ للنفع والضر في غير الله

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]: «أَيْ: كُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فَضْلًا عَلَى الْإِنْسِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُوذُونَ بِنَا، أَيْ: إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا أَوْ مَكَانًا مُوحِشًا مِنَ الْبَرَارِي وَغَيْرِهَا كَمَا كَانَ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا، يَعُوذُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْجَانِّ، أَنْ يُصِيبَهُمْ بِشَيْءٍ يَسُوؤُهُمْ، كَمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ بِلَادَ أَعْدَائِهِ فِي جِوَارِ رَجُلٍ كَبِيرٍ وَذِمَامِهِ وَخَفَارَتِهِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِنُّ أَنَّ الْإِنْسَ يَعُوذُونَ بِهِمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْهُمْ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا أَيْ: خَوْفًا وَإِرْهَابًا وَذُعْرًا، حَتَّى تَبْقَوْا أَشَدَّ مِنْهُمْ مَخَافَةً وَأَكْثَرَ تَعَوُّذًا بِهِمْ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: فَزَادُوهُمْ رَهَقًا أَيْ: إِثْمًا، وَازْدَادَتِ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاءَةً»(١)

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٩)

وما يفعله بعض جهلة العوام والطغام

من تقديم أنواع الذبائح والنذور للجن بإيعاذ من السحرة والمشعوذين؛ فيأمرهم الساحر بأن يذبحوا طائرًا كالغراب ونحوه عند قبر ما أو في وقت ما كأذان الجمعة أو وقت غروب الشمس أو عند شروقها، ومثل ذلك من يخاف سكنى بيت جديد أو استعمال سيارة جديدة ونحوها خوفًا من الجن أن تؤذيه حتى يذبح شيئًا من بهيمة الأنعام ويأخذ دماءها ويلطخ بها جدران البيت أو سيارته وغير ذلك = فهذا كله داخل في خوف السر الذي هو من الشرك الأكبر(١).

هذا؛ ويمكنك التخلص من الخوف من الجن بالمواظبة على:

الاستعانة بالله وحسن التعلق به والتوكل عليه، والاستعاذة به سبحانه من شر الشيطان الرجيم وأعوانه من الجن.

وكذلك المواظبة على الصلاة في أوقاتها، وكثرة النوافل والمحافظة عليها؛ فإنها من أعون الأشياء على حفظ العبد من شر الجن.

ومن ذلك: المحافظة على أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم وباقي الأذكار المعروفة.

ومنه: قراءة القرآن الكريم بتدبر، لا سيما سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، والبطلةُ: السحرةُ، وآية الكرسي فإن في

(١) عموم الناس يفعلون هذه الأشياء من باب العادة والتقاليد والأعراف، ولا يعرفون سبب ذلك، فإذا عُرِّف وأُطلِع على السبب تبرأ منه والحمد لله، لكن تم التنبيه هنا حتى يُعلم أن هذا من عمل الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطاله وإزالته.

قراءتها وقاية للعبد وحفظ من الشيطان حتى يصبح.

وفي الجملة فإن المحافظة على فعل الطاعات وترك المحرمات أكبر أسباب بعد الشياطين عن الإنسان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٥].

فمهما كان العبد مطيعًا لربه ملازمًا لمحراب العبودية والذكر لم يتسلط عليه الشيطان ولا عصاةُ الجن؛ وعلى قدر بعده عن ذلك وغفلته عن ذكر الله تعالى يتسلط عليه الشيطان وأعوانُه من شياطين الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]؛ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠].

أنواع الخوف وبيان ما هو شرك وما هو عبادة وقربى:

اعلم أن الخوف على أربعة أقسام(١):

النوع الأول: الخوف من الله تعالى

وهو خوف العبادة، وهو أعلاها منزله، وقد ذكرت أدلته وطرفًا من فضائله آنفًا

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد [ص ٥٥] للفوزان.، والتوضيح الرشيد في شرح التوحيد [ص ٢٨٩] لأبي عبد الله خلدون بن محمود ابن نغوي الحقوي

❐ **النوع الثاني: خوف السِّر**

وقد مرَّ معنا ذكره آنفًا أيضًا.

❐ **النوع الثالث: ترك الواجب أو فعل المحرم مخافة الناس**

مثاله: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا النوع محرم، وهو داخل في الشرك الأصغر، فترك الواجب أو فعل المحرم خشية الناس من هذا النوع، بل ينبغي على العبد ألا يصده شيء عن طاعة الله تعالى، وسيأتي بيانه في الشرك الأصغر.

❐ **النوع الرابع: الخوف الطبيعي**

كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم، ولا شيء ولا حرج منه، فإن هذا من لوازم الطبيعة البشرية أن يخاف العبد مما يضره ويؤذيه، أو مما يتوقع من الأذى والضر، وهذا من طبيعة الفطرة البشرية حتى يأتي الإنسان ما يحب ويجتنب ويحذر مما يضره ويؤذيه»[(١)]، والله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩].

ومن هذا النوع ما حكاه تعالى عن كليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]، ﴿قَالَ

(١) وهذا ليس خاصًا ببني البشر وجنس الجن فقط، بل هذا أيضًا في الحيوانات العجماوات فإنها تجتنب وتبتعد عما يضرها ويؤذيها.

بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٦-٦٨]، وقوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠]، وحكاه الله عن خليله إبراهيم ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٦٩-٧٠].

النوع السادس عشر:

الشرك في الرجاء

الرجاء: تمني حصول المأمول

الرجاء: هو الطمع في وعد الله ببذل أسباب تحقيقه.

والرجاء: عبادة عظيمة من أجل العبادات القلبية ومن أعلاها رتبة.

والقلب في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى عَدِم الجناحين فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف:١١٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨].

تعلق المؤمن بربه في كل أوقاته:

عن ابن أبي الحواري قال: «كنت أسمع وكيعًا يبتدئ قبل أن يحدِّث، فيقول: **ما هنالك إلا عفوه، ولا نعيش إلا في ستره، ولو كُشف الغطاء لكُشف عن أمر عظيم**»(١)

وقال شعيب بن حرب لرجل: «إن دخلتَ القبر ومعك الإسلام فأبشر»(٢)

حياة المؤمن بين الخوف والرجاء

ينبغي على المؤمن أن يعيش بين الخوف والرجاء، فيكون طبيبَ نفسه؛ فإن رأى في نفسه خمولًا وكسلًا وغفلة وتفريطًا حاسبها وخطمها وساقها إلى الله تعالى، مُلهِبًا ظهرها بسياط الخوف، وأما عند غلبات الخوف الشديد وخوف قنوطها فيعلوها بالرجاء وحسن ظنه بربه؛ خاصة عند نزول الفواجع وغشيان مدلهمَّات الأمور ومعتركات الأقدار، فيجمع قلبه على ربه رجاءً ورغبةً فيما عنده من الفرج والتيسير والنصرة والتأييد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وعن يحيى بن أبي كثير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **قال**: «لو نادى منادٍ

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (١٠/ ١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٢) لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلًا واحدًا، لخفت أن أكون هو، ولو نادى مناد: أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلًا واحدًا لرجوت أن أكون هو»(١)

وعن سفيان قال: قال مُطرِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوُجِدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه»(٢).

وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: «مسكينٌ ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقَه في الظاهر لسعد في الدارين جميعًا»

وكان من دعائه: اللهم إن كان ذنبي قد أخافني، فإن حسن ظني بك قد أجارني، اللهم سترت علي في الدنيا ذنوبًا إلى سترها في القيامة أحوجُ، وقد أحسنت بي إذا لم تظهرها لعصابة من المسلمين، فلا تفضحني في ذلك اليوم على رؤوس العالمين، يا أرحم الراحمين»(٣)

وعن عبد الله الشامي قال: «أتيت طاووسًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فخرج إليَّ ابنه شيخٌ كبيرٌ فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه، قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خَرِف؟ فقال: إن العالم لا يخرف، فدخلت عليه فقال لي طاووس: سل

---

(١) الحلية [١/ ٧٣]

(٢) الحلية [١/ ٣٦٣].

(٣) وفيات الأعيان [٦ / ١٦٧] لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان – المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت

وأوجز، قلت: إن أوجزت أوجزت لك، قال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم! قال: **خف الله تعالى مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وأَرجِهِ رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك**»(١)

وقال السري السَّقَطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للعبد أن يكون أخوف ما يكون من الله، آمنُ ما يكون من ربه»(٢)

الرجاء بضاعة الصالحين عند هجوم الموت والسكرات

ـ **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخوفُ أفضل من الرَّجاء ما دام الرجلُ صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرَّجاء أفضل»(٣)

ـ **لما حضرتْ عمرو بن العاص الوفاة قال**: «اللهم أمرتنا فتركْنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هُجَيِّراه حتى مات»(٤).

ـ **ولما احتضر معاوية** رضي الله عنه **قيل له**: ألا توصي؟، فقال: اللهم أقل العثرة، واعفُ عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك»(٥

ـ **وعن عطاء بن السائب قال**: «دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي

---

(١) الحلية [٢/ ٣٠].

(٢) الحلية [٣/ ٢٨٧].

(٣) السير [٢/ ٧٧٧].

(٤) أخرجه أحمد، رقم: (١٧٧٨١)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠).

نعوده، فذهب بعضهم يُرجِّيهِ، فقال: أنا أرجو ربي، وقد صمت له ثمانين رمضانًا»(١).

ـ **يقول المزني**: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: «يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ∴ جعلتُ رجائي دون عفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنتُه ∴ بعفوك ربي كان عفوُك أعظما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم ∴ تزل تجود وتعفو منّةً وتكرما
فإن تنتقم مني فلستُ بآيسٍ ولو ∴ دخلتْ نفسي بجرمي جهنما(٢)

حسن الظن بالله يحمل العبد على حسن الرجاء

إذا حسن ظن العبد بربه حسُن رجاؤه فيه، **قال حماد بن سلمة**: «والله لو خُيرت بين محاسبة الله لي، وبين محاسبة أبوي؛ لاخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي»

الشرك في الرجاء:

كما يحصل الشرك في الخوف، كذلك يحصل في الرجاء؛ بل حصوله في

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٤/ ١٩٢)، وتاريخ بغداد: (١١/ ٨٨ رقم٥٠٠١).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: (٥١/ ٤٣١).

الرجاء أقوى؛ وذلك لأن فطرة الناس مجبولة على حب الخير، والاستكثار منه وسؤاله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨].

وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١].

وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١].

وهذه الغريزة النفسية والجبلة الفطرية تدفع الجهلاء والسفهاء إلى تعجل الخير؛ فيطلبه ممن يظن بهم نفعه من دون الله.

تعريف الشرك في الرجاء:

الشرك في الرجاء: «**أن يرجو من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يرجو من مخلوق أن يرزقه ولدًا، أو يرجو منه أن يشفيه بإرادته وقدرته، فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة**»(١).

ومثال ذلك الذين يقصدون الأموات فيدعونهم من دون الله، ويذبحون لهم وينذرون رجاءَ أن تحصل لهم مطالبهم من نصر أو رزق أو شفاعة، قال

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٤) لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:٢١٨].

أنواع الرجاء

اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن الرجاء على أنواع:

النوع الأول: رجاء محمود، وهو رجاء العبادة

وقد مرَّ بيانه وكونه أصلا من أصول الإيمان. وله حالان:

الحال الأول: رجاءُ من عَمِلَ بطاعة الله ثوابَ الله.

الحال الثاني: رجاءُ من تاب من ذنبه مغفرةَ الله وعفوَه.

النوع الثاني: رجاء جائز مباح

وهذا جائز في حق العبد، فلا يؤاخذ به، **كمن رجا حيًّا حاضرًا فيما يقدر عليه** فهذا ليس بشيء؛ كأن ترجو من شخص أن يبني بيتك، أو يقرضك مالًا، أو يعينك على حاجتك مما في مقدوره واستطاعته، فهذا ليس شركًا؛ لأنه رجاء عادي أسبابه ظاهرة، مثاله قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

❐ **النوع الثالث: الرجاء المذموم**(١)

وهو الغرور والتمني والرجاء الكاذب؛ وله حالان أيضًا:

الحال الأول: رجاء من فرط في العمل بالطاعة تمامَ الأجر وتمامَ الأمن يوم القيامة، وهو لا يخاف المؤاخذة على التقصير.

الحال الثاني: رجاء المتمادي في الذنوب والمعاصي رحمةَ الله دون توبة ولا أوبة.

ومن الرجاء المذموم رجاء المرجئة وهم مِنْ أَهْل البدع، الَّذِيْنَ يُخرجون العَمَل مِنْ مسمى الإيْمَان، بل تمادى الْجَهْمِيَّة فِي كفرهم حَتَّى أخرجوا أعمال القلوب مِنْ مُسَمى الإيْمَان وحقيقته.

ومن الرجاء ما هو شرك أكبر ومنه ما هو شرك أصغر.

فالرجاء الشركي (رجاء السِّرِّ) الأكبر نوعان:

النوع الأول: أن يرجو من غير الله شيئًا من خصائص الله، كمغفرة الذنوب والهداية التوفيق ونحوذ لك.

النوع الثاني: أن يرجو من غير الله شيئًا يقدر عليه العبد، ولكنه يعتقد في المرجو أن بيده النفع والضر من دون الله.

كمن يرجو من غيره أن يداوي مريضه وهو يعتقد أن الطبيب بيده الشفاء، أو يطلب الرقية معتقدًا النفع والضر في الراقي، أو يطلب من الحي الحاضر الدعاء معظمًا له معتقدًا في ذاته النفع والضر كما يفعل غلاة الصوفية والشيعة

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢١).

مع شيوخهم وعمائهم.

الرجاء الشركي المخرج من الملة:

هو الذي يكون معه محبة للمرجو وذل وخضوع، **وكل محبٍ فهو خائفٌ راجٍ بالضرورة**، فيرجو حصول المطلوب ويخاف من فواته، فهو راجٍ خائفٌ بالضرورة، فهو أرجى ما يكون في أحب ما يكون إليه، فهذا رجاء العبادة، وهو الرجاء الذي يكون فيما وراء الأسباب، فهو ليس ظاهرًا، بل يرجوه بسِرِّه لا بسبب ظاهر، فيرجوه أن ينصره على عدوه، ويغفر ذنوبه، ويوفقه، فهذا هو رجاء السِّرِّ، وهو رجاء العبادة».

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان:٥٥].

ومنه حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**

[الأعراف:١٣٨]»(١)

وجه الدلالة: أن هؤلاء المشركون كانوا يرجون من هذه الشجرة النصرة والظفر والغلبة على عدوهم، هذا عمل الباطن، وأما عمل الظاهر فهو تعليق الأسلحة على فروعها وأغصانها؛ فكذلك من يتبرك بالمشاهد والقبور وغيرها!

أما الرجاء الشركي شركًا أصغر

فلا يخرج العبد من دائرة الإيمان، وهو أنواع سيأتي تفصيلها في أنواع الشرك الاعتقادي الأصغر

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٦ / ٢٢٥ رقم ٢١٨٩٧]، والترمذي [٤ / ٤٧٥ رقم ٢١٨٠] ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وابن أبي شيبة [٧ / ٤٧٩ رقم ٣٧٣٧٥]

النوع السابع عشر:

كفر الجهمية

وهذا النوع من الكفر داخل بأصله في النوع السابق (كفر الرجاء)، لكنه لما عَظُم خطبُه، وطفح كيلُه، وعمَّ سوادُه، واستفحل خطره، وصار له أئمةٌ وسدنةٌ وخدامٌ ينافحون عنه ويدافعون، ويبذلون الغالي والرخيص في الدعوة إليه وينشرونه = كان لابد من التنبيه عليه وإفراده بنوع وحده؛ ليحذره أولوا الألباب والفِطَن، ويخافه أولوا العرفان والمنَن، وتستبين لهم سبيل أولي الخسران والعَطَن!

والمرجئة: هم الذين يُرجئون الأعمال عن النية والاعتقاد أي يؤخرونها؛ فلذلك سموا المرجئة من الإرجاء وهو التأخير، أو لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق والقول.

وعند الجهمية: الإيمان مجرد التصديق.

والجهمية منسوبة إلى الجهم بن صفوان، والجهم بن صفوان هذا نشأ بسمرقند بخراسان وكان تلميذ الجعد بن درهم، وتلقى عنه منهجه في تأويل الصفات وتحريفها وتعطيلها.

ويروى أن خالد بن عبدالله القَسْري خطب الناس بواسط فقال: «يا أيها الناس، ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا، ثم نزل فذبحه».

أنواع وأقسام المرجئة[1]:

المرجئة ثلاثة أصناف:

الأول: الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب.

ثم من هؤلاء من يُدخِل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه وذكر فِرقًا كثيرة يطول ذكرهم، ومنهم من لا يدخلها كالجهم بن صفوان ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يُعرفُ لأحد قبل الكرَّامية.

الثالث: الذين يقولون الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص ١٨٤).

أوجه غلط المرجئة[١]:

قال شيخ الإسلام:

«وهؤلاء غلطوا من وجوه:

أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي فَرَضَهُ الله على العباد متماثل في حق العباد وعليهم، وأن ما وجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك، بل ذلك يتفاوت ويتفاضل أشدَّ تفاوتٍ وتفاضلٍ؛ فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئًا واحدًا في حق جميع الناس.

الثاني: من غلط المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب.

الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تامًّا بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له.

والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع أن يقوم كالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر»[٢].

إجماع السلف على كفر الجهمية:

قال الإمام ابن القِّيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النّونيّة:

ولقد تقلَّدَ كفرَهم خمسونَ في ∴ عشرٍ من العلماءِ في البُلدانِ

---

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص ١٨٤، ١٩٢)

(٢) مجموع الفتاوى [٧ / ٢٠٤]

يعني: كفّرَ الجهميّة خمسُمائة عالمٍ من هذه الأُمة.

قال الألوسي: «وقد كان سلف الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبدالله بن المبارك والبخاري وغيرهما»(١)

يقول موسى بن أعيُن: «الجهمية كفار زنادقة، قال أحمد قال يزيد قال أبو خيثمة: ومن شك في كفر الجهمية فهو كافر»(٢)

قال يزيد بن هارون: «لعن الله جهمًا ومن يقول بقوله، كان كافرًا جاحدًا ترك الصلاة أربعين يوما، يزعم أنه يرتاد دينًا، وذلك أنه شك في الإسلام»(٣)

قال الشيخ خليل هراس: «أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرِّطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُمُّوا بذلك نسبة إلى الإرجاء؛ أي التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان.

ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنى كفر يخرج صاحبه عن الملة؛ فإنه لابد في الإيمان من قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإذا اختل

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين [ص ١١٦] لأبي البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ) - الناشر: مطبعة المدني عام النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

(٢) شرح مذاهب أهل السنة [ص ٣١] لأبي حفص عمر بن شاهين الناشر مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

(٣) شرح مذاهب أهل السنة [ص ٣٢]

واحد منها لم يكن الرجل مؤمنا»(١)

وقال السفاريني: «ثم قال - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية -: ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من قولهم - يعني الكرَّامية - من وجوه متعددة شرعًا ولغة وعقلًا، وإذا قيل: قول الكرَّامية قول خارج عن إجماع المسلمين قيل له: بل السلف كفَّروا من يقول بقول جهم في الإيمان. إلى أن قال: وأما الإيمان بقلبه، مع المعاداة المخالفة الظاهرة، فهذا لم يسمَّ قط مؤمنًا، وعند الجهمية: إذا كان العلم في قلبه، فهو مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان الصديقين، ولا يتصور عندهم أن ينتفى عنه الإيمان، إلا إذا زال ذلك العلم من قلبه»(٢)

وقال أيضًا: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قالت الجهمية لَلْإيمانُ شيءٌ واحد في القلب.

إلى أن قال: وقال وكيع المرجئة الذين يقولون: الإقرار يجزي عن العمل، ومن قال هذا فقد هلك، ومن قال: النية تجزي عن العمل. فهو كفر، وهو قول جهم، وكذا قال الإمام أحمد عنه: إنه كفر. إلى أن قال: وحاصل قول الغلاة المرجئة إنه كما لا ينفع مع الكفر طاعة، لا يضر مع الإيمان معصية، وهذا شر قول قيل في الإسلام، والله الموفق»(٣) اهـ.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية [ص ١٨٨] للشيخ محمد خليل هراس - الطبعة: الأولى الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - تاريخ النشر: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

(٢) لوامع الأنوار البهيّة نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٢٢ - ٤٢٣).

(٣) السابق (ص ٤٢٤)

قال الأوزاعي: «كان يحيى وقتادة يقولان: ليس من الأهواء أخوفَ عندهما من الإرجاء

وقال يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك، وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين، قالا: أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة.

فقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب: بأن أولئك ليسوا من أمة محمد، وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

قال إبراهيم: تركت المرجئة الدين أرقَّ من ثوبِ سابريٍّ»(١)

وهذا «سعيد بن جبير، وذكر المرجئة؛ فقال: اليهود»(٢)

فعن عطاء بن السائب قال: ذَكَرَ سعيد بن جبير المرجئة، فضرب لهم مثلًا، قال: مثلهم مثل الصابئين، إنهم أتوا اليهود فقالوا: ما دينكم؟

قالوا: اليهودية. قالوا: فما كتابكم؟ قالوا: التوراة.

قالوا: فما نبيكم؟ قالوا: موسى. قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنة.

ثم أتوا النصارى فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: النصرانية. قالوا: فما كتابكم؟ قالوا: الإنجيل. قالوا: فمن نبيكم؟ قالوا: عيسى.

---

(١) رواه عبد الله في «السنة» (١/ ٣١٣ رقم ٦١٨)، ورواه الخلال في «السنة» (٢/ ٩٠ رقم١٣٦١) - وانظر: الشريعة للآجري (ص ١٤٤)

(٢) رواه الخلال في «السنة» (٢/ ٨٩ رقم١٣٥٣)

ثم قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنة. قالوا: فنحن به ندين والبراءة بدعة والشهادة بدعة»(١)

قال عقل بن عبيد الله العبسي: قدم علينا سالم الأفطس بالإرجاء فعرضه، قال: فنفر منه أصحابُنا نِفارًا شديدًا، وكان أشدَّهم ميمونُ بن مهران وعبدُ الكريم بنُ مالك، فأما عبد الكريم فإنه عاهد الله عَزَّوَجَلَّ ألا يأويه وإياه سقفُ بيت إلا المسجد(٢)..

وقال الزهري: «ما ابتدع في الإسلام بدعة أضر على أصله من الإرجاء»(٣).

وقال شريكٌ القاضي: «المرجئة أخبث قوم حسبك بالرافضة خبثًا، ولكن المرجئة يكذبون على الله»(٤)

وروي عن محمد بن علي رضي الله عنه **أنه قال**: «المرجئة بدَّلوا سنة الله، ظاهرها وباطنها، وهم يهود هذه الأمة، وهم أشد لنا عداوة من اليهود والنصارى».

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (٢/ ٩٠ رقم١٣٥٨)

(٢) الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة [٣ / ٢٦٥] دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

(٣) رواه الآجري في الشريعة (ص ١٤٣).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في السنة عن أبيه (٦١٤).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة، من غير علم بمعناها، ولا عمل بمقتضاها، لا يكون به المكلَّف مسلمًا، بل هو حجة على ابن آدم. خلافًا لمن زعم أن الإيمان مجرد الإقرار كالكرَّامية، أو مجرد التصديق كالجهمية. وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم، مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

وبهذا تعلم أن مسمَّى الإيمان لا بد فيه من الصدق والعمل، ومن شهد أن لا إله إلاَّ الله، وعبد غيره معه فلا شهادة له، وإن صلَّى وزكَّى وصام، وأتى بشيء من أعمال الإسلام»(١).

إجماع السلف على كفر من قال بخلق القرآن

والجهمية هم أول من أظهر بدعة خلق القرآن، فابتلي فيها العلماءُ وقُتل منهم من قتل

وقد نقل الإجماع على كفر من قال بخلق القرآن

قال الليث بن سعد: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن لم يقل هو كافر فهو كافر»(٢)

---

(١) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد [ص ٣١٠] باختصار

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٥٥٢) ليحيى بن أبي الخير العمراني - الناشر أضواء السلف، مكان النشر الرياض، سنة النشر ١٩٩٩م

وقال الإمام أبو بكر بن عياش: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر»(١)

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ من قال: مخلوق؛ فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر»(٢)

قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن لم يكفره؛ فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر»(٣)

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نظَرْتُ فِي كَلَامِ الْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ فَمَا رَأَيْت قَوْمًا أَضَلُّ فِي كُفْرِهِمْ مِنْهُمْ، وَإِنِّي لأستجهل مَنْ لَا يُكَفِّرُهُمْ إلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ كُفْرَهُمْ»(٤)

قال أبو خيثمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من زعم أن القرآن كلام الله مخلوق؛ فهو كافر ومن شك في كفره؛ فهو كافر»(٥)

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن قَالَ: مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر»(٦)

---

(١) كتاب الورع (١/ ٨٨) للإمام أحمد بن حنبل الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣

(٢) السنة (ص ٢٥)

(٣) الإبانة (ص ٢٥٧)

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٩)

(٥) شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٢٨٢)

(٦) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٢، ١/ ١٧٣)

قال داود بن الحسين البيهقي: بلغني أن الحلواني قال: «لا أكفر من وقف في القرآن، قال داود: فسألت سلمة بن شبيب عن الحلواني، فقال: «يُرمى في الحُش، من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر»(١)

❁ ❁ ❁

(١) شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٩٨)

النوع الثامن عشر:

إنكار القدر والتكذيب به

اعلم ـ علمك الله الخير:

أن من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر، والإقرار الجازم بأن الله تعالى قدر الأشياء قبل وقوعها وفق علمه وقدرته ومشيئته

الأدلة من القرآن والسنة على إثبات القدر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١].

وقد تواترت أحاديث القدر في السنة فمنها:

حديث جبريل ﷺ: «**قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» قَالَ: صَدَقْتَ»(١).

وعن عَبْدِ اللهِ بن مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢)

وعن عُبَادَة بْن الصَّامِتِ أَنَّه قال لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ

---

(١) أخرجه مسلم [١ / ٣٦ رقم ٨] باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، وأحمد [١ / ٤٣٥]

(٢) أخرجه البخاري [٤ / ١١١ رقم ٣٢٠٨] بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ومسلم [٤ / ٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣] باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته

الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»(١)

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِن الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾** [الليل:٥] الْآيَةَ»(٢)

وعن عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْمِخْصَرَةِ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ قَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود [٤ / ٣٦٢ رقم ٤٧٠٢] باب فِي الْقَدَرِ.

(٢) أخرجه البخاري [٢ / ٩٦ رقم ١٣٦٢] بَابُ مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ، ومسلم [٤ / ٢٠٣٩ رقم ٢٦٤٧] باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِي اللهِ أَفَلاَ نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَى السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَى الشِّقْوَةِ قَالَ «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشِّقْوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلشِّقْوَةِ**».

ثُمَّ قَالَ نَبِي اللهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]»(١)

وعَن ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، **وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ**» قَالَ: فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ»(٢)

وَقَالَ طَاوُسٌ: أَدْرَكْت مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ:

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٦ / ١٧٠ رقم ٤٩٤٥] بَاب قَوْلُهُ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، ومسلم [٤ / ٢٠٣٩ رقم ٢٦٤٧] باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وأبو داود [٤ / ٣٥٨ رقم ٤٦٩٦]

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٥ / ٤٦٥ رقم ٢١٥٨٩]

كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللهِ، وَسَمِعْت عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَو الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ**».

والأحاديث كثيرة في إثبات القدر، وإثبات كفر من أنكره وكذب به، أو أنكر علم الله السابق، أو كذب بشعبة من شعب القدر، وهذا موضع اتفاق الأمة جميعًا.

مراتب الإيمان بالقدر(١)

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

❐ المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا

فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

وفي الصحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «**اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٢)

---

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة [ص ٣٣٦] لنخبة من العلماء - الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٢ / ١٠٠ رقم ١٣٨٣] بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، ومسلم [٤ / ٢٠٤٨ رقم ٢٦٥٨] باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين

❐ **المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة.**

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢].

❐ **المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

وأخرج الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ**»(١)

❐ **المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك**

فهو سبحانه خالقُ كلَّ عامل وعملَه وكلَّ متحرك وحركتَه وكلَّ ساكن وسكونَه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حُصَيْنٍ عن النبي ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٨ / ٧٤ رقم ٦٣٣٩] بَاب لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ، ومسلم [٤ / ٢٠٦٣ رقم ٢٦٧٩] باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٢) أخرجه البخاري [٤ / ١٠٦] كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ، وأحمد (٣٣/ ١٠٧ رقم ١٩٨٧٦)

الكفر بتكذيب القدر وإنكاره:

التكذيب بالقدر كفر أكبر مخرج من الملة، وقد وقع في هذا الناقض عدة فرق منها:

«**القدرية**: هم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر والضر والنفع والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، وأن العباد يعملون بدءًا من أنفسهم من غير أن يكون سبق لهم ذلك في علم الله، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية وهو أصل الزندقة.

والمعتزلة: وهم يقولون قول القدرية ويدينون بدينهم، ويكذبون بعذاب القبر، والشفاعة، والحوض، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة، ولا الجمعة إلا من كان على مثل رأيهم وأهوائهم، ويزعمون أن أعمال العباد ليست في اللوح المحفوظ»(١). .

وقال الفخر الرازي: «والحق أن القدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات بالكواكب، لما رُوِيَ أن قريشا تخاصموا في القدر»(٢).

القدرية الغلاة الأولى فريقان:

اعلم أن القدرية الغلاة الأولى فريقان:

الفريق الأول: أقروا بالأمر والنهي والثواب والعقاب، وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب، وهؤلاء هم الذين نبغوا في عصر الصحابة، ورد

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة [٣ / ١٩]

(٢) الزواجر [١ / ٢٥٨]

عليهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وغيرهما، وقد نص الأئمة على كفر هؤلاء؛ لإنكارهم علم الله تعالى.

الفريق الثاني: من يقر بتقدم علم الله وكتابه لكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل سبيلًا؛ لأن مضمون قولهم تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد. أما جمهور القدرية - وهم القدرية الثانية (المعتزلة) - فهؤلاء مبتدعة ضلال»(١)

تاريخ القول ببدعة القدر(٢)

أول من تكلم في القدر معبد بن عبد الله بن عويمر الجُهَني، وكان أولًا يجلس إلى الحسن البصري، ثم سلك أهل البصرة مسلك معبد لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله كما قال السمعاني، وبعض الأشعرية وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه في كتابه شرح الإيمان: «أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سيسويه ـ بمهملتين بينهما تحتية ـ من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني».

وذكر العلامة الطوفي في شرح تائية شيخ الإسلام أن اسمه «سوسن» بواو بين المهملتين فنون، ثم معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد ويقال: أول ما

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٨ - ٢٨٩).

(٢) انظر: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية [٢ / ١٢٠] لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله! فقال الآخر: لم يقدر الله هذا!.

قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: «لم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر ردَّه عليهم من بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم، وكان أكثره بالبصرة والشام وقليل منه بالحجاز فأَكْثَرَ السلفُ الكلامَ في هؤلاء القدرية».

ذم السلف للقدرية

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بُرَآءُ - قَالَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ»(١)

قال أبو سليمان الخطابي: «إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية»

يشير إلى حديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم [١ / ٣٦ رقم ١] باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه،

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود [٤ / ٣٥٧ رقم ٤٦٩٣] باب فِي الْقَدَرِ، وابن ماجه [١ / ٣٥ رقم ٩٢] باب في القدر، والحاكم في المستدرك [١ / ٨٥ رقم ٢٨٦]

قال ابن الأثير في جامع الأصول: «القدرية في إجماع أهل السنة والجماعة هم الذين يقولون: إن الخير من الله والشر من الإنسان، وإن الله لا يريد أفعال العصاة، وسُمُّوا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضاه»(١)

الجبرية (الجهمية):

قابلت طائفة القدرية الطائفة المسماة بالجبرية، وهم الذين يزعمون أنه لا فعل للعبد أصلًا، وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار فأثبتوا أن الله تعالى خالق كل شيء ومليكه وربه وهذا جيد حسن، لكن أساءوا بنفي تأثير الأسباب والحكم في الجماد والحيوان وبإنكارهم أن يكون للحيوان من الإنسان أو غيره فعل يفعله بقدرته واختياره وحقيقة قول هؤلاء ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا سبب أصلًا.

قال شيخ الإسلام قدَّس الله روحه: «قابل القدرية قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وآمنوا بأن الله خالق كل شيء ربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهذا حسن لكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد وأفرطوا (حتى غلا بهم الأمر) إلى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]»(٢).

---

(١) لوائح الأنوار السنية [٢ / ١٣٠]

(٢) لوائح الأنوار السنية [٢ / ١٣٢]

سبب التسمية:

سُمِّي الجَبريَّة بذلك لأنهم يقولون: «إن العبد مُجبَر على أفعاله، ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر»(١)

معنى الجبر:

الجبر: هو إجبار الناس وإرغامهم على فعل شيءٍ من غير إرادةٍ أو مشيئة لهم، ويرى الجَبريَّة أن الناس لا اختيار لهم في أفعالهم، ولا قدرة لهم على أن يغيِّروا مما هم فيه شيئًا، وإنما الأفعال لله سبحانه؛ فهو الذي يفعل بهم ما يفعلونه، وجعلوا هذا مطلقًا في جميع أفعالهم، فإذا آمن العبد أو كفر فإن الإيمان أو الكفر الذي وقع منه، والطاعة أو المعصية، ليست فِعلَه إلا على سبيل المجاز، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه؛ لأن العبد لا يستطيع أن يغير شيئًا من ذلك»(٢)

الرد على الجبرية

ومن الأجوبة الحسنة في الرد على الجبرية ما ذكره العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال:

«نحن نفعل الطاعات باختيارنا، ولا نشعر بأن أحدًا يجبرنا عليها، ونفعل

---

(١) الملل والنحل (جـ ١ صـ ٨٧). لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٤ م

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨). المؤلف: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.

المعاصي كذلك باختيارنا، ولا نشعر أن أحدًا يجبرنا عليها، والدليل على أن فعل الإنسان صادر عن إرادةٍ منه سمعيٌّ وواقعيٌّ:

أما الدليل السمعي: فالآيات في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:٢٧٢].

روى الشيخانِ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»

والأدلة أكثرُ مِن أن تحصر، بأن فعل العبد صادر باختياره، لكن هذا الاختيار تابع لمشيئة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

أما الدليل الواقعي: فإن كل إنسان يفعل الأفعال وهو لا يشعر أن أحدًا يجبره عليها، فيحضر إلى الدرس باختياره، ويغيب عن الدرس باختياره؛ ولهذا إذا وقع الفعل من غير اختيار لم يُنسَب إلى العبد، بل يرفع عنه إثمه.

روى أبو داود عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ، قال: «**رُفع القلم عن ثلاثةٍ: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقِل**»

لم يَنسُبِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تقلُّبَ أصحاب الكهف إلى أنفسهم، بل نسبه إليه، فقال: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨]، ولم يقل: يتقلبون؛ لأنه ليس منهم إرادة؛ فالنائم لا إرادة له؛ ولهذا لا يقع طلاقه لو طلق، فلو

فرضنا أن أحدًا كلم زوجته في النوم، وقال: يا فلانة، أنت طالق ثلاثًا بتاتًا، ثم أصبح فإن طلاقه لا يقع؛ لأن النائم لا يُنسبُ فعله إليه؛ لأنه وقع بغير إرادة.

ولو طلق السكران - وهو لا يعي ما يقول - فإن طلاقه لا يقع، ولو طلق الغضبان غضبًا شديدًا لا يملِك نفسه، فإن طلاقه لا يقع؛ لأنه بغير إرادة، فإذا كان الشيء بغير إرادة فلا حكم له شرعًا، فتبين بهذا أن وقوع الشيء بإرادة منا ثابت بالقرآن والواقع»[1]

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص: ٣٣٥) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

النوع التاسع عشر:

الشرك في التوكل

اعلم ـ علمك الله الخير ـ:

أن التوكل على الله في جميع الأمور وفي جميع الأحوال من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها للهِ وحده، فمن توكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كالتوكل على الموتى والغائبين ونحوهم في دفع المضار، وتحصيل المنافع والأرزاق فقد أشرك بالله الشرك الأكبر. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

تعريف التوكل:

لغةً: الاعتماد على الغير في أمر ما.

واصطلاحًا: «صدق اعتماد القلب على اللّه تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة»(١)

وقال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل هو الثقة بما عند اللّه، واليأس عما في

(١) جامع العلوم والحكم (٤٠٩).

أيدي الناس»(١)

فالتوكل على الله فريضة يجب إخلاصها لله، وهو أجمع أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد وأعظمها وأجلها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة؛ فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل ما سواه؛ صح إخلاصه ومعاملته مع الله.

والتوكل على الله من أعظم منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله سبحانه؛ قال الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩]، والآيات في الأمر به كثيرة جدًّا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾. [الطلاق:٣].

مسألة: التوكل على الله والأخذ بالأسباب

اعلم أن التوكل على الله له مع الأخذ بالأسباب عدة أمور لابد من معرفتها:

❐ الأمر الأول: أنّ التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»(٢)

---

(١) التعريفات (٧٤) لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني - الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي رقم (٥٣٧)، (٤/ ٦٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٥٤٩)

وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(١)، وهو ظاهر في أن التوكل يكون مع السعي، لا مع التكاسل والتواني

وقال ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا

قال الحافظ ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: «واعلم أن تحقيق التَّوَكُّلِ لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها، وجرت سُنَّتُه في خلقه بذلك؛ فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به»(٣)

❐ الأمر الثاني: تُتخذُ الأسباب وإن كانت ضعيفة في نفسها.

ولذلك أمر الله تعالى أيوب ﷺ أن يضرب الأرض برجله بعد أن دعا لمرضه، وهل ضربة الصحيح للأرض منبعة للماء؟ لا، ولكن الله يريد أن

---

(١) **صحيح**: رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠، ٥٢)، والترمذي رقم (٤/ ٥٧٣ رقم ٢٣٤٤).
(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٥ رقم١٤٧٠) بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، ومسلم (٢/ ٧٢١).
(٣) «جامع العلوم والحكم» ص (٤٠٩).

يعلمنا أنه لابد من اتخاذ السبب ولو كان ضعيفًا، فالأمر أمره، والكون كونه، ولكن لابد من فعل الأسباب.

قال تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص:٤٢].

ولما أراد الله أن يُطعم مريم عليها السلام وهي في حالة وهن وضعف أمرها أن تهز جذع النخلة؛ لأن السبب يُتخذُ ولو ضَعُفَ.

قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم:٢٥].

ألم تر أَنَّ اللهَ قال لمريَمَ ∴ وهُزِّي إليكِ الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبُ

وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجنِيهِ مِنْ غيرِ هَزِّهِ ∴ جَنَتْهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيءٍ لَه سَبَبُ

وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠].

وقوله: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال:١٧].

❐ الأمر الثالث: أن لا يعتمد عليها، وإنما يجعل اعتماده على الله تعالى.

ابذل السبب ولو كان يسيرًا، واعلم أنّ الله هو مسبب الأسباب، ولو شاء أن يحول بين السبب وأثره لفعل سبحانه، ولذا لما أُلقي إبراهيم في النار لم يحترق لأن الله قدر ذلك

قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وموسى عليه السلام لما ألقته أمه في البحر ما غرق، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧].

فلا يعتمد القلب إلا على الله، وتتخذ الأسباب، لأن الله يقدر الأمور بأسبابها.

يتأكد التوكل على الله في بعض المواطن:

المسلم عليه أن يعتمد على الله في أمره كله، ويتأكد في مواضع، ذكره بعضها الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، منها:

❐ عند النوم:

فعَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ**»(١)

❐ عند نزول الفاقة:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»(٢)

---

(١) أخرجه البخاري [١ / ٥٨ رقم ٢٤٧] بَاب فَضْلِ مَنْ بَاتَ عَلَى الْوُضُوءِ

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [٦ / ٤١٥]، والترمذي [٤ / ٥٦٣ رقم ٢٣٢٦]

❐ **عند الإعراض عن الأعداء:**

قال تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء:٨١].

❐ **إذا أعرض الناس عنك:**

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

❐ **عند مسالمة الأعداء:**

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال:٦١].

❐ **عند مواجهة الأعداء:**

قال تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠-١٢].

❐ **عند نزول المصائب وحلول الكرب:**

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

وفي الصحيحين عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ**

إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(١)

وفي سنن أبى داود قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢)

❐ عند الخروج من المنزل:

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**»(٣)

❐ إذا تسرب إلى النفس شيء من التطير:

ففي السنن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**». قال ابن مسعود: وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»(٤)

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٨ / ٧٥ رقم ٦٣٤٥] بَاب الدُّعَاءِ عِنْدَ الْكَرْبِ، ومسلم [٤ / ٢٠٩٢ رقم ٢٧٣٠] باب دعاء الكرب

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد [٣٤ / ٧٤ رقم ٢٠٤٣٠] وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٢)

(٣) **صحيح**: أخرجه أبى داود [٤ / ٤٨٦ رقم ٥٠٩٧]، باب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ. والترمذي (٣٤٢٦)

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد [٦ / ٢١٣ رقم ٣٦٨٧].

والمسلم الحق عليه أن يلجأ إلى الله تعالى في كل أحواله، فلا أشقى من عبد وكله الله إلى نفسه، قال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١].

الشرك في التوكل: أن يتوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله

فضابط التوكل الشركي إذن

أن يتوكل على المخلوق بالكلية ويلتفت إليه ويتعلق به مطلقا، وغالبًا ما يقارن توكله على المخلوق الذلُّ له والخشوع والخضوع واللجوء إليه، والاعتماد عليه، وفي المقابل يعرض عن الله فلا يتوكل عليه في شيء مطلقًا.

ومن ضوابطه أيضًا: أن يتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

التوكل على غير الله تعالى له ثلاثة أنواع:

النوع الأول: توكل الإنابة والاستعمال وهو مباح جائز

ومعناه: التوكل الذي هو إنابة الإنسان من يقوم بعمل عنه مما يقدر عليه كبيع وشراء؛ فهذا جائز، وهذا التوكل هو الوكالة، وهذا باب من أبواب الفقه، له أحكامه وصوره ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل إليه فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه؛ لأن توكيل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب، والأسباب لا يعتمد عليها، وإنما يعتمد على الله سبحانه الذي هو مسبب الأسباب وموجد السبب والمسبب.

❐ **النوع الثاني: التوكل الشركي الأصغر:**

وهو التعلق بالمخلوق في الأمور الظاهرة والأسباب العادية

كمن يتوكل على السلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى، أو يعتمد على الوظيفة أو الواسطة في تحصيل مراده، والاعتماد على الأسباب في كل شيء من دون الفتات لربه وتوكل عليه.

أو بعبارة أخرى: التوكل على الحي الحاضر في الأسباب الظاهرة، فهذا نوع من الشرك؛ لما فيه من ميل القلب واعتماده على غير الله، هذا إذا كانت الأسباب ظاهرة، فهو داخل في الشرك الأصغر لا الأكبر.

❐ **النوع الثالث: التوكل الشركي الأكبر (توكل السِّرِّ)**

وهو أن يتوكل على المخلوق بالكلية ولا يتوكل على الله مطلقا، أو يتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله

صور التوكل الشركي (توكل السِّرِّ):

من صور التوكل الشركي الأكبر:

١. التوكل على الأصنام والأوثان في جلب المنافع ودفع المضار

وقد تكون هذه الأوثان: أصنامًا منحوتة، أو صورًا محفورة في العقل، أو شجرًا، أو صخرًا، أو حيوانًا إلى غير ذلك

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان:٥٥].

٢. الذين يتوكلون على الأموات والأولياء من أصحاب الأضرحة والمقامات والمشاهد

فيعتمدون عليهم في حصول مطالبهم من نصر أو رزق أو حفظ أو شفاعة، فهؤلاء قد عبدوهم من دون الله باعتقادهم أن الأموات يملكون لهم نفعا أو ضرًا، وباعتقادهم أن الأموات يعلمون أحوالهم وما نزل بهم من ضر وشر، وباعتقادهم قدرة الأموات وأصحاب الأضرحة على تلك الأفعال التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وباعتقادهم حياة الأموات في قبورهم حياة حقيقية يمكنهم معها السمع والإبصار والاستجابة وهذا كفر بواح لأنه تكذيب واضح للقرآن والسنة، وباعتقادهم أيضًا أن أصحاب الأضرحة يعلمون الغيب، وباعتقادهم قدرة أصحاب الأضرحة على التصرف في الكون وإحداث المعجزات فيه، والله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣].

فأصحاب القبور لا يعلمون شيئًا، ولا يملكون شيئا، ولا يسمعون شيئًا،

ولا يستجيبون لأحد، ولا يقدرون على إغاثته، أو نصره أو مساعدته أو الشفاعة له.

٣. التوكل على الطواغيت

في تحصيل مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة، وهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه اعتماد على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٤. التوكل على الجن والشياطين

فالتوكل على الجنِّ في جلب المنافع ودفع المضار، واعتماد القلب عليهم في تحصيل المنافع الدنيوية من إخافة الناس، أو تغيير حالاتهم، أو التسبب في مرضهم، أو إفساد ممتلكاتهم، كل هذا من توكل السر، وهو توكل شركي، وهذا هو من أعظم أنواع الاستمتاع الذي ذكر الله في كتابه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن:٦].

٥. التوكل على السحرة والمشعوذين والدجالين

فإن كثيرا من هؤلاء يصنعون التمائم والأحجبة والتعويذات ثم يدفعون بها إلى مريديهم وزبائنهم من العامة، ويقذفون في مسامعهم وقلوبهم بوجوب حفظ وصيانة هذه التعويذات والأحجبة، وأنها طالما كانت معهم فلن يضرهم شيء ولن يحصل لهم شيء؛ فينصرف الجاهل بتلك الأحجبة وقد امتلأ قلبه توكلًا عليها مؤملًا فيها وبها من النفع وكشف الضر ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، متجاهلًا حق الله عليه فلا يلتفت إليه ولا يرجوه ولا يتوكل عليه.

٦ـ التوكل على التمائم والخرزات ونحوها

فإن كثيرا ممن خفَّ توكله، وامتلأ قلبه بالتعلق بغير الله سبحانه تجده يتوكل على تمائم أو خرزات ونحوها في دفع الضر وجلب النفع، فيعلق مثل هذه التمائم على ما يخاف عليه، ظانًّا أنها ستدفع عنه السوء بذاتها وأنها ستجلب له الخير، ونسي قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ**»(١)

والخلاصة:

أن العبد ينبغي أن يكون توكله على الله في كلِّ أمره، وفي جميع أحواله، فيما عَظُم من أموره وصَغُر «**إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٢٨ / ٦٢٣ رقم ١٧٤٠٤]

النوع العشرون:

الشرك في الطاعة

اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن الله بعث الرسل والأنبياء حتى يُطاعوا فيما بُعثوا به من الشرائع وإقامة التوحيد؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

الدين هو الطاعة:

ثم اعلم أيضًا أن الطاعة هي حقيقة الدين، وحقيقة العبودية ـ التي من أجلها خلق الجن والإنس ـ القيام بها وامتثالها، فمن لم يعتقد ذلك فلا دين له.

فطاعة الله ورسوله ﷺ من أوجب الواجبات، بل هي أصل الدين

ومن لم يطع فليس على شيء: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [المائدة:٦٨].

وجه الدلالة: «أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ أي: من الدين، ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها

ومما فيها الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته»(١)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢] فقد أوجب طاعته وطاعة رسوله فمن تولى عن ذلك بقلبه وجوارحه فهو كافر مبغوض مطرود من رحمته.

وبين سبحانه أن طاعة الله وطاعة رسوله من أعظم أسباب المغفرة والرحمة ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢] فمن لم يطع فليس له في رحمة الله من نصيب!

قال شيخ الإسلام: «**وَالدّين هُوَ الطَّاعَة وَالْعِبَادَة والخُلُق** فَهُوَ الطَّاعَة الدائمة اللَّازِمَة الَّتِي قد صَارَت عَادَةً وخلُقًا بِخِلَاف الطَّاعَة مرّة وَاحِدَة، وَلِهَذَا فسر الدَّين بِالْعَادَةِ والخُلُق»(٢)

وقال: «والدين هو الطاعة، فإذا كان بعضُ الدين لله وبعضُه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩] وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا الصلاة والصيام، لكن امتنعوا من ترك الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا»(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير [٣ / ١٥٥]

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية [٢ / ٢١٨]

(٣) الفتاوى الكبرى [٣ / ٥٥٧]

إجماع الأمة على محاربة وقتال تارك الطاعات الممتنع عن أدائها

«**وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة** إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالها إذا تكلموا بالشهادتين، وامتنعوا عن الصلاة، والزكاة، أو صيام شهر رمضان، أو حج البيت العتيق، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة، أو عن تحريم الفواحش، أو الخمر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق، أو الربا، أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب، ونحو ذلك من شرائع الإسلام، فإنهم يُقاتَلون عليها حتى يكون الدين كله لله»(١)

فرع: الله وحده هو الذي يملك التحليل والتحريم، فمن اعتقد غير ذلك فقد ارتكب ناقضًا من نواقض الإيمان:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]

فالشرك هنا: شرك الطاعة والاتباع؛ فإنهم أشركوهم مع الله تعالى في الاتباع والطاعة والانقياد، بأن تبعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحله وهم يعلمون ذلك علم يقين بلا تأويل ولا إكراه!

---

(١) السابق (٣/ ٥٥٧)

فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رضي الله عنه قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، قَالَ: قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ قَالَ: «**أَجَلْ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ**»(١)

فسمى اتباعهم لهم عبادة، وهي عبادة الطاعة والمتابعة، عبادة الأمر والنهي، وهي واجبة لله ورسله؛ فإذا صرفت لغيرهم صارت حراما وشركًا به سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦].

فالطاعة لله وحده لا شريك له سبحانه = اعتقاد هذا فرض وشرط الإيمان

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النعمان بن قَوْقَل: يا رسول الله أرأيتَ إذا صليتُ المكتوبة، وحَرَّمْتُ الحرامَ، وأحْلَلْتُ الحلالَ، ولم أزِدْ على ذلك شيئا، أدخلُ الجنةَ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**نعم**»(٢)

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي [٥ / ٢٧٨ رقم ٣٠٩٥]، والبيهقي في الكبرى [١٠ / ١٩٨ رقم ٢٠٣٥٠]

(٢) أخرجه مسلم [١ / ٤٤ رقم ١٥] باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة.

وفي رواية: «أن رُجُلا سأل النبيَّ ﷺ فقال: أرأيتَ إذا صليتُ المكتوبةَ وصمتُ رمضانَ، وأحْلَلْتُ الحلالَ، وحرَّمْتُ الحرامَ، ولم أزدْ على ذلك شيئا، أدخلُ الجنةَ؟ قال: «**نعم**»، قال: والله لا أزيدُ على ذلك شيئا».

وفي أخرى مثل الأولى، ولم يذكر «ولم أزد على ذلك شيئًا».

الشرك في الطاعة[1]:

والشرك في الطاعة:

بأن يعتقد العبد أن غير الله يستحق أن يُدان له بالطاعة ملتزمًا بذلك، مستسلمًا له منقادًا لحكمه وأمره ونهيه، سواء هذا في كل دينه وعبادته أو في بعضها، وكذلك من أطاع غير الله في تحليل ما حرم أو تحريم ما أحل فقد عبده من دون الله تعالى، وأشرك مع الله غيره

ومن ذلك طاعة العلماء والأمراء والرؤساء والحكام في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فمن أطاعهم في ذلك فقد اتخذهم شركاء للهِ في

---

(١) وهذا النوع من الشرك يدخل تحته عدة أنواع وهي:

أ ـ شرك التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين، وهو أشنعها، وهو من نواقض توحيد الربوبية.

ب ـ شرك الحكم. وهو ناقض لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات كلها.

ج ـ شرك الطاعة والانقياد والتحاكم وهو ناقض لتوحيد الألوهية.

د. شرك المتابعة والهدي والطريقة باتباع غير الرسول وهو ناقض لتوحيد الرسول الذي هو توحيد المتابعة.

انظر: شرك الحكم، لخالد بن علي المرضي (ص٧) بتصرف.

التشريع والتحليل، والتحريم وهذا من الشرك الأكبر

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

قال ابن تيمية: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحلّ الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله فيتّبعونهم على التبديل،

فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، **مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركًا**، وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم، **فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.**

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا،

لكنهم أطاعوهم في معصية الله، **كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب**، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوف**»(١)

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٣/ ١٢٢ رقم ٧١٤٥) باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم (٣/ ١٤٦٩ رقم ١٨٤٠) باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

وقال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»(١)»(٢)

وقال ابن تيمية أيضًا: «ثم ذلك المحرِّم للحلال والمحلِّل للحرام إن كان مجتهدًا قصدُه اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يُثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمّه الله، لا سيما إن اتّبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد، مع علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحقّ صاحبه العقوبة عليه»(٣)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ....﴾ [التوبة:٣١]، قال: «وتفسيرها الذي لا إشكال فيه هو طاعة العلماء والعباد في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسّرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم! فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية»(٤)

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيان فوائد حديث عدي رضي الله عنه: «وفيه تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل

---

(١) أخرجه البخاري [٩ / ٦٣ رقم ٧١٤٤] بَاب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً

(٢) مجموع الفتاوى [٧ / ٧٠]

(٣) السابق [٧ / ٧١]

(٤) انظر: المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد [ص ٢٢٥].

الأعمال، ويسمونها الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه»(١)

قال سليمان آل الشيخ: «يشير إلى ما يعتقده كثير من الناس فيمن ينتسب إلى الولاية من الضر والنفع والعطاء والمنع، ويسمون ذلك الولاية والسر، ونحو ذلك وهو الشرك.

وقوله: وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، أي: هي التي تسمّى اليوم العلم والفقه المؤلَّف على مذاهب الأئمة ونحوهم، فيطيعونهم في كل ما يطيعونه، سواء وافق حكم الله أم خالفه، بل لا يعبؤون بما خالف ذلك من كتاب وسنة، بل يردون كلام الله وكلام رسوله لأقوال من قلَّدوه، ويصرِّحون بأنه لا يحلّ العمل بكتاب ولا سنة، وأنه لا يجوز تلقي العلم والهدى منهما، وإنما الفقه والهدى عندهم هو ما وجدوه في هذه الكتب، بل أعظم من ذلك وأطمّ رمي كثير منهم كلام الله وكلام رسوله بأنه لا يفيد العلم ولا اليقين في باب معرفة أسماء الله وصفاته وتوحيده، ويسمّونها ظواهر لفظية، ويسمّون ما وضعه الفلاسفة المشركون القواطع العقلية، ثم يقدّمونها في باب الأسماء والصفات والتوحيد على ما جاء من عند الله، ثم يرمون من خرج عن عبادة الأحبار والرهبان إلى طاعة رب العالمين وطاعة رسوله وتحكيم ما أنزل الله في موارد النزاع بالبدعة أو الكفر»(٢)

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد [٥ / ٢٢٩] الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد [٥ / ٢٢٩]

الطوائف التي وقعت في هذا النوع من الكفر الاعتقادي:

١. الملوك والأمراء

الذين يعتقدون وجوب طاعتهم المطلقة على الناس، سواء وافقوا حكم الله أم خالفوه، حتى قال بعضهم: الله في السماء وأنا في الأرض!

فيأمرون وينهون شعوبهم ورعاياهم، يوجبون عليهم طاعتهم، مطالبين شعوبهم ومن تحتهم من الرعية بالطاعة المطلقة لهم، فيرضون عمن أطاعتهم وتزلف لهم بالإذعان ويغدقون عليهم عطاياهم ومناصبهم والثناء عليهم، وأما من خالفهم وعصى أوامرهم فالبعد والطرد والحرمان والسجن والتنكيل والقتل، فإلى الله المشتكى.

٢. الأحبار والرهبان الذين يُحلُّون ما حرم الله ويحرمون ما أحل

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيان فوائد حديث عدي رضي الله عنه: «وفيه تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، ويسمونها الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه»(١)

٣. علماء السوء

الذين شابهوا الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل، ويلزمون أتباعهم باتباعهم مع علمهم بأنهم مخالفون للشرع من غير تأويل أو اجتهاد، إنما محض هوى وإيثار للدنيا على الآخرة وطمع في نعيمها الزائل؛ قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ

(١) موسوعة توحيد رب العبيد [٥ / ٢٢٩]

فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

٤. شيوخ القبائل وحكام البادية

الذين يوجبون طاعتهم على قبائلهم وعوائلهم، ويوجبون عليهم اتباعهم فيما وضعوه من أعراف وتقاليد وأحكام عرفية مبتدعة مخالفة للشرع، ويرون أنفسهم أهلا للطاعة المطلقة، ويغضبون لمن خالف أمرهم، فيرمون كل من خالفهم بكل تهمة وفظيعة.

٥. علماء الشيعة الروافض

الذين جعلوا من أنفسهم مشرعين وفرضوا على الناس طاعتهم والولاء لهم، وكذلك الذين فرضوا على أنفسهم الطاعة المطلقة لعمائمهم وأئمتهم، فجعلوا منهم أربابا مع الله تعالى، فكلام عمائمهم هو المتبوع المسموع المطاع، ومن خالفه يعاقب ويشدد عليه ويسجن ويقتل، وهم ينزهون علماءهم عن الخطأ والحيف والزيغ، ويلصقون بهم العصمة من كل زلة وخطأ، عياذا بالله تعالى.

٦. طوائف من الصوفية

الذين دانوا لمشايخهم والأولياء عندهم بالسمع والطاعة المطلقة دون النظر إلى دين الله تعالى، فالدين ما دانوا به، ويصل الحد بالغلاة منهم أن يعتقد أن مشايخهم لا يسألون عما يفعلون، فكل ما يفعلونه صواب وشرع

ودين، حتى لو أظهروا كبائر وفظائع الذنوب والمخالفات فهم بمنزلة عالية رفيعة عند أتباعهم لا تهون ولا يعكر صفوها شيء مهما كان، فمهما أظهر علماؤهم من كبائر وفظائع لا يزدادون عند أتباعهم ومريديهم إلا عزًّا وعلوًّا ومنزلة! نسأل الله معافاته ومغفرته.

٧. العلمانيون والليبراليون

وغيرهم ممن يعتقدون أن حكم الله غير لازم، ولا يلزم تطبيقه والتحاكم إليه، ولا يعترفون بسيادة أحكام الشريعة وحسنها وعصمتها عن الغلط والخطأ واللغو، وكثير منهم يرون أن الدين تجربة شخصية يرجع فيها إلى مزاج وتجربة كل فرد على حدةٍ، فمن أحب الصلاة فليصل لا لأن الله شرعها وفرضها، ولكن لكونه يراها حسنة له وتريح نفسه، ومن رأى في الصيام منفعة وتجربة شخصية جيدة لنفسه ولصحته فليصم، فالدين عندهم تجربة شخصية تختلف من شخص لآخر، ويزعمون أن كل واحد في المجتمع هو من يحدد لنفسه العبادات التي يفضلها، وأما ما لا يفضله من العبادات والعادات فلا يلزمه شيء منها، وكلهم اجتمعوا على اعتقاد أن حكم الله وشرعه غير ملزم في البيوع والمعاملات والسياسات الداخلية والخارجية والاجتماعيات والمناسبات...

عياذا بالله من سوء الحال.

٨. العقلانيون

المدرسة العقلانية الخبيثة التي جعلت من العقل ربًا يحتكمون إليه، ولا يرون الطاعة المطلقة للشرع، ويرون من رسول الله ﷺ نموذجًا صالحًا في

نفسه، ولمن كان معه في عصره ومجتمعه، أما من بعده ومن جاء بعد عصره فلا يلزم اتباعه والانقياد لأمره، ولا يرون التحاكم له عند الاختلاف ولا الاستسلام لحكمه، وكثير منهم يجاهر بعد الاستسلام له ويعلن بالتصريح بوجود الحرج والضيق والتأفف حين يُدعى لحكمه وسنته وهديه.

وبالجملة فمن اعتقد في نفسه أو في غيره وجوب طاعته مطلقًا، سواء وافق الشرع أم لا، وأحب ذلك من قلبه ونصره ونافح عنه وعليه، ملزمًا غيره بذلك، مرتبًا على طاعته الثواب والمكافآت والمنح، وعلى معصيته ومخالفته العقاب والحرمان = فقد أشرك بالله تعالى، وجعل من نفسه أو ممن يعبده ربًا مع الله تعالى في وجوب طاعته المطلقة.

النوع الحادي والعشرون:

شرك الحاكمية(١)

اعلم ـ علمك الله الخير ـ:

أن الحكم لله تعالى وحده لا شريك له، فكما أنه الخالق سبحانه لا شريك له في حكمه وخلقه، فكذلك هو الحاكم في خلقه لا شريك له في ذلك

---

(١) لا شك أن هذه النوع (شرك الحاكمية) نوع وفرد من أفراد النوع السابق (شرك الطاعة)، ولكني أفردته بنوع مخصوص لعدة أسباب منها:

١ ـ كثرة المعارضة والمحاجة فيه وكثرة اللجاج والأغلوطات حوله.

٢ ـ تفريق كثير من الناس بين النوعين، فيعتقدون انفراد الله تعالى بالطاعة في العبادات إلا في قضية الحكم والتحاكم.

٣ ـ العلمانية البغيضة التي تحكم بفصل الدين عن الدولة، فحصرت الدين في المساجد فقط وفي أزمنة مخصوصة فقط كشهر رمضان، وأما عموم مناحي الحياة فلا دخل للدين فيها.

٤ ـ انتشار المحاكم الوضعية والاختفاء التام للمحاكم الشرعية جعلت فئامًا كثيرة من الناس ـ حتى ممن يظن بهم الالتزام والتمسك بالشرع ـ يتهاونون في أمر الحكم والقضاء فأضحوا يتحاكمون إلى المحاكم الوضعية راضين بحكمها عياذا بالله تعالى.

إلى غير ذلك من الأسباب، نسأل الله توفيقه وإعانته.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ولا ينبغي لأحد أن يعتقد غير هذا، ومن اعتقد غير هذا كفر وخرج من دائرة الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

عن **ابن عباس قال**: «لما نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١] أرسلت فارس إلى قريش: أن خاصموا محمدًا وقولوا له: كَمَا تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله، عَزَّوَجَلَّ، بشمشير من ذهب -يعني الميتة -فهو حرام. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قال: الشياطين من فارس، وأولياؤهم من قريش»(١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٤١) وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٩).

ووجه **الدلالة**: إذا كانت طاعة المشركين في مسألة واحدة ـ بتحليل ما حرم الله من أكل الميتتات بدعوى أن الله قتلها ـ شركًا وخروجًا من الملة؛ فكيف بمن بدل الشريعة وهدم الدين، واعتقد عدم صلاحية تطبيقها على العباد!.

وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**»(١).

وقال أبو يعلى: «ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح من الله أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه فهو كافر...ومن فعل ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين»(٢)

وقال شيخ الإسلام: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدًا بالاتفاق»(٣)

شرك الحاكمية بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

الاعتقاد الجازم بالله سبحانه وتعالى هو الحاكم وحده، المشرع وحده،

---

(١) **صحيح**: أخرجه داود [٤ / ٤٤٤ رقم ٤٩٥٧]، والنسائي [٨ / ٢٢٦ رقم ٥٣٨٧]

(٢) المعتمد في أصول الدين (ص ٢٧١، ٢٧٢).

(٣) الفتاوي (٣ / ٢٦٧).

وهو الآمر الناهي في خلقه على وفق إرادته ومشيئته؛ ولذلك أرسل الرسل لتبلغ رسالاته وأنزل الشرائع ليتعبد بها الناس، فله الحكم الكوني القدري وله الحكم الشرعي على حد سواء، فمن اعتقد غير هذا فقد أشرك في الربوبية، ومن تحاكم إلى غير حكمه وحكم رسوله فقد أشرك في الألوهية.

وكما أن العبد يعتقد اعتقادًا جازما لا ريب فيه أنه لا يمكن لأحد كائنا من كان أن يبدل أو يغير بزيادة أو نقص على ما شرع الله لعباده من العبادات، فكذلك لا يجوز لمخلوق أن يبدل في حكم الله تعالى.

فإن الناس كلهم متفقون على أنه لو جاء أحد من الناس فغير في صورة عبادة من العبادات كالصلاة فأنقص من أعدادها تخفيفا على الناس، أو حذف منها، أو أبطل العمل ببعضها كالصيام فأمر الناس بالفطر من رمضان رغبة في زيادة الإنتاج ونحوه = فإن الناس لا يرتابون في كفره وخروجه عن ملة الإسلام ويتهمونه في دينه وعقله، وكذلك ينبغي أن يكونوا إذا جاءهم من يريد تغيير المحاكم الشرعية بتحويلها إلى محاكم تحكم بالحكم الوضعي المخترع المستورد من الأعداء وأصحاب الحانات وكهوف العهر والفساد في أوربا، فالكلام في العبادات كالكلام في الحكم والتشريع بلا فرق، فالذي شرع صلاة الفجر ركعتين والظهر أربعًا والعصر أربعًا والمغرب ثلاثًا والعشاء أربعًا، وفرض صيام رمضان، وفرض حج البيت، وإيتاء الزكاة هو نفسه الذي أنزل حد السرقة، وحد الزنا وحد شرب الخمر والقصاص والحدود والكفارات، والذي ينكر حدا من حدود الله تعالى أو يزعم أنه غير صالح للتطبيق والعمل به وأنه غير مناسب لروح العصر والمدنية الحديثة = تماما كالذي ينكر الصلاة وأنها غير صالحة للعمل بها!.

الشرك في الحاكمية

والشرك في الحاكمية: بأن يعتقد أن حكم الله وحكم رسوله ﷺ وهديه لا يصلح للتطبيق والعمل به أو يوجد ما هو أفضل منه وأكمل، ويستحل ترك العمل بها

فهو معرض عن اتباع حكم الله ورسوله وهديه وممتنع عن الانقياد له، ومثله أن يشرع للناس أحكاما وقوانين ودساتير ويلزم بها الناس يتحاكمون إليه في أموالهم وأعراضهم ودمائهم وجميع أحوالهم.

الفرق الإسلامية التي ضلت في قضية الحكم بغير ما أنزل الله تعالى:

وممن ضل في هذا الباب طائفتان كبيرتان من طوائف هذه الملة، ولا شك أنه ينتمي تحتها فئام كثير من الناس:

❐ الطائفة الأولى: الخوارج وممن قال بقولهم

فالخوارج كفروا من يحكم بغير ما أنزل مطلقًا، ولو في مسألة واحدة، ولو كان متأولا أو جاهلا أو مخطئا، وكفروا كذلك المتحاكمين إليهم مطلقا، وثالثة الأثافي: أنهم كفروا كل البلاد التي يحكمها القانون الوضعي، كفروا الحكام والمحكومين، فالجميع عندهم له حكم واحد، الراضي منهم والمنكر.

❐ الطائفة الثانية: المرجئة

والمرجئة شرٌّ من الخوارج في هذا الباب؛ فإنهم لم يكفروا أحدا أبدا إلا بالاستحلال القلبي والجحود والتكذيب فقط، فزيَّنوا للبغاة بغيهم، بل جعلوا من أعداء الشريعة وصناديد الطغيان جعلوا منهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وأضفوا عليهم صفات الخلافة والإمارة، وأوجبوا على الشعوب

بيعتهم، ووصموا من خالفهم في رأيهم بالخوارج والمعتزلة، والمرجئة الحديثة التي أهانت الدين ومرغت مصطلحات الخلافة والإمارة والبيعة في الطين، حتى نادى بعضهم على المسلمين في أوربا وغيرها من دول الكفر كفرًا أصليا ـ عياذا بالله ـ بوجوب البيعة للرؤساء والملوك هناك، ولقد رأينا أولئك يقاتلون مع هؤلاء الحكام ويبذلون لهم البيعة على النصرة والقتال والولاء ضد شعوبهم، ولا يوجهون سلاحهم وطلقات بنادقهم إلا لصدور أهل السنة من العلماء والعوام، ويجهرون بأنهم عدوهم اللدود، ويجعلون في قتلهم قربة وحسنة أكثر من قتل غير المسلمين المحاربين لهم المعتدين عليهم، نعوذ الله من الضلالة بعد الهدى.

فهاتان الطائفتان عظم فسادهم، وعمَّ شرهم الحواضر والبوادي، نسأل الله أن يحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء.

صور من الكفر الاعتقادي الأكبر في قضية الحاكمية:

١ـ المنكر لحكم الله تعالى وشرعه، الذي يرى عدم إلزام حكم الشريعة، فلا يرى لله حكما على العباد أصلا، ويرى أن الشعب يحكم نفسه بلا تدخل تماما من الدين.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

٢ـ الذي يُقِرُّ بحكم الله تعالى، لكن يرى أن حكم غيره أفضل من حكمه، وأنه أليق بروح العصر منه، وأن الحدود الشرعية ما عادت يصلح تطبيقها في العصر الحديث.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

٣ ـ الذي يجوز تحكيم غير حكم الله تعالى جنبًا إلى جنب مع حكم الله تعالى، فهو يرى أن القوانين البشرية الوضعية مساوية لحكم الله تعالى، فمن شاء أخذ بهذه ومن شاء أخذ بتلك.

٤ ـ الذي يجد في قلبه حرجًا وضيقا من حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥].

❐ ٥ ـ من يعتقد أن بعض الشرع صالح للتطبيق وبعضه غير صالح،

كمن يقول: لا يصلح التحاكم في قضايا المعاملات أو السياسات أو خلافات الدول في المحاكم الشرعية.

٦ ـ من يعتقد جواز تحكيم السُّلُوم والعادات العرفية والأعراف القبلية المناهضة للشرع، ويراها أليق بأحوال القبائل والنجوع من حكم الشرع.

إلى غير ذلك من صور الاعتقاد الخاطئ في هذه القضية الحساسة، قضية الحكم بما أنزل الله تعالى.

النوع الثاني والعشرون:

كفر سوء الظن بالله تعالى(١)

اعلم علمك الله الخير:

أن الله تعالى بيده الخير، وكل أفعاله خير؛ كما قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(٢)

وفي الحديث القدسي أيضًا: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ**»(٣)

---

(١) للمؤلف مصنف حول «سوء الظن بالله تعالى» يسر الله طبعه ونشره.

(٢) **متفق عليه**: البخاري [٩ / ١٢١ رقم ٧٤٠٥] بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، ومسلم [٤ / ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥] باب الحث على ذكر الله تعالى

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد [١٥ / ٣٦ رقم ٩٠٧٦]، ابن حبان [٢ / ٤٠٥ رقم ٦٣٩]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيرُه ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عَزَّوَجَلَّ الظن إلا أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ ظنَّه؛ ذلك بأنَّ الخيرَ في يده» رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن.

قال سهل القطعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيت مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري، ماذا قدمت به على الله عَزَّوَجَلَّ؟

قال: قدمت بذنوب كثيرة، فمحاها عني حسن الظن بالله» رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن

حسن الظن يكون مع إحسان العبد

اعلم علمك الله الخير، أن حسن الظن بالله تعالى يكون مع الإحسان والعمل الصالح وترك الذنوب والمعاصي «ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الاحسان؛ فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته، وأما المسيء المصرُّ على الكبائر والظلم والمخالفات؛ فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد؛ فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدًا؛ فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنًّا بربه أطوعهم له؛ كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل»[1]

---

(١) الجواب الكافي [ص ١٣] الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ

أكثر الناس قد أساء الظن بربه تعالى

ولما كان أكثر الناس على معصية الله قائمين، وعن حياضه مطرودين، وعن طاعته مصروفين، وللخذلان متعرضين = كَثُر فيهم سوء الظن حتى امتلأت منه القلوب

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في وصفه لحال هذا الصنف من الناس:**

«فأكثر الخلق بل كلهم إلا ما شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء، **فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله**، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق! ونفسه تشهد عليه وإن كان لسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتَّش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها.

ولو فتَّشت من فتشته لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر». ا. هـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «وأكثرُ النَّاسِ يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ السَّوءِ فيما يختصُّ بهم وفيما يفعلُه بغيرهم، ولا يسلَمُ عن ذلك إلا مَن عرف الله، وعرف أسماءَه وصفاتِهِ، وعرفَ موجبَ حمدِهِ وحكمته، فمَن قَنِطَ مِن رحمته، وأيسَ مِن رَوحه، فقد ظن به ظنَّ السَّوء»(١)

فالواجب على العبد التوبة والرجعة وتصحيح إيمانه وأن يرد ما في نفسه

---

(١) زاد المعاد [٣ / ٢٢٩] لناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت – الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

من سوء الظن، وأن يجاهد نفسه في دفع ما ألم به من الوساوس والظنون الباطلة

«فليعتنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا الموضعِ، وليتُبْ إلى الله تعالى وليستغفِرْه كلَّ وقت من ظنه بربه ظن السَّوْءِ، وليظنَّ السَّوْءَ بنفسه التى هى مأوى كل سوء، ومنبعُ كل شر، المركَّبة على الجهل والظلم، فهى أولى بظن السَّوْءِ من أحكم الحاكمين، وأعدلِ العادلين، وأرحم الراحمين، الغنىِّ الحميد، الذى له الغنى التام، والحمدُ التام، والحكمةُ التامة، المنزّهُ عن كل سوءٍ في ذاته وصفاتِهِ، وأفعالِه وأسمائه، فذاتُه لها الكمالُ المطلقُ مِن كل وجه، وصفاتُه كذلك، وأفعالُه كذلك، كُلُّها حِكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كُلُّها حُسْنَى.

فَلا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنّ سَوْءِ ∴ فَإنَّ اللهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ
وَلا تَظْنُنْ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا ∴ وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُوءِ ∴ أَيُرجَى الخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخيلِ
وظُنَّ بِنَفْسِكَ السُّوآى تَجِدْهَا ∴ كَذَاكَ وخَيْرُهَا كَالمُسْتَحِيلِ
وَمَا بِكَ مِنْ تُقىً فِيهَا وَخَيْرٍ ∴ فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الجَلِيلِ
وَلَيْسَ بِهَا وَلاَ مِنْهَا وَلَكِنْ ∴ مِنَ الرَّحْمن فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ»(١)

(١) زاد المعاد [٣ / ٢٣٥].

جناية العبد بسوء ظنه بالله تعالى:

سوء الظن بالله تعالى جناية على الخالق سبحانه، وسوء أدب معه، وجهل بمقامه الأعلى ورميه بما لا يليق به سبحانه، وهو ظنٌّ بالله بما لا يليق بأسمائه الحسنى، وصفاتِهِ العُليا، وذاتِه المبَّرأة من كُلِّ عيبٍ وسوء،

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦].

وقال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت:٢٣].

وقال تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٨٧].

حكم سوء الظن بالله تعالى

سوء الظن بالله تعالى على قسمين:

الأول: سوء ظن مخرج من الملة، وهو ناقض من نواقض الإيمان

الثاني: سوء ظن بالله، لكنه كبيرة من كبائر الذنوب.

❐ فالأول: سوء الظن المخرج من الملة

وهو سوء الظن بالله المتضمن لناقض من نواقض الإيمان، أو الهادم لأصل من أصول العقيدة

ومن صور سوء الظن المخرج من الملة[١]:

صور سوء الظن المخرج من الملة كثيرة فمنها:

ـ من ظنَّ أن لله صاحبة وولدًا، أو أنه يحتاج إلى معاون أو نصير

أو أن يتعب كما يتعب البشر، أو جوّز عليه من صفات النقص التي تعرض للخلق

؛ كما زعم اليهود أن الله خلق السموات والأرض في ستة ثم تعب فاستراح في اليوم السابع، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا؛ فأنزل الله في تكذيبهم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].

وزعموا أن الله بخيل فقير محتاج إلى خلقه؛ فأكذبهم الله بقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١]

. ومن ظن أن أحدًا يشفعُ عنده بدون إذنه، أو أن بينَه وبين خلقه وسائطَ يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نَصَبَ لعباده أولياء مِن دونه يتقرَّبون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه، فيدعونهم، ويحبونهم كحبه، ويخافونهم ويرجونهم، فقد ظنَّ به أقبحَ الظن وأسوأه.

. ومَن ظنَّ أن الله لا ينصرُ رسولَه، ولا يُتِمُّ أمرَه، ولا يؤيِّده، ويؤيدُ حزبه، ويُعليهم، ويُظفرهم بأعدائه، ويُظهرهم عليهم، وأنه لا ينصرُ دينه وكتابه، وأنه

(١) انظر: زاد المعاد [٣ / ٢٢٩] بتصرف واختصار

يُديل الشركَ على التوحيدِ، والباطلَ على الحقِّ إدالة مستقرة يضمحِلّ معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظنَّ بالله ظن السَّوْءِ

. ومَن جوَّز عليه أن يعذِّبَ أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويُسوِّي بينهم وبين أعدائه، فقد ظَنَّ به ظَنَّ السوءِ.

ومَن ظنَّ به أن يترُكَ خلقه سُدى، معطَّلينَ عن الأمر والنهى، ولا يُرسل إليهم رسله، ولا ينزِّل عليهم كتبه، بل يتركهم هَمَلًا كالأنعام، فقد ظَنَّ به ظنَّ السَّوء.

. ومَن ظن أنه لن يجمع عبيدَه بعد موتِهم للثوابِ والعِقاب في دار يُجازي المحسنَ فيها بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، ويبيِّنُ لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهرُ للعالمين كلِّهم صدقَه وصدقَ رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظنَّ به ظن السَّوءِ.

. ومن ظنَّ أنه يُضَيِّعُ عليه عملَه الصالحَ الذى عملَه خالصًا لوجهه الكريمِ على امتثال أمره، ويُبطِلُه عليه بلا سبب من العبد، أو أنه يُعاقِبُه بما لا صُنعَ فيه، ولا اختيار له، ولا قدرةَ، ولا إرادة في حصوله، بل يُعاقبه على فعله هو سبحانه به.

. أو ظنَّ به أنه يجوزُ عليه أن يؤيِّدَ أعداءَه الكاذبين عليه بالمعجزاتِ التي يؤيِّدُ بها أنبياءه ورسله، ويُجرِيها على أيديهم يُضِلُّونَ بها عباده، وأنه يحسُن منه كُلُّ شيء حتى تعذيبُ مَن أفنى عمره في طاعته، فيخلدُه في الجحيم أسفلَ السافلينَ، ويُنعِمُ على من استنفد عُمُرَه في عداوته وعداوة رسله ودينه، فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء، ولا يُعرف

امتناعُ أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق وإلا فالعقل لا يقضى بقُبح أحدهما وحُسنِ الآخر=فقد ظَنَّ به ظَنَّ السَّوْء.

. ومَن ظن به أن يكونَ في ملكه ما لا يشاء ولا يَقْدِرُ على إيجاده وتكوينه، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

. ومَن ظنَّ به أنه لا يَسمع ولا يُبصِرُ، ولا يعلم الموجودات، ولا عَدد السماواتِ والأرضِ، ولا النجوم، ولا بنى آدمَ وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

. ومَن ظنَّ به أنه يُحِبُّ الكفر، والفسوقَ، والعِصيانَ، ويحبُّ الفسادَ كما يُحبُّ الإيمان، والبر، والطاعة، والإصلاح، فقد ظنَّ به ظن السَّوْءِ.

. ومَن ظنَّ به أنه لا يُحبُّ ولا يَرضى، ولا يَغضب ولا يَسخط، ولا يُوالى ولا يُعادى، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرُب منه أحد، وأن ذواتِ الشياطين في القُرب مِن ذاته كذوات الملائكة المقرَّبين وأوليائه المفلحين، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

فهذه صور يسيرة من هذا النوع، نسأل الله معافاته ومغفرته.

❐ وأما الثاني: فسوء الظن الذي هو كبيرة من الكبائر

بأن يسوء ظنه بربه فيما دون الشرك، وفيما ليس بناقض من نواقض الإيمان.

وهذا أيضًا له صور كثيرة منها:

مَن ظنَّ به أنه إذا ترك لأجله شيئًا لم يُعوِّضه خيرًا منه، أو مَن فعل لأجله

شيئًا لم يُعطه أفضلَ منه، فقد ظنَّ به ظن السَّوْءِ.

ومَن ظنَّ به أنه يغضبُ على عبده، ويُعاقبه ويحرمه بغير جُرم، ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة، ومحض الإرادة، فقد ظنَّ به ظن السَّوْءِ.

ومن ظنَّ به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرَّع إليه، وسأله، واستعان به، وتوكَّل عليه أنه يُخيِّبُه ولا يُعطيه ما سأله، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوءِ، وظنَّ به خلافَ ما هو أهلُه.

ومن ظنَّ به أنهُ يُثيبه إذا عصاه بما يُثيبه به إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظنَّ به خلافَ ما تقتضيه حِكمتُه وحمده، وخلافَ ما هو أهلُه وما لا يفعله.

النوع الثالث والعشرون:

اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى

اعلم علمك الله الخير:

أن العبد ينبغي عليه أن يخاف من الله تعالى خوفًا يحمله على فعل المأمور وترك المحظور، كما ينبغي عليه أن يكون حسن الظن بربه، بحيث يحمله حسن الظن على حسن العمل وترك الكسل؛ وليعلم المؤمن أن حياته تدور بين سراء وضراء؛ فإن كان في السراء من الشاكرين الحامدين، وفي الضراء من الصابرين المحتسبين = فاز وربح البيعة

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجِبْتُ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا**»(١)

تعلق المؤمن برحمة الله تعالى وسعة جوده وكرمه:

فإن المؤمن كلما زادت عليه المصائب والإحن والابتلاءات كلما ازداد تعلقه بربه وبرحمته، خاصة إذا انقطعت عنه كل الأسباب المادية الأرضية؛

(١) أخرجه مسلم [٤ / ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩] باب المؤمن أمره كله خير، أحمد [٣١ / ٢٦٤ رقم ١٨٩٣٤]

فعند ذلك يمتلئ قلبه توكلًا على الله فيرجو رحمته وجميل غِيَرِه؛ **قال ابن عباس: إن المؤمن من الله تعالى على خيرٍ يرجوه في البلاءِ، ويحمده في الرخاءِ.**

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٥-٥٦] فإن إبراهيم قال هذا للملائكة حين بشروه بإسحاق، وقد كبرت سنه وصارت امرأته عجوزًا؛ والمعنى: أنا لا أشك في قدرة الله تعالى ولا أقنط من رحمته على الرغم من انقطاع الأسباب ووجود العوارض والموانع.

ومثله قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

ففي هذه الآية أمر يعقوب عليه السلام أبناءه أن يجتهدوا في البحث والتحسس عن يوسف، وأخيه وأن يعلقوا رجاءهم بالله تعالى وبرحمته، وحذرهم من القنوط من رحمته؛ فإن هذه صفة الكفار الذين انقطع رجاؤهم في الله تعالى فلا يظنون بربهم خيرًا، ولا يثقون في رحمته وواسع فضله وكرمه.

فالمؤمن دائما يعلق قلبه ورجاءه بالله الرحمن الرحيم، لكنه يكون أشد تعلقًا وطمعًا في رحمة ربه إذا انقطعت عنه كل الأسباب الأرضية، فلا يبقى في قلبه تعلق بأحد إلا بربه سبحانه وتعالى، والقرآن ناطق بهذا المعنى في آيات كثيرة، منها على سبيل الإجمال:

قول موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢].

وقوله حين تناكص قومه عن قتال الجبارين ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥].

وقول أصحاب طالوت وهم فئة قليلة جدًّا في مواجهة الجبابرة من الكنعانيين: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وقول النبي ﷺ وأصحابه في يوم حمراء الأسد: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وفي يوم الغار يقول النبي ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

وقول المؤمنين يوم الأحزاب: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

إلى غير ذلك من المواضع الكثيرة في كتاب ربنا جل جلاله.

ولأن الذنوب تجعل بين العبد وبين ربه حاجزًا من حسن الظن به سبحانه وتُغلِّق على العبد أبواب الفرج والرحمة = نهى الله سبحانه المؤمنين أن يقنطوا من رحمة الله ومن مغفرته؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وفي الحديث الإلهي: «**قال الله: يا ابن آدم، إِنَّكَ ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني: غفرتُ لك على ما كانَ مِنكَ، ولا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ، لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثم استَغْفَرتَني: غَفَرْتُ لك، ولا أُبالي، يا ابنَ آدم إِنَّكَ لو أتيتني بِقُرابِ الأرض خَطَايا، ثم لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئا: لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَة**»(١)

اليأس والقنوط صفة الكافر

وأما الكافر فإنه إذا غشيته المصائب وحلَّت به الإحن، ونزل بساحته البلايا أصابه اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى؛ ذاك أن رجاءهم ينقطع من رحمة الله تعالى، فمن ذلك:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٤].

والمعنى: أنه تعالى سلط عليهم المكاره والشدائد ليعتبروا ويتعظوا، فلما لم تُجْدِ معهم شيئًا.. نقلهم إلى حال هي ضدها، ففتح عليهم أبواب الخيرات، وسهل لهم سبل الرزق والرخاء، فلم ينتفعوا أيضًا. وما مثل هذا

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي [٥ / ٥٤٨ رقم ٣٥٤٠] باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، والدارمي [٢ / ٤١٤ رقم ٢٧٨٨] باب إذا تقرب العبد إلى الله

إلا مثل الأب المشفق على ولده، يخاشنه تارة ويلاينه أخرى طلبًا لصلاحه واستقامة حاله، وإرجاعًا له عن غيه وطغيانه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾؛ أي: حتى إذا اطمأنوا بما فُتح لهم من الخيرات، وظنوا أن الذي أوتوا إنما هو باستحقاقهم، ولم يزدهم ذلك إلا بطرًا وغرورًا بأن ظنوا أن الذي نَزَل بهم من الشدائد ليس على سبيل الانتقام من الله ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: أنزلنا بهم عذابنا فجأة ليكون لهم أشد وقعًا وأكثر تحسرًا؛ أي: أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كونهم مبغوتين، إذ فاجأهم على غرة من غير سبق أمارات ولا إمهال للاستعداد أو للهرب ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾؛ أي: **آيسون من النجاة**، متحزنون غاية الحزن، منقطع رجاؤهم من كل خير»(١)

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

٣ ـ وقال تعالى في وصف الكافر: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩].

أي: «﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ من روح الله وفضله ﴿قَنُوطٌ﴾ من رحمته وإحسانه، وقيل: يؤوس من إجابة دعائه، قنوط بسوء الظن بربه، وقيل: يؤوس من زوال

(١) تفسير حدائق الروح والريحان [٨ / ٣١٨] للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

ما به عن المكروه، قنوط بما يحصل له من ظن دوامه، وهما صيغتا مبالغة، يدلان على أنه شديد اليأس، عظيم القنوط، والفرق بين اليأس والقنوط، أن الياس من صفة القلب، وهو قطع الرجاء من رحمة الله تعالى، والقنوط من صفة البدن، بأن يظهر أثر اليأس في بدنه، فيتضاءل ويحزن وينكسر ويتذلل، وبدأ بصفة القلب؛ لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار، وبهذا ظهر الفرق بينهما، وقال بعضهم: هما مترادفان وذكرهما معًا للتأكيد.

والحاصل: أن اليأس من صفة القلب، والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن وهذا صفة الكافر لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]»(١).

د ـ وفي يوم الخندق لما رأى المنافقون الأحزاب من الكفار: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢].

وهذا دأب المنافقين في كل زمان ونِزال: الخوف والزلزلة والشك في رحمة الله تعالى وقدرته وسطوته، كما قال سبحانه عنهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ**»(٢)

---

(١) السابق [٢٦ / ١٣]

(٢) أخرجه: مسلم [٤ / ٢١٠٩رقم ٢٧٥٥] باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، وأحمد [١٤ / ١٣٩ رقم ٨٤١٥]

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رجُلًا قالَ: يا رسُولَ اللهِ ما الكبائِرُ؟ قالَ ﷺ: «**الشِّركُ باللهِ، والإِياسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، والقُنُوطُ من رحمةِ اللهِ**» رواه البزَّار وحسنه العراقي.

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»(١)

من أقوال السلف في اليأس والقنوط:

-**قال علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: «الفقيه حقُّ الفقيه: من لم يُقنِّط النَّاس من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنهم من عذاب الله»(٢)

وقال ابن مسعود: «الهلاك في اثنتين، القنوط، والعجب»(٣)

وقال محمد بن سيرين: «الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى»(٤)

وقال أيضًا: «لا تيأس فتقنط فلا تعمل»(٥)

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير: (٨ / ٢٤٢ – ٢٤٤)، والطبراني في الكبير بإسناد صحيح، انظر مجمع الزوائد:(١ / ١٠٤)، وقال ابن كثير في التفسير:(١ / ٤٨٥) هو صحيح إلى ابن مسعود بلا شك..

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٣٣٨ رقم ٣٠٥).

(٣) الزواجر.(1/ 121)

(٤) معالم التنزيل (١/ ٢١٧).

(٥) العجاب في بيان الأسباب (١/ ٤٧٩) لابن حجر العسقلاني. الناشر: دار ابن الجوزي

وقال سفيان بن عيينة: «من ذهب يقنِّط الناس من رحمة الله، أو يقنِّط نفسه فقد أخطأ»(١)

وقال الطحاوي: «الأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة»(٢)

- **وقال البغوي**: «القنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكره»(٣)

تعريف القنوط من رحمة الله تعالى:

قال الشوكاني: «القُنوط: الإياسُ من الرَّحمة، كذا قال الجمهور»

قال المجدِّد الثاني لدعوة التوحيد في البلاد النجدية الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «القنوط: استبعاد الفَرَجِ واليأسُ منه، وهو يُقابلُ الأمنَ من مكرِ الله، وكلاهما ذنبٌ عظيمٌ»

وقال الشيخ ابن باز: «القنوط من رحمة الله هو اليأس، كونه لا يرجو الله، أي: يقنط أن الله يغفر له وأن الله يرحمه، هذا من الكبائر من كبائر الذنوب، ربنا جَلَّوَعَلَا نهى عن هذا، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فلا يجوز لأحد أن يقنط من رحمة الله، يعني:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٦٨) للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا.

(٢) العقيدة الطحاوية (١/ ٦١)

(٣) معالم التنزيل (٣/ ٦١) لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

ييأس لكفره أو لمعاصيه بل عليه التوبة والرجوع إلى الله والإنابة إليه وله البشرى بأن الله يقبل توبته ويعظم أجره ويجازيه على ما فعل من الخير.

أما اليأس والقنوط لأجل سوء العمل فهذا من تزيين الشيطان ولا يجوز بل يجب على العبد الحذر من ذلك، وأن لا يقنط ولا ييأس بل يرجو رحمة ربه، يرجو أن الله يتوب عليه، يرجو أن الله يتقبل عمله فلا ييأس»

وقال الشيخ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرادُ باليأس هُنا: أن يستبعد رحمة الله ويستبعد حصول المطلوب، والمرادُ باليأس هُنا أن يستبعد الإنسان زوال المكروه»

هل القنوط هو اليأس؟(١)

اختلف العلماء في الفرق بين اليأس والقنوط على أقوال منها:

أ. أن ظاهر القرآن يدل على أن اليأس أشدّ من القنوط،

حيث حَكَمَ على أهل اليأس بالكفر فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]،

وحَكَمَ على أهل القنوط بالضلال كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] ومعلوم أن الضلال قد يكون كفرا، وقد يكون دون الكفر.

---

(١) بحث للشيخ إبراهيم الحماد في «مجلة البحوث الإسلامية» (٨٩/ ١٧٨) بتصرف يسير.

ب. أنه لا فرق بينهما

ووصْفُ أهل اليأس بالكفر، وأهل القنوط بالضلال، لا يدل على الفرق، فالضَّلالُ والكفرُ يجتمعان، ويقال: هو ضالٌّ، ويقال: هو كافر؛ فالكفر يسمَّى ضلالًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

ج. أن الفرق بينهما باعتبار بعض الصفات، لا باعتبار أصل المعنى

وإلا فإن القنوط من الرحمة، واليأس من الرَّوْح: هما بمعنى واحد، لكن يختلفان من حيث ما يتناوله هذا، وما يتناوله هذا؛ فالقنوط من رحمة الله عام؛ لأن الرحمة أعم من الروح، فالرحمة تشمل جلب النعم، ودفع النقم، وروح الله جَلَّوَعَلَا يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب. فقوله: «القنوط من رحمة الله» في أثر ابن مسعود: «**أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**»(١) هذا أعم؛ ولهذا قدمه، فيكون ما بعده من عطف الخاص على العام، أو يكون هناك ترادف في أصل المعنى، واختلاف في الصفات، أو بعض ما يتعلق باللفظ.

والراجح – والله أعلم – وجود الفرق بين اليأس والقنوط حال اجتماعهما في اللفظ، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩].

فاليأس: انقطاع الطمع من الشيء، والقنوط: أخص منه، فهو أشد اليأس، ويدل عليه **قوله تعالى**: ﴿**لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ**﴾ [الزمر:٥٣].

---

(١) سبق تخريجه

اليأس: أن يستبعد زوال المكروه،

والقنوط: أن يستبعد رحمة الله سبحانه وتعالى، ويستبعد حصول المطلوب.

ويدل على التفريق أثر ابن مسعود السابق؛ حيث فرّق بين اليأس والقنوط.

وتفسير ذلك أيضًا: أن اليأس هو: انعدام الأمل في القلب، ومتى ما وصل ذلك إلى درجة شديدة بنحوٍ ينعكس على مظهر الإنسان أصبح قنوطًا. وعلى هذا فاليأس صفة للقلب، **وهو: أن يقطع رجاءه من الخير وهي المؤثرة، وما يظهر على الصورة من التضاؤل والانكسار: هو القنوط.**

قال ابن جرير في معنى الآية: «إن ناله ضر في نفسه من سقم، أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه فيئوس قنوط، يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه»(١)

وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللّه، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**»(٢)،

وقول ابن مسعود السابق: «**أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**»...

فدل ذلك على الفرق بينهما حال اجتماعهما في اللفظ، وأما إذا افترقا في

---

(١) تفسير الطبري [٢١ / ٤٩٠]

(٢) سبق تخريجه

اللفظ: فالظاهر – والله أعلم – أنهما بمعنى واحد.

وأما القول بأن اليأس أشد من القنوط، لكون ظاهر القرآن حكم على أهل اليأس بالكفر، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، بينما حكم على أهل القنوط بالضلال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]: فلا يلزم منه أن يكون اليأس أشد؛ إذ ربما يكون الحكم بالضلال زائدًا على الحكم بالكفر، فيجتمع فيه وصفان شنيعان، لقبح الفعل وشدته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]؛ فحكم هنا على من دعا غير الله بالكفر، وحكم عليه في موضع آخر بالضلال، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]، ومما يشعر بأن القنوط أشد من اليأس الفرق اللغوي، حيث جعل القنوط أشد أنواع اليأس».

النوع الرابع والعشرون:

استحباب الحياة الدنيا على الآخرة

من الشرك الاعتقادي الذي كان سببًا في خروج فئام من الناس من دائرة الإيمان، وكان سببًا في دخولهم وخلودهم في النار = استحبابُ الحياة الدنيا على الآخرة

قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦].

أخبرنا سبحانه وتعالى أن حبهم للدنيا وتقديمهم لها على الآخرة كان سببًا في خلودهم في النار.

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢] قال ابن عمر: ما كنا نعلم أن أحدا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

متاع الغرور: فهنا ذم الدنيا بوصفين لازمين لها يجعل العاقل يزهد فيها، **الوصف الأول**: أنها متاع، ومن شأن المتاع أنه قليل وأنه سريع الزوال، سريع الهلكة.

الثاني: وصفه بالغرور، وهو وصف قبيح، فهو متاع قليل سريع الزوال غير باقٍ ثم هو ليس بمتاع حقيقي بل هو زائف

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٠].

أخبرنا سبحانه أن هؤلاء الكفار ما منعهم من اتباع الأنبياء والرسل إلا غرورهم بالحياة الدنيا.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [التوبة:٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٧].

أخبرنا سبحانه أن الدنيا كانت سببا في فتنتهم حين أمنوا غوائلها واطمأنوا بها، ونسوا حظهم من الآخرة!

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرعد:٢٦].

والفرح المذكور هنا: هو الفرح المذموم، الفرح الذي يحمل صاحبه على ترك الطاعة وفعل المعصية والفرح بها، ولذلك ذمَّه الله تعالى معاتبًا أهل النار؛ قال تعالى ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم:٣].

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر:٣٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أشبَهُ الأشْياءِ بالدنيا الظِّلُّ** تَحْسبُ له حقيقةً ثابتةً وهو في تقَلُّصٍ وانقباضٍ فتتبَعُه لتدركَه فلا تَلْحقه. وأشبَهُ الأشياءِ بها السَّرابُ يحسَبُه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَه لم يَجدْ شيئًا وَوَجَدَ اللهَ عندَه فوفَّاهُ حسابَه واللهُ سريعُ الحسابِ. وأشْبَهُ الأشياءِ بها المنامُ يَرى فيه العبدُ ما يُحبُّ وما يَكرَهُ فإذا استيقَظَ عَلِمَ أنَّ ذلك لا حقيقةَ له»(١)

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى:٣٦].

قال عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَا شَبَّهْتُ الدُّنْيَا إِلَّا بِالتَّعَبِ يَسْرِي صَفْوُهُ، وَيَبْقَى كَدَرُهُ، وَلَنْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا إِذَا حَزَّ فِي نَفْسِ الرَّجُلِ وَجَدَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ

(١) عدة الصابرين [ص ١٩١] دار الكتب العلمية - بيروت

فَمَشَى إِلَيْهِ، فَسَقَاهُ، وَايْمُ اللهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَلْتَمِسَ ذَلِكَ فَلَا تَجِدُهُ»(١)

عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: مَا شُبِّهَتِ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَجُلٍ نَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ وَمَا يُحِبُّ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذِ انْتَبَهَ»(٢)

قال تعالى تقريعًا لمن ضيَّع عمُرَه هباءً: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦] وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ [الروم:٥٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النجم:٢٩].

قال ابن القيم: «وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا»

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة [١ / ١٨٧]

(٢) ذم الدنيا [ص ٤] لابن أبي الدنيا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، صفة الصفوة [٣ / ٣٠٧] الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ – ١٩٧٩م

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩].

ففي هذه الآية أخبرنا سبحانه أن استحباب الحياة الدنيا وإيثارها على الآخرة من أعظم أسباب الكفر واستحقاق النار؛ بل والخلود في النار

وبرهان ذلك أن كثيرًا من الناس لم يحملهم على الكفر وترك الشرائع إلا فتنتهم بالدنيا وزينتها، فمن أجلها تركوا الصلاة، ومنعوا الزكاة، وبخلوا بحق الله عليهم، ومن أجلها سفكوا الدماء وأكلوا الأموال بالباطل، وقطعوا الأرحام، وارتكبوا الفواحش والمنكرات، وعاثوا في الأرض فسادًا، إلى غير ذلك من شرورها

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى مُغَيْرِبَانِ الشَّمْسِ، حَفِظَهَا مِنَّا مَنْ حَفِظَهَا، وَنَسِيَهَا مَنْ نَسِيَ: فَحَمِدَ اللهَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»(١)

وعن أَبُي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا**»(٢)

---

(١) أخرجه مسلم [٤ / ٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢]،باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء وأحمد [١٧ / ٢٢٧ رقم ١١١٤٣]

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي [٤ / ٥٦١ رقم ٢٣٢٢] باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عَزَّوَجَلَّ، وابن ماجه [٥ / ٢٣١ رقم ٤١١٢] بَابُ مَثَلِ الدُّنْيَا

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنيا سِجنُ المؤْمِنِ، وجَنَّةُ الكَافِرِ**»(١)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**»

وعن عَمْرو بْن عَوْفٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا..... وقال في آخره: «**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، «وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»** وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»

كان بعض الصالحين يقول لأصحابه: «انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة، فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم»(٢)،

كتب الحسن البصري إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز كتابا فيه:

«أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، وإنما أُنزل إليها آدم عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين؛ فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، فاحذر هذه الدنيا الغرارة الخداعة، سرورها مشوب بالحزن، فلو أن الخالق لم يخبر عنها خبرًا، ولم يضرب لها

(١) أخرجه مسلم [٤ / ٢٢٧٢ رقم ٢٩٥٦] كتاب الزهد والرقائق، وأحمد [١٤ / ٤٤ رقم ٨٢٨٩]

(٢) ذكره أبو طاهر السِلفي في معجم السفر (ص٤٥٣)

مثلًا لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عنها زاجر؟.

فما لها عند الله قدر ولا وزن، ما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عُرضت على نبينا محمد مفاتيحُها وخزائنها، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه.

زواها الله عن الصالحين اختيارا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها؟، ونسي ما صنع الله بمحمد عليه الصلاة والسلام حين شدَّ على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بُسِطَ له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه».

قال الشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذمّ الدّنيا والتّمسّك بها:

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فإني طَعمتُهَا ∴ وَسِيْقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
فَلم أَرَهَا إِلاَّ غُرُورًا وَبَاطِلًا ∴ كَمَا لاَحَ في ظَهْرِ الفَلاةِ سَرَابُهَا
ومَا هِيَ إلاَّ جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ ∴ عَلَيْهَا كِلاَبٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا
فإنْ تَجْتَنِبْها كُنْتَ سِلْمًا لأَهْلِهَا ∴ وإنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلاَبُهَا

عن أنس بن مالك قال: جاء ملك الموت إلى نوح فقال: «يا أطول النبيين عمرًا كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتا له بابان فقام وسط البيت هنية ثم خرج من الباب الآخر».

النوع الخامس والعشرون:

شرك التعظيم

اعلم علمك الله الخير:

أن التعظيم من أعظم العبادات القلبية، وكمال التعظيم لا يكون إلا لله سبحانه، فهو الذي اكتملت عظمته بكل وجه من الوجوه، فلا يدركه نقص ولا عيب في شيء في ذاته أو صفاته أو أسمائه أو أفعاله الكونية أو الشرعية.

«وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته وأقوالهم تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة»(١).

ما هو التعظيم؟

التعظيم هو غاية التقديس، وهو امتلاء القلب بالإجلال والهيبة والاحترام والتوقير للمعبود

(١) مدارج السالكين [٢ / ٤٩٥]

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

فالله سبحانه له المثل الأعلى في السموات والأرض

معنى المثل لغة[1]:

المَثَل، والمِثْل، يستعمل حقيقة في ثلاثة معان:

الأول: الشبيه والنظير، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٨]. أي أن قول مشركي العرب نظير وشبيه قول من قبلهم من اليهود والنصارى في العتو والمكابرة.

الثاني: المثل المضروب، ومنه كُتُبُ الأمثال

الثالث: الصفة، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ﴾ [الرعد:٣٥]، أي صفة الجنة التي وعد المتقون، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح:٢٩]، أي صفتهم في التوراة والإنجيل.

معنى المثل الأعلى اصطلاحًا:

اختلف العلماء في تفسير المثل الأعلى على أربعة أقوال:

---

(١) انظر: حقيقة المثل الأعلى وآثاره [ص ١١ وما بعدها] باختصار وتصرف

الأول: أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وكثير من أئمة التفسير(١)

الثاني: أن المثل الأعلى بمعنى: شهادة أن لا إله إلا الله، أو التوحيد، أو الإخلاص والتوحيد أو ما يكون في قلوب أولياء الله من معاني الإيمان، أو ما ضربه الله للتوحيد والشرك من الأمثال، وتؤثر هذه الأقوال ونحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد ومحمد بن المنكدر وغيرهم(٢)

الثالث: أن المثل الأعلى بمعنى النزاهة عن المثل إما مطلقًا، كما يؤثر عن ابن عباس، **أو مقيدًا بصفة الولد،** كما ذهب إليه ابن الجوزي ومن وافقه، اعتمادًا على سباق المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٥٧-٦٠].(٣)

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٧٣، ٤٨١)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٢٤، ١٠/ ١١٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٤٥٩، ٦/ ٢٩٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٤/ ١٢٥، ١١/ ٢١/ ٣٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٧٧)، تفسير البغوي (٣/ ٧٣، ٤٨١)، تفسير القرطبي (١٠/ ١١٩، ١٤/ ٢٢)، الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ١٠٣٣، ١٠٣٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣١)، الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٢١).

(٣) انظر: (تفسير الطبري ١١/ ٢١/ ٣٨)، الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٢١).

الرابع: أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا وما تستلزمه من معاني الإيمان قولاً وعملاً.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه»(١)

وهذا القول يعم جميع الأقوال المتقدمة في تفسير المثل الأعلى، ولا محذور في ذلك، لأن اختلاف عبارات السلف في هذا المقام اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

لوازم ومقتضيات التعظيم؟

اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن من لوازم ومقتضيات التعظيم ما يلي:

١ ـ **اعتقاد الكمال المطلق لله تعالى،** وهو عبارة عن جميع صفات الكمال الوجودية المحضة التي لا تستلزم نقصا ولا تشعر به بوجه من الوجوه. وثبوت هذه الصفات لله تعالى هو مقتضى الفطرة والعقل والنقل.

٢ ـ **إثبات ما أثبته الله** عَزَّوَجَلَّ **لنفسه** من الأسماء الحسنى والصفات العليا من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

٣ ـ **تنزيه الله تبارك الله تعالى عما لا يليق به** من صفات النقص كالظلم والجور والنسيان والتعب والغفلة وغيرها.

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠١٩ – ١٠٣٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].

٤ ـ **تنزيه الله تعالى عن جميع صفات النقص النسبي**، وهي ما كانت نقصا في الخالق كمالا في المخلوق، كالأكل والشرب والصاحبة والولد وأدوات ذلك كله

كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤]، وقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣].

٥ ـ **تعظيم ما عظمه الله تعالى**، وتوقيره واحترامه؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

٦ ـ **عدم مجاوزة الحد في تعظيم الأشخاص** أو الأماكن أو الأزمنة أو الذوات فوق القدر المطلوب شرعًا؛ قال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١)

٧ ـ **الاحتراز من تقديس أو تعظيم ما لم يأذن الله بتعظيمه**؛ فإن هذا من القول على الله بغير علم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣] وهؤلاء كانوا علماء وصالحين في قوم نوح

(١) أخرجه البخاري [٤ / ١٦٧ رقم ٣٤٤٥] بَاب قَوْلِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

فلما ماتوا عظمهم قوم نوح وقدسوهم حتى عُبدوا من دون الله تعالى.

٨ ـ **تعظيم ما نهى الله عنه**، ويكون ذلك باجتنابه كالشرك بأنواعه والكبائر كالزنا والقتل والسرقة وشرب الخمر وغيرها فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِم الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)

٩ ـ **عدم معارضة الأمر والنهي**، سواء كان بالهوى أو أحكام وموازين البشر، أو بالعدول عن منهجهما الوسطي إلى ترخُّص جافٍّ، أو تشدُّد غالٍ، أو كان بتأويلٍ فاسد يخرج الأمر والنهي والأحكام عن مواردها التي أرادها الله وأرادها رسوله ـ ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

١٠ ـ **عدم المعارضة بين حُكْمه القدري وحُكْمه الشرعي**؛ فما اقتضت حكمته أن يكون معظَّمًا فهو المعظَّم؛ من الأماكن والأوقات والأشخاص، وهو مقتضى حُكْمه الشرعي، وكل ذلك مستقيم لا عوجَ له؛ لأنه صادر عن عين الحكمة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [١ / ٩٣ رقم ٤٢٧] بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ وَمَا يُكْرَهُ مِن الصَّلَاةِ فِي الْقُبُورِ**». ومسلم [١ / ٣٧٦ رقم ٥٢٩] باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

ومن عارضَ القدر بالشرع أو عارضَ الشرع بالقدر فهو على ضلالة، والخلق والأمر كله لله تعالى.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

الشرك في التعظيم

اعلم أن «غاية التعظيم وكماله لا يكون إلا لله وحده لا شريك له، لما له من صفات العظمة ونعوت الجلال والكمال، فأسماؤه حسنى كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وأفعاله كلها حكمة كما وصف نفسه فقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦] وشرعه كله عدل كما قال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] ونعمُه سابغةٌ على عباده قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم:٣٤] **فهو المستحق وحده لأعظم التقديس وتمامه، فهو المحمود على كل شيء لذاته، وأما غيره سبحانه فإنما يستحق من التعظيم بحسب ما له من مكانة عند الله، وبالطريقة التي شرعها الله لتعظيمه.**

وكل تعظيم خرج عن ذلك فهو تعظيم محرم لا يأذن به الله»(١).

كيف يقع شرك التعظيم؟

جاءت الشريعة المباركة بتعظيم بعض الأشخاص واحترامهم، وكذا بعض الأماكن والبقاع وكذا الأزمنة والأوقات وهكذا

(١) انظر: مقال على موقع الدرر السنية بعنوان: (تقديس الأشخاص والأشياء)

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

والشعائر جمع شعيرة، والشعيرة: كل ما أعلم الله بتعظيمه وفضله وشرفه فمثال ذلك في الأشخاص: كالملائكة والأنبياء والرسل والعلماء.

وفي الأماكن: فقد عظم الله تعالى الثلاث مساجد ومكة والمدينة والمساجد والطور.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦] [الحج:٢٦]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨].

ومن شعائر الله العظيمة ومناسك عبادته: الصفا والمروة التي شرع الله السعي بينهما، وجعله ركنًا لا يتم الحج إلا به، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

وفي الأوقات: عظم الله أمر أيام الحج، وأيام التشريق، وشهر رمضان، والاثنين والخميس من كل أسبوع، والأمر نفسه في العيدين، والجمعة، والاجتماع لصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء، ونحو ذلك.

وفي الذوات والأشياء: كالمصحف وما ذكر فيه اسمه وكتب العلم والأطعمة المحترمة وغيرها.

فائدة: التلازم بين تعظيم حرمات الله وتعظيم شعائره:

«وينبغي أن يُعلم أن هناك تلازمًا بين تعظيم حُرُمات الله وتعظيم شعائره، بحيث يشمل أمرين أساسيين:

الأول: تعظيم ما أمر الله بتعظيمه، مثل: البيت الحرام، ومشاعر الحج، والهدي، والقرآن الكريم، والرسول محمد -ﷺ-، وسنّته، والصلاة والصيام والحج والزكاة، والمسلم في دمه وماله وعرضه.. إلخ.

فهذه تُعظّم بأمرين:

١ ـ تعظيمها واحترامها وطاعة الله فيها.

٢ ـ عدم انتهاك حُرمتها بأيِّ نوع من أنواع الانتهاك بقول أو فعل.

الثاني: تعظيم ما حرّمه الله ونهى عنه، مثل: الشرك بالله والظلم، وقتل النفس بغير حق والزنا والربا، والسحر والعقوق... إلخ.

وهذه ـ أيضًا ـ تُعظّم بأمرين:

١ ـ تعظيم وتأكيد هذه الحرمة في القلوب وفي الألسنة؛ لأن الله هو الذي حرَّمها.

٢ ـ أن لا تُنتهك فعلًا باقتراف شيء منها قولًا أو فعلًا»(١)

---

(١) من مقال للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود بعنوان «تعظيم حرمات الله»

وإنما يقع شرك في التعظيم في عدة صور:

الأولى: إذا جاوز العبد حده بتعظيم ما أذن الشرع بتعظيمه إلى درجة الغلو.

الثاني: تعظيم وتقديس أشياء لم يرد الشرع بتعظيمها.

صور من شرك التعظيم:

١ ـ **تعظيم الأشخاص** والصور للعلماء والمصلحين، وهو سبب أول شرك وقع في الأرض.

٢ ـ **تعظيم القبور**: وإيقاد السُرُج عليها، وبناء الأضرحة عليها، والطواف حولها وتقديسها وتقديم النذور والذبائح والسجود لها.

٣ ـ **تعظيم الاجتماعات وأزمنة الموالد** والاحتفالات الشركية وتقديم تعظيمها أكثر من تعظيم الأعياد الشرعية كالعيدين وأيام التشريق وغيرها.

٤ ـ **تعظيم الجن وتوقيرها وطاعتها** فيما تأمر وتقديم الذبائح والدماء والخضوع لها.

٥ ـ **تقديس الأئمة وإضفاء العصمة عليهم** وتنزيههم عن النقائص والعيوب تمامًا.

٦ ـ **السخرية والاستهزاء بالدين** والشرائع والأحكام.

٧ ـ **الاستهزاء بالنبي** ﷺ أو بشيء من سنته أو هديه أو آل بيته أو زوجاته أو أصحابه وهكذا.

٨ ـ **تقديس القوانين الوضعية** وإضفاء القدسية على الدساتير والتشريعات البشرية.

٩ ـ **عدم الرجوع والاعتذار عن القواعد** والقرارات المصادمة للشرع، كقوانين مساواة المرأة بالرجل، وقوانين رعاية الشذوذ وتقريرها وقوانين الحرية المطلقة في سب الأديان وغيرها.

١٠ ـ إهانة كل ما فيه ذكر الله تعالى، كأوراق المصحف، أو الكتب الشرعية، أو الجرائد والمجلات المشتملة على آيات قرآنية أو اسم من أسماء الله تعالى، فإن كان عالمًا بوجود ذكر الله تعالى فيها وأهانها فلا يبعد أن يكون هذا ناقضًا من نواقض الإيمان؛ لفوات أصل التعظيم القلبي عنده.

وبالجملة فإن التعظيم رأس العبادات القلبية، وعليه تبنى وتتفرع، فاحفظ أيها العبد قلبك، وراقب إيمانك، وعضَّ على أصول معتقدك بالنواجذ.

الشرك السادس والعشرون:

كفر الولاء والبراء[١]

عقيدة الولاء والبراء من أهم الأصول الإيمانية التي تجب العناية بتحقيقها، فإن اللغط حولها والجدال فيها كثر جدًّا، والماكينة الإعلامية الخبيثة عكرت صفوها، وغيرتها في قلوب فئام من الناس؛ حتى حولتهم من الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين إلى موالاة أعداء الدين من اليهود والنصارى وغيرهم.

فعقيدة الولاء والبراء أصل في قبول إيمان العبد وقبول عبادته، وهي مقتضى معنى: لا إله إلا الله، ففيها ولاء وبراء، محبة وبغض، فـ«لا إله» براء وبغض من كل ما يعبد من دون الله تعالى من جميع أنواع المعبودات والآلهة الباطلة، و«إلا الله» ولاء ومحبة لله تعالى وما جاء من عنده من الشرائع

---

(١) للاستزادة ينظر: **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**، لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام** للفوزان، **المفصل في شرح آية الولاء والبراء** لعلي بن نايف الشحود، **الولاء والبراء والعداء في الإسلام** لأبي فيصل البدراني، **الولاء والبراء في الإسلام** لأبي عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري

والمرسلين والملائكة والمؤمنين وما تستلزمه هذه الكلمة وتدل عليه.

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦، ٧] فهاتان الآيتان ختام سورة الفاتحة وفيهما ترسيخ لهذه العقيدة عقيدة الولاء والبراء، فالمؤمن ولاؤه ومحبته للذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وبغضه وكراهيته وبراؤه من أعداء ذلك من ملل الكفر والشرك والإلحاد وعلى رأسهم اليهود والنصارى.

فمن قرأ الفاتحة من غير هاتين الآيتين لم تقبل منه، وصلاته باطلة بإجماع المسلمين؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، غَيْرُ تَمَامٍ**»(١) وقوله: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»(٢)

---

(١) أخرجه مسلم [١ / ٢٩٦رقم ٣٩٥] باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، وأحمد [١٢ / ٣٦٩ رقم ٧٤٠٦]

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [١ / ١٥١رقم ٧٥٦] بَاب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ، ومسلم ⇦=

فمن صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي باطلة غير مقبولة، وكذلك من أتى بإيمان وعبادات غير محقق لعقيدة الولاء والبراء فلن يقبل منه، وكانت عبادته عبثًا ولعبًا ومردودة عليه.

حقيقة الحب في الله والبغض في الله:

فالحب لله هو الحب للمؤمن من أجل دين الله وطاعته وامتثال أوامره لا لمصلحة دنيوية أو قرابة، والبغض عكسه، فهو بغض العاصي بسبب معصيته بقدر معصيته، وبغض الكافرين والبراء منهم، والبغض في الله درجات كما أن الحب في الله درجات، وأقل درجات الحب في الله هي سلامة الصدر من الغل والحسد والضغينة نحو من تحبه، وأعلى درجات المحبة في الله هي الإيثار.

الناس في ميزان الحب والبغض في الله:

«أصناف الناس بحسب الحب والبغض الديني ثلاثة إجمالًا:

القسم الأول: من يُحب جملة

وهو من آمن بالله ورسوله واستقام على دين الله كالرسل والأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم بإحسان، وهم درجات متفاوتة، علمًا بأن محبة عموم المؤمنين واجبة وأما محبة أفراد المؤمنين غير رسل الله وأنبياؤه فهي مستحبة غير واجبة في أعيانهم.

= [١ / ٢٩٦رقم ٣٩٤] باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها

❐ القسم الثاني: من يُحب من وجه ويُبغض من وجه

وهو المسلم الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيجب أن يوالى على قدر ما معه من الخير، ويُبغض على قدر ما معه من الشر، ولا يُخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي، ولا يُجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة، ولا يُجعل بغضه على ما معه من الشر قاطعًا وقاضيًا على ما معه من الخير، وعلى هذا فإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من البراءة والعقاب بحسب ما فيه من الشر.

❐ القسم الثالث: من يُبغض جملة

وهو من كفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبغض الكفار درجات متفاوتة، فكما يتفاوت حب أهل الإيمان بحسب رسوخهم وإمامتهم فيه، فكذلك تتفاوت معاداة وبغض الكفار والبراءة منهم بحسب رسوخهم وإمامتهم فيه، فالكافر المحارب للدين وأهله له أولى من بغض الكافر المسالم، علمًا بأن البغض في الله لأفراد الكفار المسالمين للدين وأهله مستحب، ويُجزئ عن بغضهم في الله عدم مودتهم على الأقل والبراءة منهم، وأما مجموع الكفار فيجب بغضهم في الله والعداوة لأهل الحرب منهم»[1].

واعلم أن الولاء والبراء متلازمان؛ فمن أحب في الله أبغض في الله، ومن

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام (ص: ٤٥)

والى في الله عادى لأجله، وهكذا، والضد بالضد

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

ففي هذه الآية حرم الله تعالى موالاة اليهود والنصارى؛ فإن هذا النوع من المحبة الشركية؛ لأنها تنقل العبد من حظيرة الإيمان إلى حظيرة الشرك والكفران.

ولهذا نهى الله تعالى عن هذه المحبة وهذه الموالاة القائمة على المحبة القلبية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣].

وصرح سبحانه وتعالى في آية الأحقاف أنه لا أحد في قلبه ذرة من إيمان يمتلئ قلبه بالمحبة والموالاة والوُدِّ لمن حادَّ الله ورسوله ﷺ بإظهار الكفر والشرك والمحادة

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ

كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «فلا يصح للمؤمن دينٌ إلا بموالاة أهل التوحيد، ومعاداةِ أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم، كما تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، وكما تبرأ نبينا محمد ﷺ وصحبُه من كفارِ قريش ومن حذا حذوهم، وهذه هي الموالاة للمؤمنين، المعاداة للمشركين التي هي أصل عُرَى الإيمان وأوثقها»(١)

قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أمَّا التعاونُ مع الإنجليزِ أثناء حَرْبِهم المُسلِمين بأيِّ نوعٍ من أنواعِ التعاوُنِ قَلَّ أو كَثُر، فهو الرِّدَّةُ الجامحةُ، والكُفرُ الصُّراحُ، لا يُقبَلُ فيه اعتذارٌ، ولا ينفَعُ معه تأوُّلٌ، ولا ينَجِّي من حُكمِه عَصَبيَّةٌ حَمقاءُ، ولا سياسةٌ خَرقاءُ، ولا مجاملةٌ هي النِّفاقُ، سواءٌ أكان ذلك من أفرادٍ أو حكوماتٍ أو زُعماءَ، كُلُّهم في الكُفرِ والرِّدَّةِ سواءٌ، إلَّا من جَهِلَ وأخطأ، ثم استدرك أمْرَه، فتاب وأخذ سبيلَ المؤمنين؛ فأولئك عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم إن أخلصوا في قلوبِهم للهِ، لا للسِّياسةِ ولا للنَّاسِ)(٢)

(١) انظر الدرر السنية (ج٢ ص٩٥)

(٢) (كلمة الحق ص ١٣٠).

من مظاهر الولاء المحرم للكفار:

وهذا المظاهر لكل واحد منها حكمه، فمنها ما هو ناقض من نو اقض الإيمان، ومنها ما هو كبيرة من الكبائر، ومنها ما هو محرم

١ - الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة.

٢ - التولي العام لهم واتخاذهم أعوانًا وأنصارًا وأولياء أو الدخول في دينهم، أو الرضا بدينهم وعدم الإنكار عليهم.

٣ - إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم.

٤ - الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر أو التحاكم إليهم دون كتاب الله.

٥ - الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين.

٦ - اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين والركون إليهم.

٧ - التسمي بأسمائهم.

٨ - الاستغفار لهم والترحم عليهم بعد موتهم.

٩ - تعظيمهم وإطلاق ألقاب التبجيل والتعظيم لهم، خاصة تلك الألقاب التي لها خلفية دينية.

١٠ - التشبه بهم في الملبس والكلام ومما هو من خصائصهم دينًا ودنيا.

١١ - الإقامة في بلادهم لغير حاجة.

١٢ - التأريخ بتاريخهم بلا حاجة.

١٣ - مشاركتهم في أعيادهم الدينية أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها.

الباب الثالث :

الشرك الأصغر وأنواعه

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : مقدمات وفوائد.
- الفصل الثاني : أنواع الشرك الأصغر.

الفصل الأول

تعريف الشرك الأصغر

- **علامات وقرائن يتميز بها الشرك الأصغر من الشرك الأكبر.**
- **هل الشرك الأصغر إذا مات عليه العبد ولم يتب منه داخل تحت المشيئة أم لا يغفر؟**
- **الأدلة على كون الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر؟**
- **أقسام الشرك الأصغر.**
- **فائدة: في أن كل شرك منه أصغر وأكبر من جنسه.**

تعريف الشرك الأصغر

الشرك الأصغر هو: ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر(١)

أو هو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، أو ذريعة له، أو سببًا فيه.

وهذا يكون في الغالب من جهتين:

---

(١) انظر حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم على كتاب التوحيد ص ٥٠.

الأولى: من جهة التعلق ببعض الأسباب التي لم يأذن الله جَلَّوَعَلَا بها، كتعليق الكَفِّ والخرز والتمائم ونحو ذلك على أنها سبب للحفظ، أو أنها تدفع العين، والله تعالى لم يجعلها سببًا لذلك لا شرعًا ولا قدرًا.

الثانية: من جهة المبالغة في تعظيم بعض الأشياء

، لكن لا يوصِّلها إلى مقام الربوبية، كالحلف بغير الله، وكقول: لولا الله وفلان، وأشباه ذلك.

علامات وقرائن يتميز بها الشرك الأصغر من الشرك الأكبر:

ضابط الشرك هو: صرف ما هو حق خالص لله تعالى إلى غيره، وهو إما واقع في خصائص الربوبية أو خصائص الألوهية، والذي يخص بحثنا هو ما يقع في خصائص الربوبية، أي الشرك الاعتقادي الخبري، وهذا عام في الكفر الاعتقادي الأكبر والأصغر.

هذا وقد وضع العلماء ضوابط وقواعد يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر عند وروده في النصوص الشرعية فمن هذه الضوابط ما يلي(١):

١- أن ينص النبي ﷺ صراحة على أن هذا الفعل من الشرك الأصغر: فعن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم **الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاء، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِم اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ**

(١) انظر: مقال (ما هي حقيقة الشرك، وما هي أقسامه؟) من موقع سؤال وجواب، بتصرف يسير، وشرح نواقض الإسلام (ص٥٣٥)

بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»(١)

٢- أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكَّرًا

ـ أي غير مقترن بالألف واللام ـ فهذا في الغالب يقصد به الشرك الأصغر، وله أمثلة كثيرة كقوله ﷺ: «**إن الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَة شِركٌ**»(٢)

فالمقصود بالشرك هنا الأصغر دون الأكبر.

٣- أن يفهم الصحابة من النصوص الشرعية أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر،

ولا شك أن فهم الصحابة معتبر، فهم أعلم الناس بدين الله عَزَّوَجَلَّ، وأدراهم بمقصود الشارع. ومن أمثلة ذلك: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» ثَلاثًا، وَمَا مِنَّا إِلا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّل»(٣)

فجملة (وَمَا مِنَّا إِلا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّل) هذه من كلام ابن مسعود

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٤٢٨ و٤٢٩) وابن حبان (٢٤٩٩) والبغوي في شرح السنة رقم (٤١٣٥)، وإسناده على شرط مسلم

(٢) سيأتي تخريجه.

التمائم: شيء يعلق على الأولاد كالخرز ونحوه يزعمون أن ذلك يحفظه من العين.

التِّوَلَة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد [٦ / ٢١٣]، وأبو داود [٤ / ٢٤ رقم ٣٩٢١] باب فِي الطِّيَرَةِ، وابن ماجه [٢ / ١١٧٠ رقم ٣٥٣٨] باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة.

كما بين ذلك جهابذة المحدثين فهذا يدل على أن ابن مسعود رضي الله عنه فهم أن هذا من الشرك الأصغر، لأنه لا يمكن أن يقصد وما منا إلا ويقع في الشرك الأكبر، كما أن الشرك الأكبر لا يذهبه الله بالتوكل بل لابد من التوبة.

٤- أن يفسر النبي ﷺ لفظ الشرك أو الكفر بما يدل على أن المقصود به الأصغر وليس الأكبر

فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِن اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(١)

فالكفر هنا جاء تفسيره في الرواية الأخرى عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالَ: «**مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ**» فبين هنا أن من نسب إنزال المطر إلى الكواكب باعتبارها سببًا لنزوله ـ والواقع أن الله لم يجعلها سببًا لذلك ـ فكفره كفرٌ بنعمة الله عليه، ومعلوم أن كفر النعمة كفر أصغر أما من اعتقد أن الكواكب هي التي تتصرف في الكون وأنها هي التي تنزل المطر فهذا شرك أكبر» انتهى.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٢ / ٣٣ رقم ١٠٣٨] بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، ومسلم [١ / ٨٣ رقم ٧١] باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

٥ ـ كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه.

كالتطير والتوكل الشركي الأصغر، ونسبة الحوادث لغير الله تعالى وغير ذلك.

٦ ـ كل ما كان من قبيل التعلق بالأسباب والاعتماد عليها ونسبة الحوادث لغير الله، كالتبرك الشركي، والرقى والتمائم وغيرها.

٧ ـ كل ما كان من قبيل العمل واللفظ من غير أن يقارنه اعتقاد.

هل الشرك الأصغر إذا مات عليه العبد ولم يتب منه داخل تحت المشيئة أم لا يغفر؟

الاتفاق على أن مرتكب الشرك الأصغر غير خارج من الملة، وأنه لا يخلد في النار، ولكن هل يكون تحت المشيئة إن لم يتب كما هو حال أصحاب الكبائر الآخرين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، أو يكون تحت الوعيد بأن لا يغفر له إذا لم يتب منه، لأنه قد أطلق عليه بأنه أشرك؟ اختلفوا فيه على قولين:

القول الأول: أنه تحت المشيئة، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما يظهر ميل الإمام ابن القيم إليه في (الجواب الكافي)

القول الثاني: أنه تحت الوعيد، وهو الذي مال إليه بعض أهل العلم.

وتفصيل ذلك كما يلي:

أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يميل إلى ذلك حيث يقول: «وأعظم الذنوب عند الله الشرك به وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون

ذلك لمن يشاء، والشرك من جليل ودقيق، وخفي وجلي»(١).

وقال أيضًا: «وقد يقال: الشرك لا يُغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن، وإن كان صاحب الشرك ـ أي الأصغر ـ يموت مسلمًا، **لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه**، وإن دخل بعد ذلك الجنة»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة، فالمغلظة الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، **والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء**»(٣) فواضح أن ابن القيم يذهب إلى أن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة.

وقال أيضًا: «الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.... وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للمخلوق»(٤)

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من لحظ إلى عموم الآية ـ يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ ـ وأنه لم يخص شركًا دون شرك، أدخل فيها الشرك الأصغر، وقال: إنه لا يغفر، بل لا بد أن يعذب صاحبه؛ لأن من لم يغفر له لا بد أن يعاقب، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ولا بخلوده في النار، وإنما يقولون: يعذب عذابًا بقدر شركه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة.

---

(١) جامع الرسائل (٢/ ٢٥٤).
(٢) الرد على البكري (ص ١٤٦)
(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٩٨).
(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٣٩)

وأما من قال: إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية، وإنما هو تحت المشيئة، فإنهم يحتجون بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، فيقولون: كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]؛ لأن العمل هنا مفرد مضاف ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات والسيئات التي هي دون الشرك الأكبر؛ لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع»[1]

الأدلة على كون الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر؟

اعلم علمك الله الخير:

أن الذنوب ليست على درجة واحدة[2]، بل متفاوتة في الإثم، وكما أن الحسنات متفاوتة الأجور والفضل والدرجات؛ فكذلك السيئات والذنوب متفاوتة المأثم والوزر والدركات، فإذا علمت هذا فاعلم أن الشرك الأصغر محرم بالإجماع، بل هو من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، لكنه لا يخرج من

(١) عن كتاب الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العباد (ص ١٨٨، ١٨٩)

(٢) للمؤلف كتاب بعنوان (مراتب الذنوب) مفيد جدًّا في هذا الباب، يسر الله إخراجه وطبعه ونشره.

ارتكبه عن ملة الإسلام، فهو أكبر من القتل والزنا وشرب الخمر والسرقة وغيرها

والأدلة على هذا كثيرة، فمنها:

❐ أولاً: من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] ولا شك أن الآية عامة في الشرك الأكبر والأصغر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]

نعم الآية ذكرت في معرض الحديث عن الشرك الأكبر، إلا أن بعض السلف كابن عباس رضي الله عنهما كانوا يحتجون بها في الأصغر؛ لأن الكل شرك

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر:١٠].

قال مجاهد: هم أهل الرياء. ومعلوم أن الرياء هو رأس الشرك الأصغر.

❐ ثانيًا: من السنة

قوله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١)

---

(١) أخرجه مسلم [٤ / ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥] باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء، والترمذي [٥ / ٣١٤رقم ٣١٥٤]، وابن ماجه [٢ / ١٤٠٥ رقم ٤٢٠٢] باب الرياء والسمعة،

وقوله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»(١)

وقوله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَسِيحِ عِنْدِي**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِمَكَانِ رَجُلٍ**»(٢)

❐ **ثالثًا: فهم الصحابة** رضي الله عنهم

فإن فهم الصحابة معتبر وهو مقدم على فهم غيرهم؛ إذ هم بالنظر والاستدلال أحرى وأقوى من غيرهم

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيرِهِ صَادِقًا**»

ووجه الاستدلال: أن الحلف بالله كاذبًا كبيرة من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر، وإلا ما أقدم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على التصريح بمثل هذا القول، والله أعلم.

رابعًا: أن الشرك الأصغر إذا مات العبد عليه ولم يتب منه مختلف فيه بين كونه داخلًا تحت المشيئة فيغفر أو ليس داخلًا تحتها فلا يغفر ويخلد صاحبه في النار كالشرك الأكبر.

وأما الكبائر فإن العبد إذا مات عليها ولم يتب منها داخل تحت المشيئة

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٩ / ٣٩ رقم ٢٣٦٣٠] والطبراني (٤/ ٢٥٣). من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه. قال العراقي في ((المغني)) (٣/ ٣٦١): رجاله ثقات. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/ ١٠٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٣٠ رقم ١١٢٧٠)، ورواه ابن ماجه (رقم ٤٢٠٤) واللفظ له. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٧): إسناده حسن.

بإجماع أهل السنة والجماعة، إن شاء الله عفا عنه ورحمه برحمته وكرمه، وإن شاء عذبه بعدله غير ظالم له، وإن دخل النار فإنه يعذب بقدر ذنوبه ثم مرجعه إلى الجنة.

وما كان مختلفًا فيه بين المغفرة وعدمها أعلى رتبة من المتفق على كونه تحت المشيئة(١).

❐ خامسًا: أن جنس الشرك أكبر من جنس المعاصي والذنوب

ففي الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ»(٢).

فكون العبد يجعل مع الله إلها آخر يتقرب إليه بأنواع من العبادات أعظم من كونه يثبت الألوهية لله تعالى وإن كان يعصيه بأنواع من كبائر الذنوب.

ولذلك كان المشركون أعظم جرمًا وإثمًا من أهل الكتاب، وإن كانوا جميعًا كفارًا مخلدين في النار، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ

---

(١) وهذه قاعدة مفيدة جدًّا في باب الترجيح، وهي أن المختلف فيه أعلى رتبة من المتفق عليه إذا كان في رتبة أدنى منه، سواء كان هذا في الحسنات أو السيئات، مثال هذا: الوتر مختلف فيه بين الوجوب والاستحباب، فهو آكد أنواع المستحبات؛ لأنها متفق على استحبابها، وترك الصلاة أعظم ذنبا من القتل؛ لأن ترك الصلاة مختلف فيه بين كونه كفرًا مخرجًا من الملة أو كبيرة من الكبائر، لكن القتل متفق على كونه كبيرة من الكبائر....وهكذا في مسائل عديدة.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٦ / ١٨ رقم ٤٤٧٧] بَاب قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ومسلم [١ / ٩٠ رقم ٨٦] باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده.

أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٢-٥].

وجه الدلالة من الآيات: أن الروم (وهم من أهل الكتاب) حين هزمت من الفرس (وهم مشركون عباد النار) أساء ذلك المؤمنين؛ فبشرهم الله بأن الغلبة ستكون للروم في بضع سنين، فوقع ما بشر الله به؛ وحينذاك فرح المؤمنون بنصر الله للروم ـ لأن لهم كتابًا وهو الإنجيل ـ على المشركين الخلَّص عباد النار وهم المجوس؛ فدلَّ هذا على أن جنس المشركين شرٌّ من الكفار من أهل الكتاب، وكذلك جنس الشرك صغيره وكبيره أعظم إثمًا وجرمًا من جنس المعاصي والذنوب.

❐ سادسًا: أن الشرك الأصغر ذريعة إلى الشرك الأكبر

فإن العبد إذا أكثر منه جرَّه إلى الشرك الأكبر ولابد، وأما المعاصي والذنوب فمهما كثرت فإن العبد إذا تاب منها تاب الله عليه؛ وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ عَمِلْتَ قِرَابَ الْأَرْضِ خَطَايَا وَلَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، جَعَلْتُ لَكَ قُرَابَ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً**»(١).

أقسام الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر له أقسام ثلاثة:

❐ أولاً: الشرك الأصغر الاعتقادي

وهو الذي يقع بالقلب، وهذا النوع أشد وأخطر من النوعين الآخرين،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٥ / ٢٤٠ رقم ٢١٣١١] والبزار في مسنده (٣٩٩٠)، والحاكم (٤/ ٢٤٦) والبخاري في خلق أفعال العباد (رقم ٤٣٣)

ومنه:

١ـ الرياء.

٢ ـ التعلق بالأسباب

٣ ـ المحبة الشركية الصغرى.

٤ ـ التبرك الشركي.

٥ ـ إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله قريبًا.

❐ ثانيًا: قولي: وهو ما يقع باللسان

ويأتي في الدرجة بعد الشرك الاعتقادي؛ لكونه أخف وأسرع من الشرك العملي، فما أسهل وقوعه على الألسنة، وله صور كثيرة منها:

١ - الحلف بغير الله.

٢ - قول: (ما شاء الله وشئت) ونحوها مثل: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، أو يقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذر لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلانًا ونحو ذلك.

٣ ـ ومن شرك الألفاظ ما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، حيث قال رضي الله عنه: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط

في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان) هذا كله شرك». رواه ابن أبي حاتم.

❐ ثالثًا: فعلي: وهو ما كان بأعمال الجوارح

وله صور كثيرة منها:

١- إتيان الكهان والمشعوذين (إذا لم يعتقد وجود علم الغيب لديهم).

٢- الاستعانة على كشف السارق ونحوه بالعرافين، (إذا لم يصاحبه اعتقاد علمهم الغيب).

٤- تصديق المنجمين والرمالين وغيرهم من المشعوذين.

٥- لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها).

٦ ـ تعليق التمائم والخرز وغيرها.

فائدة: في أن كل شرك منه أصغر وأكبر من جنسه

ما من شك أن كل شرك سواء كان اعتقاديا أو قوليا أو فعليًا فمنه أصغر وأكبر، فالشرك الأصغر هو المِرْقاة والذريعة إلى الشرك الأكبر؛ فإذا ذُكِرَ الشرك الأكبر فهو متضمن قطعًا للشرك الأصغر الذي من جنسه.

لكن هناك أنواع من الشركيات يغلب عليها أحدهما؛ فلذلك يدرجها العلماء ضمن أحد أنواع الأكبر أو الأصغر على حسب الغالب في أحواله، مثال ذلك:

الحلف بغير الله تعالى: يدرجه العلماء في الحديث عن الشرك الأصغر القولي؛ لأنه الغالب فيه، وإلا فإن الحلف بغير الله تعالى منه أكبر وأصغر، فهو أصغر بمجرد قسمه بغير الله تعالى، وأكبر إذا اعتقد أن المحلوف به يملك نفعًا للصادق أو ضرًّا للكاذب.

التبرك الشركي: يدرجه العلماء في الحديث عن الشرك الأصغر الاعتقادي؛ لأنه الغالب فيه، وإلا فشرك التبرك منه أصغر وأكبر، **وتحقيق ذلك**: إن تبرَّكَ بشيء لم يأذن به الشرع فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا في البركة سببًا بدون إذن من الشرع، وقد يكون أكبر: إذا اعتقد أن المتبرَّكَ به يملك البركة والنفع لذاته وهو خالق لها من دون الله تعالى.

النذر: يدرجه العلماء في الحديث عن الشرك الأصغر العملي؛ لأنه الغالب فيه، وإلا فالنذر الشركي منه أصغر وأكبر، وتحقيق ذلك: أن مجرد النذر للمخلوق شرك أصغر؛ فإن تعلق به الاعتقاد، بحيث يعتقد الناذر أن المنذور له يملك النفعَ لمن صَدَقَه النذرَ، والضرَّ لمن أخلف معه النذر، فهذا شرك أكبر.

وهكذا في صور كثيرة، وهذا ما جريتُ عليه هنا؛ فإن كل شرك أكبر اعتقادي ذكرته ـ من قبل في الجزء الأول من الكتاب ـ له من جنسه شرك أصغر، ولكني هنا في أنواع الشرك الاعتقادي الأصغر ذكرت ما يذكره العلماء ضمن الشرك الاعتقادي الأصغر بناء على الغالب فيه.

الفصل الثاني:

أنواع الشرك الأصغر

النوع الأول:

شرك النية والإرادة والقصد

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وأخبرنا سبحانه أنه من أراد الله ورسوله والدار الآخرة فإن أجره عظيم كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٩].

وفي الصحيحين: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ**

إِلَيْهِ»(١).

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الآية فأجاب بما حاصله: «ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه: وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١/ ٦ رقم ١) كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَوْلُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، ومسلم (٣/ ١٥١٥رقم ١٩٠٧) بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة يقصد بها مالًا، مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما يتعلم الرجل لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفّره كفرا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضًا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره. وكان السلف يخافون منها، فقال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلّص وأهل النار

الخلص، ويسكت عن.. صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله»(١)

ولا شك أن الشرك الواقع في القصد والإرادة أنواع كثيرة؛ كما **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «**وَأَمَّا الشَّرَكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ**.

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]. وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ أَسَفَهِ السُّفَهَاءِ»(٢).

وهذا الأنواع تحتاج إلى مزيد تفصيل وبسط، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى.

(١) موسوعة توحيد رب العبيد (٧/ ٢٠٤)

(٢) الداء والدواء (ص: ١٣٥)

النوع الثاني:

الرياء

وقد سماه النبي ﷺ: الشرك الخفي

والرياء مأخوذٌ من: الرؤية، وذلك بأن يزيِّن العمل ويُحَسِّنه من أجل أن يراه النّاس ويمدحوه ويُثنوا عليه، أو لغير ذلك من المقاصد، فهذا يسمّى رياءً، لأنه يقصد رؤية النّاس له.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ**»

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قال النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَسِيحِ عِنْدِي**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِمَكَانِ رَجُلٍ**»(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد [١٧ / ٣٥٥ رقم ١١٢٥٢]، والبيهقي في الشعب [٩ / ١٥٥ رقم ٦٤١٣]

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**»(١)

عن عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ،، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا نَعَايَا الْعَرَبِ، يَا نَعَايَا الْعَرَبِ ثَلَاثًا، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ**»(٢)

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالَ: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمِ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً أَوْ خَيْرًا**»(٣)

قال الطِّيبي عن الرياء: «هو من أضر غوائل النفس، وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعباد، والمشمِّرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد [٢٩ / ٤١٨ رقم ١٧٨٨٨]، وابن ماجه [٢ / ١٤٠٦رقم ٤٢٠٣] باب الرياء والسمعة والبيهقي في الشعب [٩ / ١٤٤]

(٢) **حسن**: البيهقي في الشعب [٩ / ١٥٠ رقم ٦٤٠٥] وقال الهيثمي في المجمع [٦ / ٢٥٥ رقم ١٠٥٣٥]رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الله بن بديل بن ورقاء، وهو ثقة.

(٣) **صحيح**: البيهقي في الشعب [٩ / ١٥٤ رقم ٦٤١٢]

مخلصًا من مشقه المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمده الله وحده، فأحبت مدحهم، وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ولذلك قيل: «آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حبُّ الرياسة»

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله».

الفرق بين الرياء والسمعة:

عن جُنْدَبٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»(١)

«الفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء فيما يُرى من الأعمال التي ظاهرها لله وباطنها لغيره كالصلاة والصدقة. أما السمعة فهي لِمَا يُسْمَع من الأقوال التي ظاهرها لله، والقصد منها لغير الله كالقراءة والذكر والوعظ وغير ذلك من الأقوال، وقصد المتكلِّم أن يسمع النّاس كلامه فيثنوا عليه، ويقولوا هو جيِّد في الكلام، جيِّد في المحاورة، جيِّد في الخُطْبة، إنه حسن الصوت في

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري [٨ / ١٠٤ رقم ٦٤٩٩] بَاب الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، ومسلم [٤ / ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٦]

القرآن، إذا كان يحسِّن صوته بالقرآن لأجل ذلك، فإذا كان يُلقي المحاضرات والندوات والدروس من أجل أن يمدحه النّاس فهذا سُمعة»(١)

وللتسميع معنى آخر: وهو أن المرء يعمل العمل الصالح لا يراه أحد فيصبح يحدث الناس يريد بذلك أن ينزل من قلوبهم منزلة، وهو نفس قصد المرائي، لكن المرائي يحسِّن العبادة من أجل رؤية الناس له لينزل من قلوبهم منزلة، والمسمِّع يتحدث من أجل أن ينزل من قلوبهم منزلة، فاشتركوا في قصد السوء!.

متى يكون الرياء شركًا أكبر ومتى يكون شركًا أصغر؟

والرياء على قسمين:

القسم الأول: شركٌ أكبر

إذا كان قصد الإنسان بجميع أعماله مراءاة النّاس، ولا يقصد وجه الله أبدًا، بمعنى أن الرياء في أصل الإسلام فيكون نطقه بالشهادتين رياء وكذبا كما قال تعالى في المنافقين في شهادتهم أن لا إله إلا الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] وفي شهادة أن محمدا رسول الله قال فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، فالمنافق يقصد العيش مع المسلمين، وحقن دمه، وحفظ ماله، فهذا رياء المنافقين، وهو

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد [٣ / ١٥٢] للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان – الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

شركٌ أكبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، وهذا لا يصدر من مؤمن.

❐ **القسم الثاني: قد يصدر من مؤمن، ويكون في بعض الأعمال، وهو: أن يكون العمل فيه قصدٌ لله وفيه قصدٌ لغير الله.**

وهذا هو الشرك الأصغر.

النوع الثالث:

التعلق بالتمائم

التَّمائِمُ جمعُ تميمةٍ: وهي كُلُّ ما يُعلَّقُ على المرضى أو الأطفالِ أو البهائِمِ أو غيرِها من تعاويذَ؛ لدَفْعِ البلاءِ أو رَفْعِه.

قال ابنُ الجوزي: «إنَّ التمائِمَ مِنَ الشِّركِ، وهي خَرَزاتٌ كانت العَرَبُ تُعَلِّقُها على الصِّبيانِ يتَّقون بها العَينَ بزَعْمِهم، فلمَّا أرادوا دَفْعَ المقاديرِ بذلك كان شِرْكًا »(١)

هل تعليق التمائم من الشرك الاعتقادي أم العملي؟

تعليق التمائم من الشرك العملي، **لكن الاعتقاد المتعلق بالتمائم من الشرك الاعتقادي؛ فإن من علق تلك التمائم معتقدا أنها سبب مؤثر في جلب الخير أو دفع الضر، أو أنها سبب في رد العين مع كونه معتقدا أن الله هو الخالق للنفع والضر** = كان ذلك من الشرك الأصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببا شرعيا أو قدريا سببًا في النفع أو الضر، أما من اعتقد فيها النفع بذاتها، وأنها تدفع الضرر بذاتها من دون الله فهذا من الشرك الأكبر.

---

(١) غريب الحديث (١/ ١١٢).

إذن مرجع الأمر إلى الاعتقاد المصاحب لتعليق التمائم، ولذلك ذكرتها ضمن أنواع الشرك الاعتقادي لهذا المعنى.

الأدلة على كون التمائم من الشرك الأصغر:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ﴾ [الفرقان:٥٥].

ووجه الدلالة في الآيات: أن الله تعالى أنكر على المشركين عبادتهم لغيره؛ وكونهم اعتقدوا في معبوداتهم النفع والضر من دون الله تعالى، فكل من اعتقد أن شيئا يملك له النفع والضر من دون الله تعالى فقد عبده، وكذلك كل من جعل شيئا ـ كالتمائم ـ سببًا في جلب النفع أو دفع الضر فقد أشرك شركًا أصغر.

٢ ـ عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»(١)

قال السندي: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً» قيل: المراد ما يحتوي على رُقَى الجاهلية أو الخرزات التي تعلّقها العرب على أولادهم يتقون بها العين، فأبطله الإسلام.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٢٨ / ٦٢٣ رقم ١٧٤٠٤]

«**فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ**» كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، فأبطل ذلك.

«**وَدعةً**»: واحد الوَدع، وهي خرزٌ أبيض تخرج من البحر بيضاء شقها كشقِّ النوى، تعلَّق لدفع العين.

«**فلا ودّع**» ضُبط بالتشديد، وفي المجمع: أي لا جعله في دَعَةٍ وسكون، أو لا دفع عنه ما يخافه، بُنِي من لفظ الوديعة.

٢ ـ وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً**» فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**»(١)

٣ ـ – وعن عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ وَهُوَ مَرِيضٌ نَعُودُهُ فَقِيلَ لَهُ: لَوْ تَعَلَّقْتَ شَيْئًا، فَقَالَ: أَتَعَلَّقُ شَيْئًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»(٢)

والواجب على المؤمن إذا رأى شيئا من التمائم في أهله أن ينزعه وألا يقر أهله على شرك أو عقيدة فاسدة فعن أبي عبيدة، قال: «دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على امرأته، فلمس صدرها، فإذا في عنقها خيط قد علقته، فقال: ما هذا؟ فقالت: شيء رُقيَ لي فيه من الحمى. فنزعه، وقال: **لقد أصبح**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٢٨ / ٦٣٧ رقم ١٧٤٢٢] قال الهيثمي في المجمع [٥ / ١٠٣ رقم ٨٠٧]: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد [٣١ / ٧٧ رقم ١٨٧٨١]، والترمذي [٤ / ٤٠٣ رقم ٢٠٧٢] ما جاء في كراهية التعليق

آل عبد الله أغنياء عن الشرك»(١)

من أي شيء تكون التمائم؟

التمائم لها صور وأشكال كثيرة يجمعها عقيدة واحدة وسبب واحد، وهو اتخاذها سببًا في دفع الضر وجلب النفع، ومن هذه الصور:

ما ذكره الشيخ محمد حامد الفقي: «وأصل معنى القلادة: ما يوضع في العنق من الحلي والزينة للنساء، والحبل يوضع في عنق الدابة لتقاد به. ومثل ذلك ما يعلقه بعض الناس اليوم على السيارات من صورة قرد ونحوه، وما يضعه بعضهم على أبواب البيوت والحوانيت من حدوة حمار أو حصان وتعليق سنابل من الحنطة أو غير ذلك كله من عمل الجاهلية المنهي عنه أشد النهي، وقد يصل إلى الشرك الأكبر عند بعضهم حين يعتقد فيه أنه هو الذي يدفع حقيقة الضر والسوء»(٢)

ومن أشكالها: الكف، والعين، وتعليق المسبحة لنفس القصد، ومنها الحذاء يعلق على السيارات وغيرها، والناس مختلفون في إحداث أشكال وصور لها.

(١) رواه بهذا الإسناد ابن أبي شيبة ٥/ ٣٤ (٣٣٤٤٨) وابن بطة في «الإبانة» كتاب الإيمان ٢/ ٧٤٢ (١٠٢٩).

(٢) انظر: موسوعة توحيد رب العبيد [٦ / ٢٣٦]

النوع الرابع:

شرك الأسباب

اعلم بارك الله فيك أن الأصل في المؤمن أن يعلم أن الأسباب ليست مؤثرة بذاتها في الأشياء، وأن الالتفات إليها والتوكل عليها شرك في التوحيد، وأن الإعراض عنها بالكلية قدح في الشرع؛ لأن الشرع أمر بممارسة الأسباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

«ومما ينبغي أن يعلم: ما قاله طائفة من العلماء. قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد. ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع»(١)

عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسباب:

وفي هذه النقاط نجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسباب(٢):

---

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ١٦٩).

(٢) نواقض الإسلام (٤٤٢) بتصرف يسير.

١. السبب لا يجعل سببًا لشيء إلا بعلمٍ

فلابد من أن تكون الأسباب أسبابًا حقيقة شرعًا أو قدرًا أو عادة، كمن ظن أن النذر لدفع البلاء، وليس كذلك ولا يأتي بخير كما في الخبر.

٢. لا يتخذ شيئًا من الأعمال الدينية سببًا إلا أن تكون مشروعة.

لأن العبادات توقيفية مبناها على التوقيف، مثاله: من يدعو أصحاب القبور أو ينذر لهم من دون الله تعالى، فقد اتخذ عبادة شرعية يجب تقديمها والتعبد بها لله تعالى، لكنه جعلها سببا وقربة لغير الله تعالى، فهذا الشرك بعينه، ومثاله أيضًا الطواف: فإن الشرع قد أذن فيه أن يطوف حول الكعبة فقط، فإن قدم هذه العبادة لغير ذلك فقد وقع في الشرك؛ لأنه قدم عبادة لغير ما شرعت له.

ومردُّ ذلك كله أن العبد يقدم ما لله تعالى لغيره، أو يجعله سببًا في النفع أو الضر من دون إذن الشارع فيه.

٣. اعتقاد أن السبب له تأثير حقيقي

وهذا التأثير قد رتبه الشرع على سببه، ترتيب العلة على المعلول، والنتيجة على أسبابها؛ لكن لا يستقل السبب بحصول المطلوب، بل لا بد معه من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

فإن الرِّيَّ مترتب على الشرب، والشبع مترتب على الأكل، والولد مترتب على الجماع، والإحراق مترتب على النار، والإغراق مترتب على الماء، وهكذا

لكن قد يتخلف تأثير هذا بقدر من الله تعالى كما سيأتي.

٤. عدم الاعتماد على الأسباب بالكلية والتوكل عليها أو خوفها

فإن هذا من الشرك، بل يكون اعتماد العبد وتوكله على الله وحده لا شريك له.

كالدواء يتناوله المريض لكن يجب عليه أن يعتقد أنه سبب في الشفاء، لا أنه بذاته ينفع ويضر من دون الله، وكذلك الرقى والأذكار لابد أن يعتقد أنها تنفع وتضر بإذن الله تعالى، لا لذاتها.

٥. إرجاع ونسبة السبب إلى الله فهو الخالق لها الموجد للسبب.

٦ ـ **اعتقاد أنها بقضاء الله تعالى وقدره**، وقدرته ومشيئته، فالله قدرها، وهي داخلة في القدر.

٧. أن الأخذ بالأسباب المأذون فيها شرعًا لا ينافي التوكل على الله تعالى

وسيأتي بيان هذا.

٨ ـ الذي يلغي عمل الأسباب وتأثيرها بزعم التوكل على الله فقد ناقض الحكمة الإلهية في تشريع الأخذ بالأسباب.

وسيأتي بيان هذا إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام: «فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، **وإن كان الله قد جعل لها أسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون**، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى. ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ولهذا قال

الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٧، ٨] فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، **فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب**، وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

وكذلك المشرك يخاف المخلوقين، ويرجوهم، فيحصل له رعب كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران:١٥١]، والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]»(١).

كيف يقع الشرك في الأسباب:

إذا علمت عقيدة أهل السنة والجماعة في العقيدة في الأسباب؛ فاعلم أن من الشرك الأصغر الاعتقادي ما يقع في التعامل مع الأسباب من بعض العقائد الخاطئة، وما يترتب على هذا الخطأ من أخطاء عقائدية أخرى، والشرك العقائدي الذي يقع في العقيدة في الأسباب على صور منها:

---

(١) الفتاوى الكبرى [٥ / ٢٣٣]

❐ **الاعتماد على الأسباب، والاطمئنان لها، والتوكل عليها، والثقة بها، ورجاؤها أو الخوف منها، أو الاعتقاد بأنها بذاتها مؤثرة بنفسها.**

قال شيخ الإسلام:

«فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدًا على الله، لا على سببٍ من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورة له، وهو مأمور بها: فَعَلَها، مع التوكل على الله، كما يؤدي الفرائض، وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح، ويلبس جُنَّة الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أُمر به من الجهاد، ومَن تَرَكَ الأسباب المأمور بها: فهو عاجز، مفرط، مذموم»(١)

الشرك في الأسباب يقع من طائفتين(٢):

❐ **الأولى: الجبرية والأشاعرة**

وهذه الطائفة أنكرت حقيقة الأسباب وتأثيرها، وجعلت هذا الإنكار من التوحيد، وإثبات تأثير الأسباب عندهم كفر وشرك،

وقالت: إن الأسباب مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها!

سبب هذه العقيدة الفاسدة:

الذي حمل أصحاب هذا القول على تلك العقيدة الفاسدة هو: أنهم ظنوا أن في إثبات الأسباب قدحًا في صفة الخلق، فلو كانت الأسباب مؤثرة في المسبَّبات لكانت هي الموجدة بذاتها، ولخرجت عن إيجاد الله وخلقه

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٥٢٨)

(٢) نواقض الإسلام (١/ ٤٤٣) بتصرف

وإرادته، ولصار هناك موجودات لها خالق غير الله تعالى

ولذلك أنكرت هذه الطائفة حقيقة تأثير الأسباب، وسلبوا العبد من الإرادة، وأن يكون مؤثرا في أفعاله.

وفي الحقيقة: فإن هذه الطائفة خالفت الشرع والعقل والحس حين أنكروا ما خلقه الله تعالى من القوى والقدرة المؤثرة في الأفعال، فالنار عندهم لا تحرق، بل المحرق هو الله تعالى! والإحراق وقع عند وجود النار لا بها

والماء لا يغرق، إنما المغرق هو الله، والإغراق يقع عند الماء لا به...

والري لا يقع بشرب الماء ونحوه، وإنما يقع الري عند الشرب لا بعين الماء... وهكذا

وهذا خطأ كما هو معلوم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

«وأهل السنة لا ينكرون وجود ما خلقه الله من الأسباب ولا يجعلونها مستقلة بالآثار، بل يعلمون أنه ما من سبب مخلوق إلا وحكمه متوقف على سبب آخر، وله موانع تمنع حكمه، كما أن الشمس سبب في الشعاع، وذلك موقوف على حصول الجسم القابل به، وله مانع كالسحاب والسقف، والله خالق الأسباب كلها، ودافع الموانع»[1]

(١) انتهى من «درء تعارض العقل والنقل» (٩ / ٢٩)

❐ الطائفة الثانية: مذهب القدرية المعتزلة

وهذه الطائفة غالت جدًّا في الأسباب حتى جعلوها المؤثرة بذاتها من دون الله تعالى

والسبب عندهم هو المستقل في إيجاد المسبَّب، وبهذا القول أثبتوا مخلوقات ليست من خلق الله تعالى، فأشركوا في توحيد الربوبية فأثبتوا خالقًا غير الله تعالى!

والمعتزلة في هذا شابهت الفلاسفة الغلاة في الأسباب، حين قالوا: السبب موجد للمسبب، والله علة المعلول، وسبب المسببات!

تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الِالْتِفَاتَ إِلَى السَّبَبِ: هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَرَجَاؤُهُ وَالِاسْتِنَادُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ شُرَكَاءَ وَأَضْدَادٍ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ: فَإِنْ لَمْ يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، لَمْ يُسَخَّرْ»(١)

ترك الأخذ بالأسباب طعن في الحكمة الإلهية:

اعلم علمك الله الخير:

أن الأخذ بالأسباب المأذون فيها شرعًا لا ينافي التوكل على الله تعالى، ولا يقدح في توكل العبد، لكن المطلوب من العبد ألا يجاوز حده في الاعتماد على الأسباب والتعويل عليها واعتقاد النفع فيها والضر أو السعادة

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٩)

والشقاوة وغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة، وكذلك لا يقصر في الأخذ بالأسباب متجاهلًا وغافلًا عن حكمة الله تعالى في الأخذ بها.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «وأقرب تعريف للتوكل أن يُقال: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها، وصدق الاعتماد على الله في حصول المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها، فلا بد من هذين الأمرين: أن يكون اعتمادك على الله تعالى صادقا اعتمادا حقيقيا، والشيء الثاني: أن تفعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكلُه على الله ومن جعل اعتماده أكثره على الله ملغيًا الأسباب فقد طعن في حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، فيكون الأول الذي اعتمد على الأسباب أكثر قادحًا في كفاية الله سبحانه وتعالى، والثاني قادحا في حكمة الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سببًا فمن اعتمد على الله اعتمادًا مجردًا وقال: أنا لا أفعل الأسباب؛ لأني معتمد على ربي!

قُلنا لهم: هذا طعن في حكمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تعالى حكيم يربط الأسباب بمسبباتها وأنت لو قال لك أدنى واحد من الناس: اعتمد على الله في حصول الولد ولا تتزوج، لكان هذا القول أضحوكة لك، الولد ينبت على فوق الكتفين ولا ينبت من الرأس ولا ينبت من الظهر؟ ما هو معقول هذا لا بد من فعل السبب.

ولو أنك اعتمدت على الأسباب فقط لكان ذلك قدح في كفاية الرب، وكأنك جعلت السبب وحده هو العُمدة فيما تصبو عليه في حصول المطلوب

وزوال المكروه، فلا بد من الأمرين جميعًا، ولهذا نحن لا نشك أن أفضل المتوكلين وأعظمهم توكلا رسول الله ﷺ، ومع ذلك كان يفعل الأسباب كان يحمل الزاد في سفره، وكان يلبس الدرع في حربه، وكان يستعين بالذين يدلونه على الطريق إلى غير ذلك مما هو ظاهر معلوم للجميع، فهل قال أنا بخرج من مكة مهاجرا وأتوكل على الله ولا أصطحب معي من يدلني على الطريق؟

لا بل استأجر رجلا يدله على الطريق عليه الصلاة والسلام، ولما خرج إلى أُحد ماذا صنع؟ ظاهر بين درعيه، يعني: لبس درعين اثنين كل ذلك أخذا بالأسباب، وكان عليه الصلاة والسلام يتقي البرد ويتقي الحر ويتقي الضار نعم، ويفعل جميع الأسباب المأذون فيها شرعًا وهل نقص ذلك من توكله؟ ما نقص، لكن إذا ترك الأسباب قيل له: إن هذا طعن في حكمة الرب وتوكلك ضعيف، ولهذا يُذكر عن عمر رضي الله عنه أنه جيء إليه بقوم من أهل اليمن قدموا للحج بدون زاد فسألهم فقالوا: نحن المتوكلون على الله فقال: **(لستم من المتوكلين على الله بل أنتم المتواكلون!)** نعم وهذا صحيح، واحدٌ يخرج إلى البادية أو إلى السفر بدون زاد ولا مزاد ثم يقول: والله أنا متوكل على الله!

مو صحيح هذا لا شك أنه طعن في حكمة الرب

إذن تعريف التوكل هو: صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب المأذون فيها. ولا بد من هذا حتى نكون آخذين بالكفاية وآخذين بالحكمة جميعا لا يفوتنا هذا ولا هذا» انتهى كلامه.

النوع الخامس:

التبرك الشركي

اعلم علَّمك الله الخير:

أن البركة هي: حلول الخير الإلهي في الشيء، فإن كان قليلا كثَّره، وإن كان كثيرا عظَّمه.

والبركة معناها: «النَّماء والزيادة والتَّبْريك: الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة، يقال: بَرَّكْتُ عليه تَبْريكًا أي: قلت له بارك الله عليك وبارك الله الشيءَ وبارك فيه وعليه وضع فيه البَرَكَة... وروى عن ابن عباس: معنى البَرَكة: الكثرة في كل خير»(١)

أنواع التبرك المشروع(٢):

والتبرك المشروع له أنواعٌ كثيرةٌ، فمنها:

---

(١) لسان العرب [١٠ / ٣٩٥]

(٢) اعلم أن طلب البركة مطلب ليس إسلاميًا فحسب، بل هذا مطلب مجتمعي وظاهرة من ظواهر المجتمعات، أيا كانت توجهاتها ومعتقداتها ومعبوداتها، وتأمل هذا الجانب في كل أمة ونحلة ومذهب موجود على وجه البسيطة؛ ستجد هذا الجانب واضحًا لديهم؛ فعموم الخلق يقصدون عبادة معبوداتهم وآلتهم التي اتخذوها من ⇦=

❐ **النوع الأول: التبرك بأمرٍ شرعيٍّ معلومٍ**

مثل القرآن، قال الله تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص:٢٩].

فالبركة حاصلة في كل شيء يتعلق بالقرآن، في تلاوته، وحفظه، وفي العمل به، في دراسته، في التفكر والاتعاظ به، في تحكيمه، في الاستشفاء به في الأمراض البدنية والنفسية، قال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، وغير ذلك من أنواع البركة فيه كثير.

والحاصل: اعتقاد البركة وحلولها في كل ما جاءت به النصوص من القرآن والسنة الصحيحة بإثبات البركة فيه.

❐ **النوع الثاني:. التبرك بأمرٍ حسيٍّ معلومٍ مما أذن فيه الشرع.**

مثل العلم، والدعاء، ونحوهما، فالرجلُ يُتبرك بعلمه، ودعوته إلى الخير، فيكون هذا بركة لأننا نِلْنا منه خيرًا كثيرًا.

❐ **النوع الثالث: التبرك بهيئةٍ شرعيَّةٍ**

مثل: الاجتماع على الطعام، والأكل مِن جوانب القصعة، ولعق الأصابع، وكيْل الطعام. قال ﷺ «**اجْتَمِعُوا عَلى طَعَامِكُم وَاذْكُروا اسْمَ اللهِ**

= دون الله طلبًا لرضاهم ولتحصيل البركة والنفع والسعة من طاعتهم وتعظيمهم والإخلاص لهم، فعُبَّاد الشمس والقمر والنجوم والكواكب يطلبون منها البركة، وعُبَّاد الأصنام والأزلام والتماثيل كذلك، وعُبَّاد الجن والشياطين والقوى الخفية كذلك، وعُبَّاد القبور والأضرحة والأولياء كذلك، حتى عُبَّاد البقر والفئران، وعُبَّاد البشر يطلبون كذلك أيضًا.

عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»(١)

وقال ﷺ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ فِي وَسَطِ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَّتَيْهِ، وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ»(٢)

وأمر الرسول ﷺ بلعق الأصابع وقال: «فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيَّتِهِنَّ البَرَكَةُ»(٣)

وقال ﷺ: «كيلوا الطَّعامَ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»(٤)

❐ النوع الرابع: التبرك بالأمكنة:

فهناك أمكنةٌ جعل الله فيها البركة إذا تحقق في العمل الإخلاص والمتابعة كالمساجد، وخاصة المسجد الحرام والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ومسجد قباء، وأحاديث فضل الصلاة فيها مشهورةٌ معلومةٌ.

❐ النوع الخامس: التبرك بالأطعمة، وهناك أنواعٌ من الطعام جعل الله فيها بركة

مثل:

١ ـ زيت الزيتون، قال ﷺ «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣/ ٣٤٦)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٣)، وحسَّنه شيخُنا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٦٤).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٤/ ٢٦٠) - واللفظ له - وقال: حسن صحيح، وأبو داود (٣/ ٣٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٠).

(٣) مسلم (١٣/ ٢٠٥).

(٤) رواه البخاري (٤/ ٤٣٤).

مُبَارَكَةٍ»(١)

٢ ـ حبَّةُ السوداء، قال ﷺ «**الحبَّةُ السَّوْداءُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إلاَّ السَّام**»(٢)

3ـ ماء زمزم، قال ﷺ: «**إنَّها** -أي ماء زمزم - **مُبَارَكَةٌ، إنَّهَا طَعَامُ طُعْم**»(٣)

❐ النوع السادس: التبرك بالأزمنة

وهناك أزمنةٌ خصّها الشرع بزيادة فضلٍ وبركةٍ؛ مثل: شهر رمضان، وليلة القدر، والعشر الأول من ذي الحجة، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣].

مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في التبرك:

١ ـ اعتقاد وجود البركة في بعض الأعيان والأشخاص والأماكن والأزمنة؛ لثبوت ذلك في نصوص الكتاب والسنة.

٢ ـ إثبات البركة فقط في المنصوص عليه في الكتاب والسنة.

كما سبق في أنواع التبرك المشروع

٣ ـ نفي إثبات البركة عن كل ما لم يُثبتِ الشرع البركة فيه؛ مهما كانت له

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٤/ ٢٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٠٣)، وانظر «السلسلة الصحيحة».(379)

(٢) رواه البخاري (١٠/ ١٧٦)، ومسلم (١٤/ ٢٠١)، والسام: الموت.

(٣) رواه مسلم (١٦/ ٢٧)

من الفضائل والخيرات، فإثبات البركة لشيء ما موقوف على الوحي، لا على الفضائل، فضلًا عن الأهواء والاختيارات والعقل، واعلم أن نفي البركة عن شيء لا يستلزم نفي الفضائل عنه.

٤ ـ إذا ثبتت البركة لشيء معين في جهة من جهاته فإنه لا يجوز تعدية البركة إلى جهة أخرى لنفس الشيء إلا بنص ودليل من الكتاب والسنة.

وهذا أصل عظيم جدًّا يجب الانتباه له، مثال هذا: إذا ثبت الدليل الشرعي ببركة العلم الشرعي والحديث النبوي **فإن العلماء يُتبرك بعلمهم لا بأعيانهم ولا بآثارهم ولا بقبورهم**؛ فإن هذه الأخيرة لم يثبت بها كتاب أو سنة؛ ولا يلتفت لمن خالف ذلك؛ فالعمدة في هذا على الدليل من الكتاب والسنة.

٥ ـ ثبوت الفضائل لشيء معين لا يستلزم التبرك به؛ فإن التبرك فعل زائد ومعنى زائد على مجرد الفضائل فيحتاج إلى دليل منفصل.

فالقاعدة: أن ما أثبت الدليل الشرعي البركة فيه استلزم ذلك إثبات فضائله.

وما أثبت الدليل الشرعي فضائل له لا يستلزم إثبات البركة له.

مثال هذا: جاءت النصوص الشرعية الصحيحة بإثبات فضائل ما بين منبر النبي ﷺ إلى بيته، كما في الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي، وَإِنَّ مَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَبَيْنَ بَيْتِي رَوْضَةٌ**

مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»(١)

فإثبات الفضائل لهذه البقعة لا يستلزم منها مضاعفة الصلاة فيها، بل ثواب الصلاة فيها كبقية المسجد، وكذلك التبرك بالتمسح بأرضها، وتمريغ الوجه فيه، والتمسح بالمنبر، وغير ذلك من أوجه التبرك الشركي.

ومن ذلك: إثبات الفضائل لمقام إبراهيم ﷺ، وأمرُ الله تعالى باتخاذه مصلى كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] فالجهة المأمور بها شرعًا اعتقاد فضله واتخاذه مصلى، فالتمسح به وتمريغ الوجه عليه والطواف حوله = كله هذا تبرك غير جائز؛ لأن النص لم يثبت به.

ومثل هذا يقال في أستار الكعبة، والركنين الشاميين، وأبواب البيت الحرام، وفرشه وأعمدته وأرضه وغير ذلك.

٦ ـ من القواعد المقررة عند أهل السنة في هذا الباب هذه القاعدة: **ليس كل من ظهرت عليه خوارق العادات يكون من أولياء الرحمن.**

فقد يكون ظهور خوارق العادات كالطير في الهواء، أو المشيء على سطح الماء، أو ضرب البطن بالسكين وغير ذلك = قد يكون هذا من قبيل الأحوال الشيطانية، وما تقوم به الجن من خدمة أتباعها «فمن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر، ملتزما لطاعته فيما أوجب وأمر، في الأمور الباطنة التي في

(١) أخرجه: مسلم [٢ / ١٠١٠ رقم ١٣٩٠] باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، وأحمد [١٥ / ٧٧ رقم ٩١٥٣]

القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان = لم يكن مؤمنا، فضلا عن أن يكون وليا لله، ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور، من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها، إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله، المقربة إلى سخطه وعذابه»(١)

الشرك في التبرك

معنى التبرك الشركي: اعتقاد حلول البركة فيما لم يأذن به الله تعالى، ورجاؤه البركة في هذا الشيء الذي يتبرك به.

الشرك في التبرك كالتبرك بالأشجار، أو الأحجار، أو أن يتبرك ببقعة، أو غار أو عين أو موطئ أو أثر، أو مقام كمقام إبراهيم، أو صخرة بيت المقدس، أو حجرة النبي ﷺ.

الشرك في التبرك على نوعين:

الأول: شرك أكبر مخرج من الملة

إذا تبرك بشجر، أو بحجر، أو قبر أو شخص ونحوه، واعتقد أن البركة حاصلة في ذات ما تبرك به، وأنه يهب البركة للغير؛ فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأن البركة لا يملكها أحد إلا الله تعالى، فهو الذي يهبها من شاء من خلقه، وهو الذي يضعها في ما شاء من الذوات والأجناس.

---

(١) الفتاوى الكبرى [١ / ١٧٩]

❐ النوع الثاني: الشرك الأصغر في التبرك:

إذا اعتقد العبد أن البركة من الله، ولكن اعتقد أن هذه الشجرة سببٌ للبركة، أو هذا الحجر سببًا للبركة، أو هذا المقام سببًا للبركة فهذا شرك أصغر؛ لأنه اعتقد أن البركة من الله، لكنه اعتقد أن هذا الشجر فيه بركة، أو أن هذا الحجر فيه بركة، فقد **جعل ما ليس سببا في البركة سببا فيها بغير إذن من الشرع** وهذا عين الشرك الأصغر، أما إذا اعتقد أن البركة ذاتية فيها فهذا شرك أكبر.

هل يجوز وصف أحد بالبركة؟

إذا جُرِّب على شخص جريان أحوال البركة عليه في حفظ أو فهم، أو رزق أو قول، أو تصرف أو أحوال فلا بأس أن يقال: إن فلانًا مبارك، نحسبه كذلك والله حسيبه.

والدليل على ذلك:

ما في الصحيح من قصة نزول آية التيمم حين فقدت عائشة ﵂ عقدها فقال «أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ»(١)

أي: هذه من بركاتكم التي جعل الله فيكم حيث حَبستِ الناسَ من أجل العِقد، ولم يكن معهم ماء للوضوء، فأنزل الله آية التيمم.

يقول أُسيدٌ: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر -يخاطب عائشة ﵂ - فو الله ما نزل بكِ أمرٌ تكرهينه إلا جعل الله لك منه مخرجًا، وللمسلمين منه

(١) البخاري [١ / ٧٤]

خير وبركة».

ولكن يجب أن ننتبه إلى أن نسبة البركة لأي شخص يجب أن تكون مشروطة ببعض القيود، منها:

١ ـ أن اعتقاد البركة فيه من باب الظنون المبنية على الظاهر، وما جُرِّب من أحواله.

٢ ـ لابد من ظهور علامات الصلاح عليه، بفعل المأمور وترك المنهي عنه وغير ذلك مما يعرفه الناس؛ وأما إذا لم يكن كذلك فمثل هذا لا ينسب له بركة ولا ولاية؛ فلابد من هذا التفريق فإنه مهم جدًّا **قال شيخ الإسلام**: «ومن لم يفرق بين الأحوال الشيطانية والأحوال الرحمانية: كان بمنزلة مَنْ سوَّى بين محمد رسول الله وبين مسيلمة الكذاب، فإن مسيلمة كان له شيطان ينزل عليه ويوحي إليه»(١)

٣ ـ ليس معنى أن ننسب البركة لأحد الصالحين أن نتبرك بذاته كريقه أو عرقه، أو تقبيل يده أو قدمه، أو السجود له أو التمسح به، أو بآثاره كملابسه أو نخامته، ولا بقبره وضريحه ونحو ذلك.

❐ ما ورد في النهي عن التبرك الشركي:

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ حُنَيْنٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكُفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَنُوطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) الفتاوى الكبرى [١ / ٢٠٥]

«اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨] إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»(١)

«ولكن الصحابة لم يفعلوا الشرك، فهم قالوا ذلك عن جهل، واعتذر أبو واقد الليثي بقوله: (وكنا حديثي عهد بشرك) أي: أسلمنا قريبًا، فلما زجرهم النبي ﷺ انزجروا وامتنعوا فلم يفعلوا الشرك، ففيه دليل على أن الإنسان إذا طلب أن يفعل الشرك جاهلًا ثم منع منه، وبُيِّنَ له فانزجر وامتنع لا يقع في الشرك، وكذلك بنو إسرائيل لم يقعوا في الشرك؛ لأنهم ما فعلوا، وإنما طلبوا عن جهل، فبين لهم نبي الله موسى ﷺ وزجرهم عن ذلك، وكذلك نبينا محمد ﷺ بين لهم أن هذه المقالة مثل مقالة بني إسرائيل، فلم يقعوا في الشرك، كما أن بني إسرائيل أيضًا لم يقعوا في الشرك»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٦ / ٢٣١ رقم ٢١٩٠٠] وإسناده صحيح على شرط الشيخين

(٢) ضمن دروس في العقيدة الراجحي - شرك التبرك ص٨

النوع السادس:

التطير والتشاؤم

اعلم علمك الله الخير:

أن الإسلام نهى عن التشاؤم؛ لأنه ينافي حسن الظن بالله، وحسن التوكل عليه، وجميل الاعتماد عليه، وفي التشاؤم نسبة الحوادث لغير الله تعالى، واعتقاد الضر في المتشَائم منه، وأنه قادر على إيصال الضُّر للغير، إلى غير ذلك من المحاذير والعقائد الفاسدة.

التطير والتشاؤم من عقائد أهل الجاهلية:

التطير والتشاؤم من عقائد أهل الجاهلية، ومن موروثات الأمم الكافرة السابقة

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل:٤٧].

وقال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

وقال عن أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس:١٨].

ونهى النبي ﷺ عن الطيرة والتشاؤم:

فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ**»(١)

وفي الصحيح أيضًا: عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِن الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِن الْأَسَدِ**»(٢)

والتطير من الكبائر المحرمة فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيَّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»(٣)

الفرق بين التشاؤم والتطير

الشؤم: هو الشر وهو ضد اليمن والبركة والخير

التشاؤم: هو عام في توقع حصول ما يُكره ويُخاف عاقبتُه، عند رؤية أو سماع أمر معين.

أو هو توقع المكروه (وما يكرهه الإنسان) من مسموع أو مرئي أو معلوم أو زمان أو مكان.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٣٥ رقم ١٤١٤٦).

(٢) البخاري [٧ / ١٣٥ رقم ٥٧٥٣] عَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما

(٣) **صحيح**: أخرجه البزار [٩ / ٥٢ رقم ٣٥٧٨]، وانظر: الصَّحِيحَة: ٢٦٥٠ صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٣٠٤١

وأما التطير: فهو التشاؤم بالطير خاصة.

وحقيقته: محاولة معرفة الخير أو الشر المتوقع حصوله في المستقبل بدلالة الطير.

وأصل التسمية: مأخوذة من الطير؛ لأن مشركي الجاهلية كانوا يستعملون الطيور في هذا الباب

قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن الفرخ يؤخذ من عشه يجوز؟

قال: حديث: «**أَقِرُّوا الطَّيرَ على مَكَناتِها**»(١)

قال بعضهم: كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يخرج نَفَّرَ الطيرَ، فإن أخذ -يعني: في طريق- أخذ منه، كأنه من الطيرة»(٢)

مسألة: بأي شيء يكون التشاؤم؟

التشاؤم يحصل بعدة أشياء على حسب الشخص المتشائم فمنها:

١ ـ التشاؤم ببعض الناس

٢ ـ التشاؤم ببعض الحيوانات: كالغراب والحدأة والبومة وغيرها

٣ ـ التشاؤم ببعض الأماكن أو البلدان أو البقاع.

٤ ـ التشاؤم ببعض الأزمنة: كيوم السبت، واليوم التاسع والعشرين من

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد [٤٥ / ١١٣ رقم ٢٧١٣٩]، وأبو داود [٣ / ٦٥ رقم ٢٨٣٧] باب فِي الْعَقِيقَةِ

(٢) «مسائل عبد الله» (١٦١٤)، الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة [٣ / ١٤٤]

فبراير ونحوها

٥ ـ التشاؤم أحيانًا يقع ببعض الحركات أو الهيئات أو المواقف ونحوها.

مسألة: كيف يقع الشرك الأصغر عن طريق التطير والتشاؤم؟

إذا كان المرء عازمًا على شيء فحصل له ما يتشاءم منه من رؤية شيء أو سماعه ونحوه فرجع عما عزم عليه فقد وقع في الشرك الأصغر؛ لأنه توقع حصول مكروه له من شيء مخلوق فنسب له الضر والأذى والمكروه، فجعل سببًا في الضُّر ما ليس سببًا.

«يقول فَضَالة بن عبيد الأنصاري: من ردته طيرة عن شيء فقد قارف الإشراك»(١)

فالشرك يقع:

١ ـ باعتماد القلب على الله تعالى، وتعلقه بغيره.

٢ ـ باعتقاد وجود النفع والضر والتدبير والتصرف والتأثير في غير الله تعالى في الطير والمتشاءم به ونحوه.

٣ ـ كما يقع بالرمي بالغيب والتخرص بحدوث محبوب أو مكروه في المستقبل.

علاج الطيرة المحرمة:

وعلاج الطيرة المحرمة بعدة أمور:

---

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة [٣ / ١٤٥]

١. تحقيق الإيمان بالقدر

وليعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لا يغني حذر من قدر «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ**»(١)

٢. تحقيق التوكل على الله تعالى

والتوكل هو: اعتماد القلب على الله تعالى في جلب النفع ودفع الضر مع الأخذ بالأسباب المشروعة شرعا وقدرًا.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران:١٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» قال ابن مسعود: وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»(٢)

يعني: كل واحد منا قد يقع له التشاؤم والتطير كوسواس يعْرِضُ له من الشيطان، لكن يذهبه الله بالتوكل عليه وحسن قصده وجميل الاعتماد عليه.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة [٥ / ١٩]

(٢) مسند أحمد ط الرسالة [٦ / ٢١٣ رقم ٣٦٨٧]

٣. أن يمضي العبد فيما عزم عليه متوكلا عليه

موقنًا بأن الذي يجلب النفع، ويدفع الضر هو الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧].

٤. ألا يلتفت إلى ما خالج قلبه من الوساوس والخطرات

وليحذر أن ترده تلك الوساوس فعن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ ولكن اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكلِ**»

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا قَوْمٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا قَوْمًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: «**فَلَا تَأْتُوهُمْ**» قُلْتُ: إِنَّ مِنَّا قَوْمًا يَتَطَيَّرُونَ قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**»(١)

وعن زياد بن أبي مريم قال: خرج سعد ابن مالك على جيش من جيوش المسلمين فإذا ظبي قد سخت، فجاءه رجل من أصحابه فقال له: «ارجع إلى الأمير، فقال سعد: من أي شيء تطيرت؟ أمن قرونها حين أقبلت، أم من أذنابها حين أدبرت؟! **امض فإن الطيرة شرك**»(٢)

---

(١) مسلم [١ / ٣٨١ رقم ٥٣٧]، وأحمد [٣٩ / ١٧٥ رقم ٢٣٧٦٢].

(٢) «السنة» لعبد الله ١/ ٣٦١ (٧٧٧)

ووجه **الدلالة**: أن هذا الرجل تشاءم من الظبي حين غاصت أقدامه في الأرض وأراد أن يرجع بالجيش، لكن ردَّه سعد بن مالك ناصحا له أن يطرد وساوس التطير والشرك من قلبه، وليجمع عزمه متوكلًا على الله فيما قصده.

٥. الدعاء

فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ - قَالَ أَحْمَدُ الْقُرَشِي - قَالَ ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ «**أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِمًا فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ**»(١).

٦. تبشير المؤمن بالفأل الحسن والكلمة الطيبة

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**»(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ**» قَالَ وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»(٣)

❁ ❁ ❁

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أبو داود [٤ / ٢٧].
(٢) أخرجه البخاري [٧ / ١٣٥ رقم ٥٧٥٦]
(٣) البخاري [٧ / ١٣٥ رقم ٥٧٥٥]

النوع السابع:

الاستسقاء بالأنواء

اعلم علمك الله الخير

أن الله تعالى هو خالق كل شيء، وبيده كل شيء، وبرحمته يتعلق كل شيء، عمت رحمته، وسبغت نعمته، وتمت مشيئته، وعظمت منته، يرسل الرياح بين يدي رحمته، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾؛ ذاك أنه ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] ويُجري في السماء سحائبَ الأمطار كأنها الجبال، ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [النور:٤٣] فبحسب قدرته ومشيئته ورحمته يُنزِله على من شاء من خلقه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم:٤٨]، فمن اعتقد ذاك فهو المؤمن، وأما من تعلق بالنجوم والأنواء والكواكب والأبراج فقد أشرك بالله.

من الشرك الاعتقادي: الاستسقاء بالأنواء

والمقصود بها: الاعتقاد في النجوم والكواكب؛ فإن من الشرك الاعتقادي الأصغر أن يعتقد «أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرا في هبوب الرياح وسكونها، وفي مجيء المطر وتأخره، وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك.

فإذا وقع شيء من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا: هذا بنَوْء عطارد أو المشتري أو المريخ أو كذا أو كذا»(١).

معنى الاستسقاء بالأنواء:

«الاستسقاء: طلب السقيا، استسقى إذا طلب أن يُسقى، والاستسقاء بالأنواء: أن يضاف نزول المطر إليها، والأنواء هي: منازل القمر، والعرب كانوا يعتنون بها ويعرفونها، وذلك أنه كان غالب مساكنهم الصحراء، وكانوا يعتمدون على المطر لمواشيهم، وهذا هو مصدر رزقهم، ليس عندهم زراعات ولا تجارات ولا صناعات، فلأجل ذلك كانوا يعتنون بالنظر في الأفق في السماء كثيرًا؛ يتطلبون نزول المطر الذي فيه رزقهم، ويرون أنه مصدر رزقهم، وإذا تأخر عليهم المطر ساءت أحوالهم؛ فلهذا صاروا ينظرون إلى الكواكب كثيرًا، وينظرون متى يطلع الكوكب الفلاني ومتى يغرب، ويسبرون مجيء السحاب ونزول الأمطار، فإذا وافق نزول المطر طلوع هذا الكوكب أو أفوله يضيفون المطر إليه، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وقد يتكرر هذا أحيانًا، وأحيانًا يجعلون هذا الكوكب كوكب سعد، وأحيانًا يجعلونه كوكب نحس؛ لأنهم ما رأوا فيه أمطارًا، ولهذا سموا بعضها سعد السعود، وبعضها سعد بلاء.. وسعد الأخبياء... وهكذا، فكل واحد كانوا يسمونه حسب عقيدتهم وحسب نظرهم، وهي عقيدة قاصرة جدًّا؛ ومبنية على أمور ظاهرة، وليست مهتدية بهداية الله أو بوحيه»(٢)

---

(١) معارج القبول [٣ / ٩٨٠]

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد [٨٢] للغنيمان

الأدلة على تحريم الاستسقاء بالأنواء:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:٤٨-٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥- ٨٢].

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ الْكَوَاكِبَ وَبِالْكَوَاكِبِ**»(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٣٣) باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، وفي الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٤) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ يُنَزِّلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكَوَاكِبُ كَذَا وَكَذَا**»(١)

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥- ٨٢]»(٢)

ومعنى قوله: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ**» في بيان:

الإيمان نوعان: أصل باعتقاد الربوبية لله، وأنه هو الذي خلق النعم، وتفضل بها وقدرها **وكمال** بشكره عليها، والكفر الأكبر باعتقاد خالق مؤثر لها، والأصغر: بشكر المخلوق عليها، أو إسنادها لسببها ونسيان مسببها، أو اعتقاد السببية فيها»(٣)

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُتْرَكُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ، وَالنَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ أَوْ دِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»(٤)

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٤/ ح٧٢) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٤/ ح٧٣) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٣) نواقض الإسلام (ص٤٧٠)

(٤) أخرجه مسلم [٢ / ٦٤٤ رقم ٩٣٤] باب التشديد في النياحة، وأحمد [٣٧ / ٥٣٨]

صور وأوجه الاستسقاء بالنجوم[١]:

١ ـ أن يزعم معرفة الغيب عن طريق النجوم ووقت نزول المطر بالأنواء وحركة النجوم، وهذا شرك أكبر لما فيه من ادعاء علم الغيب.

٢ ـ أن يعتقد العبد أن النجم هو الذي أنزل المطر، وأنه مدبر ومتصرف وله تأثير، إما بذاته من دون الله تعالى، أو بما جعله الله فيه من القدرة على التأثير، وهذا شرك أكبر في الربوبية؛ لاعتقاد التأثير والخلق والقدرة والربوبية في غير الله تعالى.

٣ ـ أن يعتقد أن النجم له علاقة سببية ورابطة ودلالة على نزول المطر، فخروج نَجم كذا في وقت كذا سبب لنزول المطر، وهذا شرك أصغر.

٤ ـ نسبة المطر للنجم من باب الظرفية والوقت:

كأن يستدل بالنجم على نزول المطر دون نسبة المطر إليه، كقولهم فصل الشتاء يكثر فيه المطر... دون تعليق الأمر به لا استقلالا ولا سببا، وإنما يكون للظرفية.

٥ ـ دعاء النجوم ومخاطبة الكواكب وعبادتها:

فيكون قصد المستسقي بالنوء طلب المطر من النجم والنوء: أغثنا يا نوء كذا، وهذا شرك أكبر في الألوهية.

٦ ـ الاعتقاد المعاصر في النجوم والكواكب: كاعتقاد أن لها تأثيرا على حياة الإنسان، أو تغيير مزاجه، مثاله: **الحظ اليومي الذي يأتي عن طريق**

---

(١) نواقض الإسلام (ص٤٧١)

الأبراج، فهذا كله من الشرك الخفي، وفيه ادعاء لمعرفة الغيب عن طريق الكواكب والنجوم.

فعقيدة أهل السنة: أن النجوم والكواكب خلق من خلق الله، وآية من آياته، مسخرة بأمره سبحانه، والمحذور هو الاعتقاد بأنها فاعلة مؤثرة باستقلال عن تقدير الله -وهذا شرك أكبر-، أو الاعتقاد بأنها سبب مؤثر بتقدير الله لما لم يجعلها الله سببا له -وهذا شرك أصغر.

❐ هل يجوز نفي تأثير الكواكب والنجوم بالكلية؟

الجواب: لا، فإن لها تأثيرًا ومنافع للناس؛ **قال شيخ الإسلام**:

«وَقَدْ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ مَنَافِعِ النُّجُومِ، أَنَّهُ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا زِينَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تُرْجَمُ بِالنُّجُومِ، وَإِنْ كَانَت النُّجُومُ الَّتِي تُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ غَيْرِ النُّجُومِ الثَّابِتَةِ فِي السَّمَاءِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا، فَإِنَّ هَذِهِ لَا تَزُولُ عَنْ مَكَانِهَا بِخِلَافِ تِلْكَ، وَلِهَذِهِ حَقِيقَةٌ مُخَالِفَةٌ لِتِلْكَ، وَإِنْ كَانَ اسْمُ النَّجْمِ يَجْمَعُهَا، كَمَا يَجْمَعُ اسْمُ الدَّابَّةِ وَالْحَيَوَانِ لِلْمِلْكِ وَالْآدَمِيِّ، وَالْبَهَائِمِ وَالذُّبَابِ، وَالْبَعُوضِ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِالْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ، عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ عِنْدَ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَمَرَ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ.

وَقَالَ: «إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ يُخَوِّفُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ، يُبَيِّنُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ

سَبَبًا لِعَذَابٍ يَنْزِلُ، كَالرِّيَاحِ الْعَاصِفَةِ الشَّدِيدَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ اللهُ قَدْ جَعَلَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَا يُنْزِلُهُ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: إِنَّ لَهَا تَأْثِيرًا.

مَا قَدْ عُلِمَ بِالْحِسِّ وَغَيْرِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَهَذَا حَقٌّ، وَلَكِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَ بِالْعِبَادَاتِ الَّتِي تَدْفَعُ عَنَّا مَا تُرْسَلُ بِهِ مِن الشَّرِّ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْخُسُوفِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْعِتْقِ، وَكَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا هَبَّت الرِّيحُ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَتَغَيَّرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ هُبُوبِهَا: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٦٠)

النوع الثامن:

الجزع والتسخط على القدر وعدم الصبر

اعلم علمك الله الخير:

أن الأصل في المؤمن أن يرضى بقدر الله تعالى وقضاءه، وأن يستسلم لذلك مذعنًا، عالمًا بحسن وجميل قضاء الله له، راجيًا ثواب الله وخُلْفَه في كل بلية تنزل وكل مصيبة تحل به؛ فإن كل شيء يحدث للعبد فبقدر الله تعالى وتقديره الأزلي.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

وليعلم أن ذلك بكسبه وما جنت يداه

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٩].

وأما التسخط على قدر الله تعالى وعدم الرضا به، وإظهار الجزع القلبي والجزع الحسي بضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، وغير ذلك فهو من الشرك الأصغر، وقد يؤدي بالعبد إلى الشرك الأكبر عياذا بالله تعالى.

فإن كان سببه الشك في حكمة الله وعلمه وقدرته وعدله، أو الاعتراض على ربوبيته وقضائه وقدره، ونحو ذلك، فهذا كفر.

من أمثلة التسخط المكفِّر:

ما وقع من المنافقين بعد غزوة أحد، حيث وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

متى يُعدُّ الجزع وعدمُ الرضا بالقدر من الشرك الأصغر؟

إذا كان التسخط على القدر بغير شك في حكم الله ولا حكمته، فهذا من الكفر الأصغر، نعم ليس مخرجا من الملة ولكنه من كبائر الذنوب، وقد يؤدي بالعبد إلى الكفر المخرج من الملة؛ فهو طريق موصل إلى الردة، والله تعالى له الحكمة البالغة فيما يفعل ويقدِّر، وهو تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، لكمال حكمته.

بأي شيء يقع التسخط على قدر الله تعالى؟

التسخط يقع على ثلاث أنواع من الصور الشركية:

النوع الأول: أن يكون بالقلب

ويكون بعدم الرضا عن الله تعالى في أفعاله؛ كأن يسخط على ربه فيغتاظ مما قدره الله عليه فهذا حرام، قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

النوع الثاني: أن يكون باللسان

كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك، وهذا حرام أيضًا

ومنه حديث أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**» رواه مسلم وأحمد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر؛ حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان»(١). اهـ.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٣٧)

❐ النوع الثالث: أن يكون بالجوارح

كلطم الخدود، وشق الجيوب، ونتف الشعور وما أشبه ذلك، وكل هذا حرام مناف للصبر الواجب.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»(١)

❁ ❁ ❁

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري [٢ / ٨١ رقم ١٢٩٤] بَابٌ لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ، ومسلم [١ / ٩٩ رقم ١٠٣] باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية.

النوع التاسع:

التوسل الشركي

اعلم علمك الله الخير:

أن التوسل عبادة من أجلِّ العبادات القلبية التي يتقرب بها العبد لربه سبحانه وتعالى

والتوسل: مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به: التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

ورد التوسل في كتاب الله تعالى في موضعين:

الموضع الأول: الأمر به كعبادة من العبادات القلبية

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥].

«هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يسخطه الله، من معاصي القلب واللسان

والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه. ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه **القلبية**، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل.

والبدنية: كالزكاة والحج. **والمركبة** من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله له الدعاء»(١).

❐ **والموضع الثاني: في الإنكار على الذين صرفوا هذه العبادة لغير الله تعالى.**

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧].

كان المشركون يعبدون الملائكة، ويعبدون الأصنام، ويعبدون عُزيرا وعيسى بن مريم ابتغاء ما عندهم ورغبة فيما لديهم، فأنكر الله عليهم ذلك؛ فنزلت الآية «يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام والأنداد، فارغبوا إليهم، فإنهم «فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ» أي: بالكلية، ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: أن

(١) تفسير السعدي [ص ٢٣٠]

يحولوه إلى غيركم، والمعنى: أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر»(١)

عن عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ قال: «ناس من الجن، كانوا يُعبدون، فأسلموا. وفي رواية قال: كان ناس من الإنس، يَعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»(٢)

وفي رواية عن ابن مسعود: كانوا يعبدون صنفًا من الملائكة يقال لهم: الجن، فذكره.

وقال السُدِّي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ قال: عيسى وأمه، وعُزير.

وقال مغيرة، عن إبراهيم: كان ابن عباس يقول في هذه الآية: هم عيسى، وعُزير، والشمس، والقمر.

وقال مجاهد: عيسى، والعُزير، والملائكة.

واختار ابن جرير قول ابن مسعود؛ لقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، وهذا لا يعبر به عن الماضي، فلا يدخل فيه عيسى والعُزير.

«وهذه الأقوال كلها في معنى الآية حق؛ **فإن الآية تعم كل من كان معبوده**

---

(١) تفسير ابن كثير [٥ / ٨٨]

(٢) تفسير ابن كثير [٥ / ٨٨]

عابدًا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا وذلك المدعو يبتغي إلى ربه الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر من الداعين ولا تحويله، ولا يدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغير صفته أو قَدْره، ولهذا قال ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فذكر لتعم أنواع التحويل من دعا نبيًا من الأنبياء أو الصالحين، أو دعا الملائكة أو دعا الجن، فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه»(١)

أنواع التوسل:

أولاً: التوسل المشروع

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥].

ويندرج تحت هذا النوع أنواع أخرى مشروعة، منها:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

---

(١) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام [ص ٤٣]

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٦]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣].

ومنه حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فأُطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله بالدعاء وبالعمل الصالح.

فعن عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِن الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِم الْغَارَ فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ** قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِن السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِن الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**

وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَت الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِن الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَت الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»(١)

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه

ومنه طلب الصحابة من النبي ﷺ الدعاء لهم كما في حديث الاستسقاء وغيرها، وكذا طلب عمر من العباس رضي الله عنه الدعاء في الاستسقاء وهذا معروف مشتهر

❐ ثانيًا: التوسل الشركي الممنوع(٢)

١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك

---

(١) البخاري [٣/ ٩١ رقم ٢٢٧٢]

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة [ص ٦٣]

الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ﴾ [يونس:٥٩] ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩].

النوع العاشر:

الغلو

اعلم علمك الله الخير:

أن الشريعة أمرت بالاعتدال في الدين والاستقامة على الصراط المستقيم

قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال سبحانه آمرًا بالاستقامة والاعتدال، ناهيًا عن الغلو والطغيان ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود:١١٢].

وأما الغلو فحرام منهيٌّ عنه شرعًا

فقد حرم الإسلام الغلو؛ لأنه ذريعة الشرك، فالغلو مذموم على أي حال؛ حتى لو وقع في أصل مشروع.

❐ **تعريفه:**

الغلو في اللغة: هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء، أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

والذي يهمنا هنا: الغلو الشركي

وأصل الغلو: المبالغة في تعظيم المخلوق، فهو عمل قلبي، ثم ينبني على هذا العمل القلبي تصرفات وأقوال وأفعال شركية متناسبة وتلك العقيدة الفاسدة

مسألة: لماذا يُعَدُّ الغلو من الشرك الاعتقادي الأصغر؟

الشرك الأصغر مرقاة وذريعة للشرك الأكبر، ولما كان أصل الغلو: المبالغة في تعظيم المخلوق؛ فإنه يبدأ صغيرًا في قلب العبد ثم يتعاظم شيئًا شيئًا حتى يصير شركًا أكبر مخرجًا من الملة؛ ولو أن العبد إذ وَجد من نفسه ذلك في قلبه فدفعه عن نفسه لكان خيرًا له وأيسر وأهدى سبيلًا، أما إذا تركه فإنه يكبر ويتعاظم في قلب العبد حتى يصير في قلبه كالجبل عياذًا بالله تعالى، ثم يحمله على الشرك الأكبر المخرج من الملة، كما حدث لقوم نوح عليه السلام.

الأدلة على تحريم الغلو

جاءت النصوص الشرعية محرمة للغلو، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ

وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٧١].

فتأمل كيف حملهم الغلو في حبهم وتعظيمهم لعيسى ﷺ على الكفر بالله تعالى، وعلى قولهم إن الله ثالث ثلاثة واتخاذ المسيح ربًّا معه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧]

والغلو لا يكون إلا بغير الحق، فإن الغلو مجاوزة الحد المسموح به شرعًا، ومع هذا أكد مرة ثانية بقوله (غَيْرَ الْحَقِّ) وهذا من أشد أنواع التأكيد، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران:٢١].

فقتل الأنبياء غير جائز أبدًا، ولا يملك أحد الحق والحجة في قتلهم ولا في قتالهم أبدًا، ومع هذا قال (بِغَيْرِ حَقٍّ) مؤكدا مرة ثانية على هذا المعنى.

وقد بوب البخاري: «بَاب مَا يُكْرَهُ مِن التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ﴾ [النساء:١٧١]»(١).

(١) البخاري [٩ / ٩٨ رقم ٦١٠١] بَاب مَنْ لَمْ يُوَاجِه النَّاسَ بِالْعِتَابِ، ومسلم [٤ / ١٨٢٩ رقم ٢٣٥٦] باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته.

وعن عَائِشَةَ ﵂: «صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»(١)

فتأمل كيف حملهم غلوهم على أن تنزهوا عن شيء فعله رسول الله ﷺ وهذا عين الغلو؛ فإن أحدًا لن يبلغ مبلغه ﷺ في الخشية والطاعة والورع.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂: «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُ أَحَدُهُمْ كَذَا وَكَذَا؟! لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنَامُ وَأَقُومُ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

وَفِي غَيْرِ الصَّحِيحَيْنِ: «سَأَلُوا عَنْ عِبَادَتِهِ فِي السِّرِّ، فَكَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا»(٢).

وهكذا الغلو يحمل صاحبه على التشدد وتكلف الطاعات التي تثقله فيعجز عن القيام بها وأدائها على الوجه اللائق؛ تمامًا كما فعل النصارى حين

---

(١) أخرجه البخاري [٩ / ٩٧ رقم ٧٣٠١]

(٢) هؤلاء النفر تأولوا هدي النبي ﷺ في عبادته بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فليس محتاجا للاجتهاد في العبادة، وكذلك ليس محتاجا للاستغفار من الذنوب كحاجتهم إلى ذلك، فلذلك ألزموا أنفسهم بالاجتهاد في العبادة والتشدد في ذلك، وكذلك ألزموها بالامتناع عن شيء من المباحات التي كان رسول الله ﷺ يفعلها.

فرضوا على أنفسهم الرهبانية، وهي الانقطاع التام للعبادة، وحرموا على أنفسهم ما أحل الله لهم من الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وغيرها؛ فهل قاموا بما فرضوا وأوجبوا على أنفسهم؟ الجواب: لا، فإنهم عجزوا عن القيام بحقوق ما أوجبوه على أنفسهم من الرهبانية؛ قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧] فهذا كله من شؤم التنطع والغلو بغير حق!

و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ «**أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» ثَلَاثَ مِرَارٍ»(١)

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ: «**الْقُطْ لِي حَصًى**» فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: «**أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(٢)

ووجه الدلالة واضح: وهو أن الغلو والتنطع قد يحمل فئامًا من الحجيج على اختيار الحصى الكبير بدلًا من الصغير، ومعلوم أن الحصى ليس

---

(١) أخرجه: مسلم [٤ / ٢٠٥٥ رقم ٢٦٧٠] باب هلك المتنطعون، وأحمد [٦ / ١٦٧])

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي [٥ / ٢٦٨ رقم]، وابن ماجه [٤ / ٢٢٨ رقم ٣٠٢٩] وابن خزيمة [٢ / ١٣٥١] بَابُ قَدْرِ الْحَصَى الَّذِي يُرْمَى بِهِ الْجِمَارُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الرَّمْيَ بِالْحَصَى الْكِبَارِ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ، وَتَخْوِيفِ الْهَلَاكِ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ.

مقصودًا في ذاته، بحيث يلتقط الحاج الكبير منه ويدع الصغير، لكن المقصود منه المعنى والتعبد لله بامتثال ما شرع الله تعالى على لسان نبيه ﷺ

وكذلك قول النبي ﷺ في الخوارج

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللهِ مِنْهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «**التَّحْلِيقُ**»(١).

والخوارج: ما حملهم على المروق من الدين، واحتقار الخلق وتكفيرهم وازدراء عبادتهم وتحقيرهم لغيرهم إلا الغلوُّ والتنطعُ والتشدد في الدين.

أقسام الغلو(٢)

١. غلو قلبي:

مثل التعظيم والإفراط في الخوف من المخلوق أو محبته.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٢١ / ٥١ رقم ١٣٣٣٨]

(٢) نواقض الإسلام (ص٤٣٠)

٢. غلو قولي لفظي

مثل المبالغة في المدح.

٣. غلو عملي

مثل القيام ورمي الجمار بحجارة كبيرة.

٤. غلو اعتقادي

كغلو الخوارج والمرجئة والقدرية والمعطلة.

حكم الغلو ودرجاته

الغلو منه ما هو كفر أكبر، ومنه ما هو كفر أصغر:

❐ الأول: الغلو الكفري

وهو مخرج من الدين، كغلو النصارى في عيسى، والرافضة في آل البيت، وغلو الصوفية في النبي ﷺ والأولياء وصرف العبادة لهم.

❐ الثاني: غلو معصية وهو داخل في الشرك الأصغر

لأنه وسيلة للشرك، كالغلو في المدح والقيام للخلق ونحوها.

جناية الغلو على الدين:

لا شك أن للغلو جناية عظيمة على الدين وأهله، ومن ذلك:

١ ـ الغلو أعظم أسباب ظهور الشرك في الأرض، ومنه غلو قوم نوح ﷺ

٢ ـ الغلو سبب لعبادة الرسل والأنبياء وتأليههم واتخاذهم أربابا من دون الله تعالى

، كما فعلت النصارى بعيسى بن مريم ﷺ، واليهود بعزير ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠].

٣ ـ الغلو سبب في قتل الخلفاء الراشدين

فعمر بن الخطاب قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتله السبئيون أتباع عبد الله بن سبأ ابن السوداء.

وعلي بن أبي طالب: قتله ابن ملجم من الخوارج.

والحسين بن علي: قتله الشيعة في كربلاء.

وكم من ولي قتل بخنجر الغلو المسموم.

٤ ـ الغلو سبب في تعطيل الأسماء والصفات عن الله تعالى

كما عند الأشاعرة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم.

٥ ـ الغلو سبب في إنكار القدر، وإنكار علم الله تعالى

كما عند القدرية.

٦ ـ الغلو سبب في التكفير والأسماء والأحكام بين الخوارج والمرجئة.

٧ ـ الغلو سبب في فتنة العلماء واتخاذهم أربابا من دون الله تعالى

كما فعل بالقساوسة والرهبان؛ قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

٨ ـ الغلو سبب في شرك القبور والمشاهد والعكوف عليها، ودعاءها من دون الله تعالى

، كما في قبر الحسين والسيد البدوي، وعبد القادر الجيلاني وغيرها.

٩ ـ الغلو سبب في تعظيم الأئمة الصوفية ورفعهم إلى درجة العصمة، بل إلى درجة الربوبية، كما وصفت الصوفية أئمتها بالأقطاب.

١٠ ـ الغلو سبب في إفساد كثير من الجماعات الإسلامية

فظنت كل جماعة أنها الحقيقة بالتأييد والنصرة والبيعة وغير ذلك

١١ ـ الغلو سبب في إفساد عقيدة الولاء والبراء

١٢ ـ الغلو في العلماء

بالمبالغة في مدحهم وتعظيمهم وتقليدهم ونسبة العصمة لهم، وعدم رد خطئهم، وتقليدهم الأعمى في كل ما يقولون.

إلى غير ذلك من الجنايات الكثيرة مما هو مشاهد ومعلوم.

النوع الحادي عشر:

الشرك الأصغر في التوكل

التوكل: هو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

الشرك في التوكل على نوعين:

الأول: شرك أكبر

ويكون باعتماد القلب على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله

كشفاء المرضى، وأمر الرزق، وطلب الولد، ودفع الضر، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في حصول مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة، وهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه اعتماد على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فهؤلاء قد عبدوهم من دون الله تعالى

وقد مر معنا دراسة هذا النوع بالتفصيل

النوع الثاني: الشرك الأصغر

والشرك الأصغر في التوكل هو المقصود هنا

ومعناه: «التوكل على الحي الحاضر في الأسباب الظاهرة

كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى أو غير ذلك، فهذا نوع من الشرك؛ لما فيه من ميل القلب واعتماده على غير الله، هذا إذا كانت الأسباب ظاهرة، أي: يتوكل على من أسبابه ظاهرة.

أما إذا توكل على ميت أو غائب في رجاء ما يطلبه من نصر أو رزق، أو حفظ فيما وراء الأسباب، فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه توكل على غير الله، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

فالتوكل على غير الله تعالى فيما وراء الأسباب يكون شركًا أكبر، والتوكل على غيره فيما أسبابه ظاهرة يكون شركًا أصغر؛ لما فيه من ميل القلب واعتماده على هذا المخلوق، والواجب على المسلم أن يفوض أمره إلى الله.

والتوكل أقوى من الرجاء، فالرجاء يكون عاديًا ويكون حسيًا، لكن التوكل أقوى؛ لما فيه من اعتماد القلب وميله إلى المخلوق»(١)

❁ ❁ ❁

(١) من دروس في العقيدة، الشيخ الراجحي

النوع الثاني عشر:

الشرك الأصغر في المحبة

المقصود هنا بالمحبة الشركية: أن يحمل العبدَ حبُّه لشيء على الوقوع في المحرمات أو ترك الفرائض والواجبات، فهذا عين الشرك الأصغر، أما إذا حملته المحبة على الوقوع في الشرك أو اعتقاده فتكون ـ حينئذ ـ ناقضًا من نواقض الإيمان.

إطلاق العبودية على كل مُعظَّم من المحبوبات

إذا عظم العبد محبوبًا غير الله تعالى فقد أثبت له الشارع اسم التعبد وخصَّه به، وكان به من التعبد بقدر شغفه وشغله به، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

فالهوى لما كان متبوعًا اتباعًا مطلقًا مع مخالفة أمر الخالق سبحانه وتعالى، صحَّ إطلاق اسم الإله عليه، وصح إطلاق اسم التعبد على متبعه.

«والمحبة وَإِن كَانَت جِنْسا تَحْتَهُ أَنْوَاع فالمحبوبات المعظمة لغير الله قد

أثبت الشَّارع فِيهَا اسْم التَّعَبُّد كَقَوْلِه فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»(١)

فَسمي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَة الَّذين إِن أعْطوا رَضوا وَإِن منعُوا سخطوا لِأَنَّهَا محبتهم ومرادهم عبادا لَهَا حَيْثُ قَالَ عبد الدِّرْهَم وَعبد الدِّينَار وَعبد القطيفة وَعبد الخميصة»(٢)

ويدخل في هذا النوع من المحبة قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

ومثل هذه الآية قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

والمعنى: أن مجاوز الحد في محبة الزوجة والولد يخرج العبد إلى ارتكاب المحظور والانقطاع عن إتيان المأمور، فتجده يقطع رحمه ويهجر أهله من أجل رضا زوجته، ويسرق ويرتشي ويتعامل بالربا والمحرم في المكاسب والأرزاق طلبًا للغنى والتوسعة على أولاده.

فهذه المحبة شركية؛ لأنها تحمل العبد على ارتكاب الكبائر والتقصير في

---

(١) أخرجه البخاري [٤ / ٣٤ رقم ٢٨٨٦] بَاب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية [٢ / ٢٦١]

الفرائض، وقد رأينا من ترك الالتزام وطلب العلم والدعوة بسبب شغله بحاجات أهله والتوسعة عليهم.

قال ابن كثير: قال مجاهد: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن:١٤] قال: يحملُ الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه... عن ابن عباس -وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤] -قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناسَ قد فقهوا في الدين، فَهَمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]»(١).

ثم اعلم أن محبة الزوجات والأولاد فتنة واختبار من الله تعالى للعبد؛ ليرى صبره وجلده وتمسكه بدينه، ومحافظته على حدوده؛ ولذا قال بعدها: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥] وتأمل فيما رواه بُرَيْدَةُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا، فَجَاءَ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ**: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] **نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ**

(١) تفسير ابن كثير [٨ / ١٣٩]

أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»(١)

وكذلك حب المال والحرص على الدنيا وحطامها الزائل يحمل العبد أيضًا على إتيان الحرام والتفريط في الفرائض وفي الحديث: «**وَإِيَّاكُمْ والشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ، فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا**»(٢)

فتأمل كيف حملهم حبهم للمال والشح به على ارتكاب المحرمات والكبائر والفجور، وما من شيء أفسد لدين العبد من حب المال والرياسة والفخر والخيلاء، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»(٣)

فتأمل في هذ التشبيه النبوي: لحظيرة ممتلئة بالغنم يدخل عليها ذئبان جائعان، ماذا يصنعان فيها؟ لا شك أنهما لن يتركا واحدة منها إلا أكلاها أو خمشاها أو سَطَوَا عليها، كذلك يفعل حب المال وحب الشرف في دين العبد، لا يدعان فيه شيئا إلا مزقاه وحطماه.

هذا وقد ذكر الله تعالى أصنافًا ثمانية من المحبوبات التي يطغى حبُّها ـ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [٣٨ / ١٠٠ رقم ٢٢٩٩٥]، والترمذي [٥ / ٦٥٨رقم ٣٧٧٤] باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.

(٢) أخرجه: مسلم [٤ / ١٩٩٦رقم ٢٥٧٨] باب تحريم الظلم، وأحمد [١١ / ٢٦ رقم ٦٤٨٧].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد [٢٥ / ٨٥ رقم ١٥٧٩٤]، والترمذي [٤ / ٥٨٨رقم ٢٣٧٦]، والدارمي [٢ / ٣٩٤ رقم ٢٧٣٠] باب ما ذئبان جائعان.

غالبًا ـ على العبد فتقطعه عن طاعة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] فهذه الأصناف من المحبوبات إن غلبت على العبد فقطعته عن طاعة الله واتباع رسوله والجهاد معه ركبه من سخط الله وغضبه بحسبه، ولذا قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم.

والواجب على المسلم أن يكون حب الله في قلبه، وحب رسوله ﷺ أعظم من كل شيء، وألذ إليه من كل شيء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

النوع الثالث عشر:

عبادة الدنيا

من الشرك الأصغر الاعتقادي: عبادة الدنيا؛ بأن يقدم الدنيا على طاعة الله تعالى، أن يحمله حب الدنيا على معصية الله تعالى، فيؤثرها على مرضاة الله تعالى، ويكون هواه تبعًا لها. فهذا نوع من العبودية الصغرى لها، ومن الشرك الأصغر الذي لا يسلم منه فئام من الناس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»(١)

وفي هذا الحديث: تسمية الإنسان بعبد الدنيا والدينار والمال، والحب الزائد للدنيا فيه نوع من معاني العبادة وسرُّ هذا:

أنه لما كانت الدنيا هي مقصود الشخص، ومطلوبه الذي عمل له، وصارت نيته مقصورة عليها، يغضب ويرضى لها صار بذلك عبدًا لها

قال ابن القيم: «وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته»(٢)

---

(١) أخرجه البخاري [٤ / ٣٤ رقم ٢٨٨٦] بَاب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ

(٢) الجواب الكافي [ص ٩٤]

وتأمل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨].

فالمال عندهم والدنيا عندهم هي المقصود الأول وعليها ولها يُعقد الولاء والبراء، فمحبته وبغضه، ومودته وعداؤه لها ومن أجلها.

فهذا شرك في القصود، كما قال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١)

وهذا القصد قصد شركي، وضابطه:

١ ـ أن يريد الشيء كثناء ومدح الناس والدنيا مع الخضوع والتذلل والرغبة وخوف فواته.

٢ ـ أن يقدم الهوى والدنيا على مراد الله ومحبته وطاعته.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

٣ ـ إرادة ما يكرهه الله من المعاصي والذنوب فيريد الدنيا بعمل الآخرة.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري [١ / ٦ رقم ١] كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَوْلُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، ومسلم [٣ / ١٥١٥رقم ١٩٠٧] باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

النوع الرابع عشر:

إرادة الدنيا بعمل الآخرة

اعلم علمك الله الخير:

أن العبد يقدم العبادة وعمل الآخرة ابتغاء وجه الله تعالى، يريد بعمله ثواب الله وما عنده والدار الآخرة؛ قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر:١٤].

وأما إذا أراد بعمله حظا من حظوظ الدنيا فإن هذا من الشرك الأصغر

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦].

ومعنى هذا: أن يبذل عمل الآخرة مما يبتغى به وجه الله تعالى والدار الآخرة؛ ليريد به عرضًا من أعراض الدنيا، كالذي يتصدق ليُخلِفه الله خيرًا ويوسع عليه في المال.

وكالذي يجاهد يريد الغنيمة والمال، ومثله الذي يصلُ رحمه ليطول عمره ويكثر ماله، وكالذي يصوم حميَّة وطلبًا لخفة الوزن، وكالذي يبر والديه ليبره أولاده، أو الذي يتصدق من أجل صلاح أولاده.

كراهة ربط العبادة بالمصالح والفوائد الدنيوية:

ولهذا كره العلماء بعض المسالك التي يسلكها بعض الدعاة حين يذكرون أن من فضائل الصلاة: إخراج الطاقة السلبية من الرأس بكثرة السجود مثلًا، وتليين المفاصل بكثرة الركوع والقيام، وغير ذلك، ومثاله أيضًا: صلاة قيام بنية إصلاح الأولاد ونحوا من هذا؛ فهذه النوايا كلها دنيوية، والسؤال: هل يذم العبد إذا فعل هذا؟

والجواب: **أن العبد ينبغي عليه أن يأتي العبادة امتثالًا لأمر الله تعالى وابتغاء مرضاته، ثم له أن ينوي بعد ذلك مثل هذه النيات، لا بأس بذلك،** كالذي يصوم فرضا أو نافلة ينبغي أن يكون مقصوده الأول الامتثالَ لأمر الله تعالى ثم إذا شاء نوى الحمية أو تخفيف الوزن ونحو ذلك من النيات الدنيوية وهكذا؛ كما قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١)

وقوله: ﷺ: «**مَن اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»(٢)

وقوله ﷺ: «**مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري [١ / ١٦ رقم ٣٨] بَاب صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِن الْإِيمَانِ

(٢) أخرجه البخاري [١ / ١٨ رقم ٤٧] بَاب اتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ مِن الْإِيمَانِ

ذَنْبِهِ»(١)

وقوله: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢)

وأمثله هذا كثيرة جدًّا

إرادة الدنيا بعمل الآخرة سبب في هلاك العبد

اعلم علمك الله الخير:

أن إرادة الدنيا بعمل الآخرة سبب في هلاك العبد؛ فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ، وَالنَّصْرِ، وَالرِّفْعَةِ فِي الدِّينِ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»(٣)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لِتخيرُوا بِهِ الْمَجْلِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ**»(٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يعلمه إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِن الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري [١ / ١٦ رقم ٣٥] بَاب قِيَامُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِن الْإِيمَان

(٢) أخرجه البخاري [١ / ١٦رقم ٣٧]

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد ط الرسالة [٣٥ / ١٤٨رقم ٢١٢٢٤]، والبيهقي في الشعب [٩ / ١٥٦ رقم ٦٤١٦]

(٤) **حسن لغيره**: أخرجه ابن ماجه [١ / ١٧٠رقم ٢٥٤]، والبيهقي في الشعب [٣ / ٢٦٩ رقم ١٦٣٥]

الْقِيَامَةِ»(١) يَعْنِي: رِيحَهَا

عن ابن المبارك، قال: «قيل لسفيان مَنِ الناسُ؟ قال: «العلماء»، قيل: فمن السفلة؟ قال: «الظلمة»، قيل: فمن الغوغاء؟ قال: «الذين يكتبون الحديث، يأكلون به الناس» قيل: فمن الملوك؟ قال: «الزهاد».

وليتق المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه»(٢)

وعن علي بن أبي طالب، أنه قال: «يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقا، فيباهي بعضهم بعضا، حتى أن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ»(٣)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ أَعْيَانِهِمْ - أَوْ قَالَ: أَهْلَ زَمَانِهِمْ - ولَكِنْ بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد [١٤ / ١٦٩رقم ٨٤٥٧]، وأبو داود [٣ / ٣٦١رقم ٣٦٦٦]، وابن ماجه [١ / ١٦٩]

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي [١ / ٢٢]

(٣) الجامع لأخلاق الراوي [١ / ٣٣]

يَقُولُ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَا هَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لِأَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**»(١)

ومن أجل هذا كان السلف يخافون من بذل عمل الآخرة لأجل الدنيا أو لعرض من أعراض الدنيا

فعن مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: «سَأَلْتُ الْحَسَنَ: مَا عُقُوبَةُ الْعَالِمِ؟ قَالَ: «مَوْتُ الْقَلْبِ» قُلْتُ: وَمَا مَوْتُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**طَلَبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ**»(٢)

الفرق بين هذا النوع والذي قبله:

سبق أن ذكرت أن من أنواع الشرك الاعتقادي الأصغر:(عبادة الدنيا) وذكرت هنا (إرادة الدنيا بعمل الآخرة) فهل ثمة فرق بينهما؟

والجواب: نعم، ثمة فرق بينهما، وهو أن النوع الأول (عبادة الدنيا) عام في كل مشتهى وكل مقصود سواء كان طاعة أو معصية، مباحًا أو مكروهًا، وأما النوع الثاني (إرادة الدنيا بعمل الآخرة) فهو متعلق بالصالحات من الأعمال فقط؛ فصاحبه يبذل عمل الآخرة قربانًا وثمنًا لعرض من أعراض الدنيا، كما في الحديث

«**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي**

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه [١ / ٩٥ رقم ٢٥٧] وحسنه الألباني، والبيهقي في شعب الإيمان [٣ / ٣١٢]

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [٣ / ٢٩٧ رقم ١٦٩٦]

كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(١)

وموضع الدلالة في الحديث: قوله: «**يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» والمعنى: هوان الآخرة في قلبه فهو يقدمها رخيصة؛ ليشتري بها عرضا من أعراض الدنيا ولو كان قليلا رخيصًا، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

ومثله قوله ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنَّ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ، بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا**»(٢) يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ

موضع الدلالة في الحديث قوله: «وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا»

والمعنى: أن المنافق لو علم أنه بشهوده لصلاة العشاء في المسجد أن يجد شيئا من عرض الدنيا ولو كان يسيرا لسارع إليها وشهدها، لا لفضلها وإرادة الآخرة، إنما طلبا للدنيا ولعرضها الزائل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (١/ ١١٠ رقم ١٨٦) بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٥١ رقم ٢٥١) باب الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة والجمعة

النوع الخامس عشر:

الشرك الأصغر في العبادات القلبية[١]

العبادات القلبية كثيرة، وهي خفية يخفى حالها على أكثر الخلق، ولذا كان الشرك فيها كثير، فمن ذلك:

١ ـ **جنس الإخلاص**: الابتغاء، النية، الإرادة، القصد.

٢ ـ **جنس الخوف**: الخشية، الرهبة، الوجل، الهيبة، الإشفاق.

٣ ـ **جنس الرجاء**: الرغبة، الأمل، الطمع، حسن الظن.

٤ ـ **جنس التوكل**: الحسب، الاستكفاء، التفويض، الاعتماد، التسليم، الثقة.

٥ ـ **جنس المحبة**.

٦ ـ **جنس الذكر**: الشكر، والثناء، والمدح والحمد، والتسبيح والتقديس، والتنزيه والاستغفار، والتحية والحلف.

٧ ـ **جنس التعظيم**: التوقير، والتقدير، والإجلال.

---

(١) نواقض الإسلام (ص ٥٥٧، ٥٥٨)

٨ ـ **جنس التذلل**: الخضوع، والإخبات، السكينة، الخشوع، الخنوع، الاستكانة، التضرع، التواضع، التقوى، السكون، الاطمئنان، الصبر.

٩ ـ جنس الطاعة والانقياد:

الانقياد والإذعان والامتثال، والالتزام والطاعة، والإسلام، والاستسلام، والاتباع، والانصياع.

١٠ ـ جنس الصبر واليقين والرضا.

١١ ـ جنس الحكم والدين:

الحكم والتحاكم والطاعة، والتشريع والتحليل والتحريم وسن الدين.

النوع السادس عشر:

الشرك الأصغر في الخوف

مر علينا الشرك الأكبر في الخوف، والمقصود هنا الشرك الأصغر فيه

المقصود بالخوف هنا: خوف العبادة، وهو الخوف الذي يكون معه تعظيم وإجلال وخشية ورجاء للمَخُوف.

والخوف: إما أن يكون لسبب ظاهر: فهذا لا شيء فيه

كالخوف من السبع لكونه مؤذيًا، وكالخوف من الثعبان لخوف سمه وهكذا

أما خوف السر: وهو الخوف مما وراء الأسباب الظاهرة، فهذا الخوف الاعتقادي المحرم.

فإن كان يخاف بسره من شيء لكونه سببًا في ضره وأذاه وجلب الألم له فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا سببًا، وأما إذا خافه لذاته معتقدًا أنه يملك النفع والضر لذاته من دون الله فهذا شرك أكبر مخرج من الملة

والذي يعنيننا هنا: كونه يعتقد ما ليس سببا في الضر والأذى سببًا، فهو خوف خفي مما وراء الأسباب الظاهرة

فالتطير مثلًا: توقع الشر والضر من رؤية طائر معين أو شخص معين أو مكان أو زمان أو كلمة وغير ذلك.

وهذا يسمى بخوف السر، وهو الخوف الذي يكون فيما وراء الأسباب، كأن يخاف منه أن يقطع رزقه بسرِّه لا بسبب ظاهر أو يمرضه، أو يسلط عليه عدوًا، ويكون مع خوفه إجلال وتعظيم وخشية ورجاء له، فهذا الخوف الذي يكون فيما وراء الأسباب، فهو لا يخاف لأن أمامه سببًا، بل يخاف لأنه يعتقد أن هناك سرًّا يستطيع به أن يصيبه بمكروه.

ومن أمثلته أيضًا: أن يترك المسلم الإنكار مهابة الناس وخشيتهم أو يفعل المنكر خوفا منهم من غير أن يوجد الإكراه الحقيقي.

وقيل: هو الخوف من المخلوق في كل شيء، كذلك أن يخاف من المخلوق فيترك فعل المأمور خوفا منه، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**»(١)

قال: فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ وَقَالَ وَاللهِ رِأَيْنَا أشياء فَهِبْنَا.

ومثاله أيضًا: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا النوع محرم، وهو داخل في الشرك الأصغر، **فترك الواجب أو فعل المحرم خشية**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد ط الرسالة [١٨ / ٥٤]، والترمذي [٤ / ٤٨٣ رقم ٢١٩١]، وابن ماجه [٢ / ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٧] باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الناس من هذا النوع، بل ينبغي على العبد ألا يصده شيء عن طاعة الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد - وقد فرض عليهم الصلاة والزكاة - وكانوا يسألون الله أن يفرض عليهم القتال، فلما فرض عليهم القتال شق عليهم ذلك وقالوا ما أخبر الله عنهم في كتابه»(١).

فمن خشي أحدا أكثر من خشيته من الله تعالى - ليس خوف العبودية - فهو الخوف المحرم، وهو كمن أحب غير الله أكثر من محبة الله - ولكن أيضًا ليس محبة العبودية -.

ويدخل تحت هذا النوع أيضًا حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ

(١) تفسير الطبري (٥٤٧/ ٨)

أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»(١)

وهذه كانت بيعته ﷺ لأصحابه فعند أحمد وغيره عن جابر رضي الله عنه في بيعة العقبة قال: «فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، علَامَ نُبَايِعُكَ، قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ، لا تَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»(٢)

وقوله ﷺ: «أَلَا لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُوْلَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ»(٣)

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: «أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ

---

(١) **متفق عليه**: البخاري [٩ / ٧٧ رقم ٧١٩٩] بَاب كَيْفَ يُبَايِعُ الْإِمَامُ النَّاسَ، ومسلم [٣ / ١٤٧٠ رقم ١٧٠٩] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية

(٢) **حسن**: أحمد [٢٢ / ٣٤٧] وأخرجه البزار (١٧٥٦- كشف الأستار)، وابن حبان (٦٢٧٤)

(٣) **صحيح**: أحمد [١٨ / ٥٤ رقم ١١٤٧٤] وأخرجه أبو يعلى (١٤١١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٢٥)

أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»(١)

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أحمد [٣٥ / ٣٢٧ رقم ٢١٤١٥] وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٦٤٨)، والبيهقي (١٠/ ٩١)

النوع السابع عشر:

التوكل الشركي الأصغر

وهو التعلق بالمخلوق في الأمور الظاهرة والأسباب العادية كمن يتوكل على السلطان

فيما يجعله الله بيده من الرزق، أو دفع الأذى، أو يعتمد على الوظيفة أو الواسطة في تحصيل مراده، والاعتماد على الأسباب في كل شيء من دون الالتفات لربه وتوكله عليه.

وتأمل في هذا الحديث: عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ، وَالرَّجُلَيْنِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ: «هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ**» ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ، فَخَاضَ الْقَوْمُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: مَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلامِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا قَطُّ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ

إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَخُوضُونَ فِيهِ؟**» فَأَخْبَرُوهُ بِمَقَالَتِهِمْ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» ثُمَّ قَامَ الْآخَرُ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»(١)

ووجه الدلالة في الحديث:

أن هؤلاء لما عظم توكلهم على الله تعالى وامتلأت قلوبهم بحسن الظن به، وجميل التوكل والاعتماد عليه، لم يلتفتوا إلى التعلق بالأسباب، كما يحصل من كثير من الناس؛ فإن هذه العوارض التي ذُكرت في الحديث (الاكتواء، وطلب الرقية، والتشاؤم والتطير) يقع فيها كثير من الناس؛ وتتعلق قلوبهم بها إما طلبًا للمنفعة والخير كما في الاكتواء والرقية، وإما دفعًا للشر وخوفًا منه كما في التشاؤم والتطير، فحينذاك تذهب شعبة من شعب التوكل من قلوبهم؛ مع الأخذ في الاعتبار أن الاكتواء والرقية مباحة في الشرع وأن طلبهما لا إثم فيه ولا حرج، لكن لما صار يقع تعلق القلب يقع فيها أكثر من غيرها أشار إليها وخصَّها بالذكر والذم هنا، وإلا فإن العبد إذا انصرف قلبه وتعلق بأي شيء غيرها انسحب عليها الحكم قطعًا، وكذلك التشاؤم في انصراف قلوب كثير من الناس في نسبة الشر والضر إلى ما وراء الحسِّ

(١) أخرجه البخاري [٧ / ١٢٦ رقم ٥٧٠٥] بَاب مَن اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ وَفَضْلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ، ومسلم [١ / ١٩٧] باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأحمد [٤ / ٢٦٢ رقم ٢٤٤٨]

والأسباب الظاهرة، وهو معنى التشاؤم.

وحقيقة التوكل: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها، ولذلك ختم صفاتهم بأنهم (**عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ**) فإنهم من حسن توكلهم وتمامه لا يتعلقون بالأسباب إلا لكونها أسبابًا فقط، ولذلك جزم بعض أهل العلم بجواز الاكتواء وطلب الرقية من غير كراهة لمن صحَّ اعتقاده وسلم له توكله، ولا يخرج من جملة السبعين ألفًا بهذا.

وحسن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب المأذون فيها شرعًا، لكن المذموم هو أن ينصرف قلبه إلى التعلق بالأسباب فيعطيها أكثر ما تستحق من الاعتماد عليها والتعويل على مفعولها وانصراف شعبة من شعب التوكل إليها

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «وأقرب تعريف للتوكل أن يُقال: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها، صدق الاعتماد على الله في حصول المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها، فلا بد من هذين الأمرين: أن يكون اعتمادك على الله تعالى صادقا اعتمادا حقيقيا، والشيء الثاني: أن تفعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكلُه على الله ومن جعل اعتمادَه أكثره على الله ملغيًا الأسباب فقد طعن في حكمة الله عَزَّوَجَلَّ»

عن ابن عباس أنه قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون! فيحجون، فيأتون مكة، ويسألون الناس... فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

وقد سئل أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عمن يقعد ولا يكتسب ويقول**: توكلت على الله؛ فقال: ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله، ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب، وقد كان الأنبياء يؤجرون أنفسهم، وكان النبي ﷺ يؤجر نفسه وأبو بكر وعمر، ولم يقولوا نقعد حتى يرزقنا الله، وقال الله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

النوع الثامن عشر:

الشرك الأصغر في الرجاء

اعلم علمك الله الخير

أن العبد إذا علق رجاءه بغير الله تعالى خاب وخسر بقدر تعلقه بغير الله تعالى

فما علق أحدٌ رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذِل، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا﴾ [مريم:٨١، ٨٢].

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»(١)

فتأمل كيف خيب ظنهم ولم يستفيدوا شيئًا من شركهم؛ فإنهم يُعاملون بنقيض قصدهم، وهذا حال كل من تعلق بغير الله تعالى، فإنه يخذل ويخزى من نفس الجهة التي تعلق بها

---

(١) **حسن**: أحمد [٢٨ / ٦٢٣ رقم ١٧٤٠٤] وابن حبان (٦٠٨٦)، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٨٢٠)

وجوب تعلق القلب بالله تعالى وحده

ثم اعلم أن العبد يجب أن يكون تعلقه بالله وحده فلا يلتفت لغيره أبدا، مهما بلغ سلطانه أو ملكه؛ فإن الله أعظم من ذلك كله؛ وسبب ذلك: «أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرر؛ ولا عطاء ولا منع؛ ولا هدى ولا ضلال؛ ولا نصر ولا خذلان؛ ولا خفض ولا رفع؛ ولا عز ولا ذل؛ بل ربه هو الذي خلقه ورزقه؛ وبصره وهداه وأسبغ عليه نعمه؛ فإذا مسه الله بضر فلا يكشفه عنه غيره؛ وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه؛ وأما العبد فلا ينفعه ولا يضره إلا بإذن الله»(١)

وهذا ما علمه النبي ﷺ لابن عباس وهو غلام يافع «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»

الشرك في الرجاء(٢):

ويقع الشرك في الرجاء بأن يرجو من الحي الحاضر شيئًا يقدر عليه العبد، ولكنه يعتقد في استقلال المرجوِّ بأسباب النفع والضر من دون الله تعالى.

كمن يرجو من غيره أن يداوي مريضه، وهو يعتقد أن الطبيب بيده الشفاء، فيتعلق قلبه بالطبيب المعالج أكثر من تعلقه بالله تعالى، أو يطلب الرقية معتقدًا النفع والضر في الراقي، أو يطلب من الحي الحاضر الدعاء

---

(١) مجموع الفتاوى [١ / ٢٧]

(٢) مر معنا في الجزء الأول من الكتاب ذكر الرجاء الشركي المخرج من الملة، وهو أن يرجو من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وكذلك الرجاء جلب المنافع أو دفع المضار من الغائب أو الميت، مع التذلل والخضوع، فهذا شرك أكبر.

معظمًا له معتقدًا في ذاته النفع والضر كما يفعل غلاة الصوفية والشيعة مع شيوخهم وعمائمهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرجاء ينبغي أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله؛ فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا، **فالسبب لا يستقل بنفسه بل لابد له من معاون، ولا بد أن يمنع العارض المُعوِّق له، وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله**»(١).

فالشرك في الرجاء إذًا يحصل بتعلق القلب بالمخلوق مع فوات حظه من حسن الظن بالله والرجاء وذهاب شعبة من شعب التوكل على الله.

من تعلق بغير الله ورجاه خُذِل من تلك الجهة:

واعلم أن كل من أحب شيئا لغير الله فلا بد أن يضره محبوبه؛ ويكون ذلك سببا لعذابه؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وما رجا أحدٌ مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنُّه فيه»(٢)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعة، أو يدفعوا عنه مضرة فإنه يخذل من جهتهم، ولا يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والأموال وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته

---

(١) مجموع الفتاوى(١٠/ ٢٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٩.

إليهم فلا ينفعونه، إما لعجزهم وإما لانصراف قلوبهم عنه، وإذا توجه إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصًا له الدين أجاب دعاءه، وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشية أبدًا متضمنة الرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطًا كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله»(٢)

عِظم العطاء مع عِظم الرجاء:

«والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا إليه وخضوعا له: كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق: أعظمهم عبودية لله. وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره!.

فأعظم ما يكون العبد قدرا وحرمة عند الخلق: إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم: كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم - ولو في شربة ماء - نقص قدرُك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدين كله لله، ولا يُشرك به شيءٌ»(٣).

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧).
(٣) مجموع الفتاوى [١ / ٣٩]

النوع التاسع عشر:

شرك اتباع الهوى

اعلم علمك الله الخير

أن النفس مجبولة على اتباع الهوى، والسعي في إشباع شهواتها، فإن تركها العبد وما أرادت أوردته الموارد، وحجبته عن كل خير، خاصة إذا ساعدها الشباب والقوة والفراغ والمال وانتشار الشر، ولذا فإنها تحتاج إلى مجاهدة وسعي دائم في إصلاحها.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠].

وقد قيل: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ»

تعريف الهوى:

قال الشاطبي: «سمى الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار»(١)

نهى الله تعالى عن اتباع الهوى في كتابه قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء:١٣٥].

---

(١) الموافقات (١/ ٢٠)

والهوى مذموم لأنه مخالفة الحق والحيف والظلم والجور؛ قال ابن عباس: «ما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الهوى في كتابه إلا ذمه»(١)!!

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

قال شيخ الإسلام: ««وَأَضَلُّ الضَّلَالِ» اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَالْهَوَى كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ ذَمَّهُمْ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣] وَقَالَ فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١-٤] فَنَزَّهَهُ عَنِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ اللَّذَيْنِ هَمَّا الْجَهْلُ وَالظُّلْمُ فَالضَّالُّ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ الْحَقَّ وَالْغَاوِي الَّذِي يَتَّبِعُ هَوَاهُ»(٢).

اتباع الهوى نوع من الشرك

«وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣] فهو أعظم معبود فإنه لا يُعبدُ شيءٌ إلا به ولا يُعبدُ هو إلا بذاته. وفيه أقول:

---

(١) ذم الكلام وأهله للهروي (٢/ ٣٨٦ رقم ٤٦٢) دار النشر: مكتبة الغرباء.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٤)

وحـــــقُّ الهـــــوى أن الـــــ ∴ ـــــهوى: ســـــببُ الهـــــوى
ولـــــولا الهـــــوى في القلـــــبِ ∴ مـــــا عُبـــــد الهـــــوى»(١)

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣].

قال ابن كثير: «﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا في هوى نفسه، كان دينَه ومذهبَه، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]. قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول»(٢)

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أن أصحاب الأهواء قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يهتدون أبدا إلى الحق؛ فتجده لا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئا يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٣)
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٣)

وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] يحتمل قولين:

أحدها: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك.

والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه.

والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس.

ثم اعلم: أن اتباع الهوى أصل كل بلية، وهو رأس الخطايا والسيئات، وهو نوع من أنواع الشرك، ولذا قيل: الهوى: شر إله عبد من دون الله!.

والعبد إذا أطاع هواه في ارتكاب الموبقات وترك الواجبات فقد اتخذه إلهًا من دون الله تعالى، فاتباع الهوى يُضيِّع على العبد أمر دينه ودنياه وآخرته؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿فُرُطًا﴾ أي: ضائعة معطلة.

حصول الضلال من لوازم اتباع الهوى:

قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

ذكر الله تعالى أن من اتبع هواه أضله عن سبيل الله، وأعماه عن الحق.

تحذير السلف من مجالسة أهل الأهواء:

ولهذا حذر السلف عن مجالسة من هذه صفته، كما **قال أبو قلابة**: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ»(١).

يعني أن مجلس صاحب الهوى لا يسلم من الشر. فإما أن يتابع صاحب الهوى على هواه وباطله، أو يدخل عليه شبهة في دينه الذي يعرف أنه حق.

وقال ابن عباس: «لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ؛ فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ»(٢).

وقال ابراهيم النخعي: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ؛ فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ تَذْهَبُ بِنُورِ الْإِيمَانِ مِنَ الْقُلُوبِ، وَتُسْلِبُ مَحَاسِنَ الْوُجُوهِ، وَتُورِثُ الْبُغْضَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ»(٣).

يعني أنهم يعدون من قرب منهم، كما أن من قارب الأجرب جرب.

عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:١٧١] قَالَ: «لَا تَبْتَدِعُوا وَلَا تُجَالِسُوا مُبْتَدِعًا»(٤)

وعن مُجَاهِد قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ عُرَّةً كَمعُرَّةِ

---

(١) أخرجه الدارمي (١ / ١٠٨)
(٢) السابق (٢/ ٤٣٨ رقم ٣٧١)
(٣) السابق (٢/ ٤٣٩ رقم ٣٧٥)
(٤) السابق (٢/ ٤٤٠ رقم ٣٨٠)

الْجَرَبِ»(١)

قَالَ محَمَّد بْن عَلِيٍّ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ؛ فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللهِ»

يقصد قوله - تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

قال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، وَمَنْ كَانَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْمَسَاكِينِ نَفَعَهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يُفْسِدُ عَلَيْكَ قَلْبَكَ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ هَوًى فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مَقْتَ اللهِ»(٢).

عن حَمَّاد بْن زَيْدٍ قال: «قَالَ لَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ فَخُذُوهَا عَنِّي حَيِيتُ أَوْ مُتُّ: لَا تُمَكِّنْ سَمْعَكَ مِنْ صَاحِبِ هَوًى، وَلَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرِمٍ وَلَوْ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ، وَلَا تَدْخُلَنَّ عَلَى أَمِيرٍ وَلَوْ أَنْ تَعِظَهُ»(٣).

عَنْ **أَيُّوب السَّخْتِيَانِيِّ قَالَ**: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: «يَا أَيُّوبُ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا: لَا تَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْقَدَرَ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ،

(١) السابق (٢/ ٤٤١ رقم ٣٨٤)
(٢) السابق (٢/ ٤٦٢)
(٣) السابق (٢/ ٤٤٢)

فَأَمْسِكَ وَلَا تُمَكِّنْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ مِنْ سَمْعِكَ، فَيَنْبُذُوا فِيهِ مَا شَاءُوا»(١).

قال عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمُلَائِيُّ: «كَانَ يُقَالُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ فَيُزِيغَ قَلْبَكَ».

قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ: «لَأَنْ تُجَاوِرَنِي الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ فِي دَارٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١١٩]»(٢)

قال إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: «لَا تُجَالِسْ ذَا بِدْعَةٍ فَيُمْرِضَ قَلْبَكَ، وَلَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا فَإِنَّهُ مُلَقَّنٌ حُجَّتَهُ»(٣)

اتباع الهوى يحمل العبد على الكفر الأكبر

قال تعالى في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠].

فتأمل كيف حملهم اتباع الهوى على تكذيب الرسل، ودحض الرسالات، وقتل الرسل وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس والكفر بالله

(١) السابق (٢/ ٤٤٥ رقم ٣٩٧)
(٢) السابق (٢/ ٤٦٧ رقم ٤٦٦)
(٣) السابق (٢/ ٤٤٣ رقم ٣٩١)

تعالى.

درجات اتباع الهوى:

واتباع الهوى درجات:

١. ما يكون كفراً أكبر مخرجا من الملة

قال شيخ الإسلام: «قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَا يَهْوَاهُ فَقَد اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ فَمَا هَوِيَهُ هَوِيَة إلَهُهُ فَهُوَ لَا يَتَأَلَّهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّأَلُّهَ بَلْ يَتَأَلَّهُ مَا يَهْوَاهُ وَهَذَا الْمُتَّخِذُ إلَهَهُ هَوَاهُ لَهُ مَحَبَّةٌ كَمَحَبَّةِ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ، وَمَحَبَّةِ عُبَّادِ الْعِجْلِ لَهُ وَهَذِهِ مَحَبَّةٌ مَعَ اللهِ لَا مَحَبَّةٌ لِلَّهِ وَهَذِهِ مَحَبَّةُ أَهْلِ الشِّرْكِ»(١).

٢. ما يكون بدعةً منكرةً

كما عند الصوفية وغيرهم من الطوائف المبتدعة؛ فإنها لم تحكِّم في مناهجها السنةَ ولا الكتاب، بل حكموا عقولهم وأصولهم الفاسدة المخالفة للكتاب والسنة وانتصروا لها، وحاربوا مخالفيها وبذلوا النفس والنفيس في نصرة مبادئهم المبتدعة:

«وهكذا أهل البدع فمن قال: إنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة.

فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٩)

فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر»(١).

٣. ما يكون كسائر الكبائر

كتارك الواجب ومرتكب الرذائل والفواحش تبعا لهواه وشهواته؛ فإن كل مرتكب للفواحش وتارك للواجب لا يكون إلا باتباع للهوى.

وحكمه كحكم ما ارتكب من الكبائر.

٤. ما يكون كسائر المعاصي والسيئات

وهو الذي يحمل العبد على فعل المكروه وترك المندوب، وهو كثير بين الناس.

عافانا الله وإياكم من الأهواء وأهلها.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦٠)

النوع العشرون:

كفر النعم وجحدها وعدم شكرها

اعلم علمك الله الخير:

أن النعم جميعها من الله وحده صغيرها وكبيرها، ظاهرها وخفيها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

والنعمة: جاءت نكرة لتدل على العموم والشمول.

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وقال في سورة النعم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨].

شكر النعمة قائم على ثلاثة أركان:

الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليها ومُسْدِيها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

ومن آكد هذه الأركان: العمل بالنعمة

قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل:٨٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨].

كيف يقع كفر النعمة من العبد؟

يقع كفر النعمة من العبد بأحد شيئين:

❐ الأول: انتفاء إقرار القلب بكونها ليست من الله

فلا يقر بتوفيق الله تعالى له في تحصيل النعمة؛ قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل:٨٣].

كما حكى الله تعالى عن عموم الكفار بقوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٤٩].

وجه الدلالة قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ فهو غير معترف بمنة الله عليه بكشف كربه، ولا مقرٍّ بجميل إنعام الله عليه، بل ينسب ذلك لنفسه وحوله وقوته؛ وهذا من أعظم الفتن ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وكما قال تعالى عن قارون حين ذكَّره قومه بنعمة الله تعالى عليه في كثرة المال وسعة الحال: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧]

فأجابهم بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [القصص:٧٨].

وهذا الوجه هو الذي يخص بحثنا وعليه يتوجه الكلام.

❐ **الثاني: أن ينسب نعمة الله تعالى للمخلوق مع نسيان الخالق**

قال تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣].

قال عون بن عبد الله: هو قول الرجل: لولا فلان لكان كذا وكذا، ولولا فلان لما كان كذا. ذكره البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تفسيره.

قاعدة: قد يطلق لفظ الكفر في النصوص الشرعية ويراد به كفر النعمة:

عن أَبَي هُرَيْرَةَ، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**»(١)

قال النووي: «قِيلَ فِيهِ تَأْوِيلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ فِي حَقِّ الْمُسْتَحِلِّ وَالثَّانِي: أَنَّهُ كُفْرُ النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَحَقِّ اللهِ تَعَالَى وَحَقِّ أَبِيهِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْكُفْرُ الَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ »(٢).

ومثله حديث جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ اسْتَنْصِتِ النَّاسَ

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٠ رقم ١١٣)

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٠)

فَقَالَ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١)

«قِيلَ فِي مَعْنَاهُ سَبْعَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ فِي حَقِّ الْمُسْتَحِلِّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَالثَّانِي: الْمُرَادُ كُفْرُ النِّعْمَةِ وَحَقِّ الْإِسْلَامِ وَالثَّالِثُ أَنَّهُ يُقَرِّبُ مِنَ الْكُفْرِ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِ..»(٢)

وقوله ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**» متفق عليه

«وَفِيهِ أَقْوَالٌ أَصَحُّهَا أَنَّ مَعْنَاهُ هُمَا مِنْ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ كُفْرُ النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّابِعُ: أَنَّ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَحِلِّ»(٣)

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِن اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي**

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥ رقم ١٢١) بَاب الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ، ومسلم (١/ ٨١) بَابُ «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٥)

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٧)

مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(١)

فقوله: «كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»

المراد بالكفر هنا: الأكبر إن كان يعتقد أن الكواكب هي الخالقة المنشئة للمطر

وأصغر: وهو كفر النعمة إن اعتقد أن المطر من خلق الله لكن نسب ذلك إلى الكوكب؛ فهذا شرك لفظي.

والأمثلة على هذا كثيرة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٣ رقم ١٠٣٨) بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ شُكْرَكُمْ، ومسلم (١/ ٨٣ رقم ١٢٥) بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ

خـــاتمـــة

وفي نهاية هذا البحث أحمد الله تعالى الذي وفق لاختياره، وأعان على جمعه وإتمامه، وبسط في العمر حتى كُتبتْ آخرُ أحرفه وأرقامه، فالحمد لله كثيرا وافرا غير منقطع على تمام فضله، وتوافر كرمه، وسوابغ نعمه، وجميل عطائه، وعظيم إعطائه.

وقد بذلتُ في جمع مادته جهدي، وأردتُ منه النفع لي ولإخواني وللمسلمين والله من وراء قصدي، وبينتُ فيه بيانًا ـ أحسبه ـ شافيًا خطورة الاعتقاد السيء، وأشرت إلى ضرورة ووجوب تصحيح الاعتقاد، وتوحيد الاعتماد، وألا يجري العبد ويعتمد على موروث المعتاد، من عقائد التربية والسلوك والعادات والتقاليد؛ فإن معظم هذه يقع فيها الخطأ والشطط، والشيطان يريد أن يظفر من العبد بشعبة من شعب الشرك؛ فيفسد عليه معتقده، ويحبط له جميل عبادته وعمله، فواجبٌ على كل مكلف لازمٌ أن يصحح اعتقاده، وينتبه لإيمانه؛ حتى لا تعبث به عواصفُ الشبهات، ولا موحشاتُ المعتركات، ولا مزالقُ أهل الزيغ والشهوات، كما أنه واجب عليه أن يقيم قلبه على عقيدة أهل السنة والجماعة في المعتقد والسلوك والقول والعمل.

هذا وقد كتبت هنا رقم هاتفي لمن أراد النصيحة أو التصحيح.

وأردفته بالإيميل لمن أراد المراسلة.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

اللهم اغفر لي ما زلَّ فيه القلم، وخان فيه الفؤاد، واغترَّ فيه القلب، وأصاب سويداءه العُجْب، وجرى فيه الرياء، وقصر عنه الوفاء، وأحاط به البلاء، ونسألك اللهم قلبًا سليمًا، وصراطًا مستقيمًا، ورزقًا دارًّا، وعملًا بارًّا، ولسانًا بذكرك مشغولًا، وعمرًا بطاعتك معمورًا، وسعيًا بكرمك مشكورًا، وعملًا بجودك مقبولًا، ورزقًا واسعًا من خزائنك مبذولًا،، وجودًا بفضلك سابغًا، وسترًا بعفوك شاملًا دائمًا، وجسدًا على غِيَر الزمان وتقلب الأحوال صابرًا، وفؤادًا بقضائك راضيًا، وعلمًا نافعًا وقلبًا خاشعًا وعينًا دامعًا.... آمين.

اللهم طهر قلوبنا من كل شرك وشبهة، ومن كل إرادة فاسدة ومحرمات الشهوة، ومن كل جفوة للإيمان ونبوة، ومن كل فتنة مضلة وكبوة، ومن كل مصيبة تذهب بالدين وجفوة.

اللهم اشف أمراض قلوبنا، وأحيي برحمتك مواتها، وأصلح لنا ما فسد منها، واجبر برحمتك كسرها، واشف برحمتك أمراضها.

اللهم واربط على قلوبنا إذا زاغت القلوب، واستر منا خبائث النفس والعيوب، واجبر برحمتك كسر القلوب، وجُدْ بحلمك ومغفرتك على من ملأ بالذنوب الدروب، واستجلب على نفسه المصائب والخطوب.

اللهم ظنٌّ جميل بعفوك يمحو الخطايا، ورغبةٌ فيما عندك تغفر البلايا، ورجاءٌ في رحمتك يستمطر العطايا، ودعوةٌ مستجابةٌ من عندك ترزقنا بها صالح الخواتيم عند نزول المنايا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ الله على عبدك ونبيك محمدٍ وسلم تسليمًا كثيرًا

كتبه حامدًا شاكرًا

مستغفرًا مصليًا على نبيه مسلمًا

إسماعيل العضامي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين.

الأحد ٢١ من رجب ١٤٤٥هـ

الموافق ٢ من فبراير ٢٠٢٤ م

ت: ٠١١١٨٩٤٤١٦٧

aalodaami@gmail.com

فهرس الموضوعات

مقدمة ٧
الباب الأول: مسائل ومقدمات ٢١
تعريف الإيمان..... ٢٣
المراد من إيراد هذه الإجماعات والنقولات: ٢٦
أركان الإيمان: ٢٦
أصول الإيمان الستة التي يبنى عليها: ٢٨
تعريف الكفر: ٢٩
تعريف الكفر لغة: ٢٩
تعريف الكفر اصطلاحًا: ٣٠
أنواع الكفر: ٣٠
الكفر الأول: كُفر يُخرج من الملّة، وهو الكفر الأكبر. ٣٠
الكفر الثاني: كفر لا يُخرج من الملّة، وهو الكفر الأصغر أو كُفر دون كفر ٣٠
الفروق بين الكفر الاعتقادي الأكبر والكفر الاعتقادي الأصغر ٣١
١ - الكفر الأكبر يُخرج صاحبه من الملّة ٣١
٢ - الكفر الأكبر يُحبط جميع الأعمال إن مات صاحبه عليه من غير توبة ٣٢

٣ - الكفر الأكبر يُخلّد صاحبه في النار إن مات عليه من غير توبة ٣٣
٤ - الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال..... ٣٣
٥ - الكفر الأكبر يُوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين ٣٤
٦ ـ الكفر الأكبر إن أظهره صاحبه حُكم بردته ٣٥
٧ ـ الكفر الأكبر محرم لذاته، وأما الأصغر فمحرم لغيره؛ لكونه ذريعة إلى الكفر الأكبر..... ٣٥
٨ ـ الكفر الأكبر يلزم تعيين التوبة منه في قول عامة أهل العلم ٣٥
أسباب الكفر: ٣٨
خطورة التكفير وأنواع الناس فيه: ٣٩
الطرف الأول: هو الذي غالى في التكفير جدًّا ٣٩
الطرف الثاني: هو الذي فرط في التكفير جدًّا ٣٩
الوسط: هم أهل السنة والجماعة..... ٤٠
أنواع الكفر من حيث الخفاء والإعلان ٤٣
الأول: الكفار الأصليون ٤٣
النوع الثاني: المرتدون ٤٥
بأي شيء يقع الكفر؟ ٤٨
فمن عمل القلب: ٤٩
ومن عمل اللسان: ٤٩
ومن عمل الجوارح: ٤٩
الصور التي يقع بها الكفر: ٥٠

١ - صور لوقوع الكفر بالقلب والاعتقاد..... ٥٠
٢ ـ صور لوقوع الكفر بالقول: ٥١
٣ ـ صور لوقوع الكفر بعمل الجوارح:..... ٥٢
٤ـ صور لوقوع الكفر بالشك ٥٣
قاعدة مهمة: هل يلزم قصد الكفر حتى يكفر المكلف؟ ٥٤
قاعدة مهمة:..... ٥٦
الحالة الأولى: أن يكون جاهلًا بالـمُكَفِّر أو الناقض تمامًا أصله وفرعه: ٥٦
الحالة الثانية: أن يكون عالمًا بالـمُكَفِّر أو الناقض أصله وفرعه، أو أصله فقط
..... ٥٧
الصورة الأولى: أن يكون عالمًا بالـمُكَفِّر أو الناقض أصله وفرعه ٥٧
الصورة الثانية: أن يكون عالمًا بأصل الـمُكَفِّر أو الناقض دون فرعه..... ٥٧
قاعدة: الجهل بالعقوبة لا يستلزم عدم وقوعها:..... ٦١
نقل إجماع السلف على أن الكفر يقع بالقلب وبالقول وبعمل الجوارح،
مجتمعة ومنفردة ٧١
١ - أنَّ الكفرَ يكون بالقول أو الفعل. فلم يقيّدوه بالاعتقادِ..... ٧١
٢ - أنَّ الكفرَ يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد. فغايروا بينها ٧٢
٣- أنَّ الكفرَ يكون بالقول أو الفعل ولو لم يُعْتَقَد، فنصُّوا على عدمِ شرطيَّةِ
الاعتقاد ٧٢
٤ـ أنَّ الكفرَ يكون بالقول والفعل ولو لحظٍّ من حظوظِ الدُّنيا..... ٧٣

قاعدة: الكفر لا يطلق حقيقة إلا على من أتى ما ينافي الإيمانَ بالكلية أو شُعبَةً من شُعَبِه: ٧٣
قاعدة: من يكفر بالكفر؟ ٧٧
أو: كلُّ كفر حاصلٌ يكفر به طوائفُ يشاركون الفاعل في الإثم ٧٧
موانع وأعذار التكفير ٨٠
هل العذر بالإكراه والخطأ من خصائص هذه الأمة؟ ٨٢
إليك أعذارَ وموانعَ التكفير: ٨٦
أولاً: الجهل ٨٦
ثانيًا: الخطأ ٩٠
أضربُ الخطأ ثلاثة: ٩١
هل يعذر بالخطأ في العقائد، أم في الأحكام فقط؟ ٩٣
ثالثًا: التأويل ٩٩
التأويل شرعًا يدور على ثلاثة معان وهي: ١٠٠
الأول: ما يؤول إليه الكلام من الحقيقةِ والكيفيةِ ١٠٠
الثاني: التفسير ١٠١
الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالف ذلك من غير دليل ولا حجة ولا بيان ١٠١
هل الناطق بالكفر متأولًا يكفر أو يفسق إذا اجتهد فأخطأ؟ ١٠١
التأويل – عند أهل السنة والجماعة – نوعان: ١٠٢
النوع الأول: التأويل السائغ الذي يعذر به صاحبه ١٠٢

صور من التأويل السائغ: ١٠٣
النوع الثاني: التأويل الغير سائغ والذي لا يعذر به صاحبه: ١٠٤
صور أخرى من التأويل الغير سائغ: ١٠٥
رابعًا: الإكراه ١٠٩
شروط الإكراه المعتبر شرعًا ١١٠
أنواع الإكراه ١١٣
١- الإكراه المُلجِئ أو الكامل: ١١٣
٢- الإكراه غير الملجئ أو الناقص: ١١٤
أنواع الإكراه من حيث الوجوب والحرمة والجواز: ١١٤
أحدها: أن يجب الفعل المكروه عليه ١١٤
المرتبة الثانية: أن يصير ذلك الفعل مباحًا ولا يصير واجبًا ١١٤
المرتبة الثالثة: أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم ١١٥
الباب الثاني: أنواع الشرك الأكبر الاعتقادي ١١٧
الفرق بين الشرك الاعتقادي والشرك العملي ١١٩
مسألة: ما هو حد الشرك الأكبر وما هو حد الشرك الأصغر؟ ١٢١
مسألة: ما حكم تعلم أحكام الشرك الاعتقادي؟ ١٢١
الأدلة على وجوب تعلم نواقض الإيمان الاعتقادية ١٢٢
غوائل الكفر ومفاسده ١٢٥
١ ـ أن الشرك لا يغفره الله تعالى للعبد إذا مات عليه ولم يتب منه قبل موته
..... ١٢٥
٢ ـ أن الشرك محبط لجميع حسنات العبد إذا مات عليه من غير توبة .. ١٢٦

٣ـ أن صاحبه مخلد في النار عياذا بالله تعالى إن مات عليه من غير توبة ١٢٦
٤ ـ المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين، فلا يناله خير من غيره عياذا بالله تعالى ١٢٧
٥ـ الكافر لا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين ١٢٩
٦ ـ استباحة الدم والمال ١٢٩
٧ ـ يجب أن يفرق بينه وبين زوجته فلا يقربها، ولا تكن مسلمةٌ تحت كافر ١٣٠
٨ ـ تجب البراءة منه ومن كفره وشركه ١٣١
٩ ـ يجب أن يُفضح المرتد بكفره ويحذر من شره؛ حتى لا يغتر به أحد ١٣١
١٠ ـ أن يسير الشرك يضرُّ، وأما كثيرُ المعاصي فإنه يضر العبد، لكن ليس كضرر الشرك ١٣٢
١١ ـ يجب تعيين التوبة من الشرك الأكبر، وكل ما كان سببا في كفر العبد فلابد من تعيين التوبة له ١٣٣
١٢ ـ الشرك سبب لهلاك الشعوب والقرى وذهاب بركاتها ١٣٣
١٣ ـ حصول التفرق والاختلاف بسبب الشرك وما يترتب على ذلك من ضعف المجتمعات وهزيمتها ١٣٤
١٤ ـ في الشرك انتكاسة للفطرة السليمة والعيش كالبهائم التي لا تعقل ١٣٥
١٥ ـ الشرك سبب في تضييق العيش وإيقاع الضنك ١٣٦
١٦ ـ الشرك سبب للحيرة والتيه والزيغ وضيق الصدر والحزن والكآبة والأمراض النفسية ١٣٦

١٧ ـ تسليط الشياطين ومردة الجن على المشركين ١٣٧
١٨ ـ الشرك أعظم الظلم والجوْر بين العبد وبين ربه تعالى ١٣٨
١٩ ـ تعجيل عذاب الكافر في الدنيا بسبب شركه وكفره ١٣٨
٢٠ ـ تعذيب الكافر في قبره حتى تقوم الساعة ١٣٩
٢١ ـ ما يحصل للمشرك من سوء الظن بربه وما يترتب على سو ء الظن من عاقبة السوء ١٣٩
٢٢ ـ هزيمة المشركين وخسارتهم وانقطاع دابرهم ١٤٠
٢٣ ـ الشرك سبب في إذلال صاحبه ١٤١
٢٤ ـ من أخطار الشرك: سرعة رجوعه وقوة افتتان الناس به ١٤٣
٢٥ ـ الشرك من أعظم أسباب الوساوس والمخاوف وعدم الأمن والاستقرار النفسي ١٤٣
٢٦ ـ خسران المشرك للدنيا والآخرة، فإن عبادة غير الله باطلة وهي هباء لا نفع فيها، بل الضرر كله منها ١٤٤
مسألة في الفرق بين الشرك والكفر ١٤٦
الكفر أعم من الشرك ١٤٧
أنواع الشرك الأكبر الاعتقادي ١٥١
النوع الأول: الشرك في الربوبية: إنكار وجود الله تعالى ١٥١
الأدلة على توحيد الربوبية ١٥٢
أولاً: دلالة الفطرة: ١٥٢
ثانيًا: دلالة الخلق ١٥٣
ثالثًا: دلالة: العقل ١٥٣

رابعًا: دلالة الأنفس ١٥٣
خامسًا: دلالة الآفاق ١٥٤
سادسًا: دلالة الحس ١٥٤
سابعًا: دلالة الشرع ١٥٥
الشرك في الربوبية ١٥٥
١ ـ النمرودية ١٥٥
٢ ـ الصابئة عباد الشمس والقمر ومثلهم من يعتقدون في تأثير الكواكب والنجوم ١٥٧
٣ ـ الفرعونية: ١٥٨
٤ ـ الدهرية ١٥٩
٥ ـ القائلون بقدم العالم ١٦٠
٦ ـ الاتحادية الحلولية القائلون بوحدة الوجود ١٦٢
٧ ـ المجوس: ١٦٤
٨ ـ الثنوية: (أصحاب الاثنين الأزليين): ١٦٥
٩ ـ الفلاسفة الدهرية: ١٦٦
١٠ ـ الملاحدة الجدد ١٦٦
النوع الثاني من الشرك الاعتقادي الأكبر: كل من اعتقد أن غير الله تعالى له مثلُ ما يُختصُّ به الله تعالى من الأفعال والصفات ١٦٨
أولاً: بالمشاهدة والرؤية البصرية: ١٧١
ثانيًا: تكون المعرفة: بالمثال وبضرب الأمثال ١٧٢

ثالثًا: وتكون المعرفة بالآثار: ١٧٢
معرفة الله على الحقيقة: ١٧٤
طوائف وقعت في هذا النوع من الناقض: ١٧٧
١ ـ اليهود..... ١٧٧
٢ ـ النصارى:..... ١٧٨
٣ ـ الشيعة: ١٧٨
٤ ـ القانونيون المشرعون الدساتير والقوانين ١٧٩
النوع الثالث من الشرك الأكبر الاعتقادي: اعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب ١٨٠
الشرك في نسبة علم الغيب لغير الله تعالى: ١٨٣
الذي يأتي الساحر على أنواع: ١٨٤
النوع الرابع من أنواع الشرك الأكبر الاعتقادي: اعتقاد أن ما سوى الله يستحق أيَّ نوع من أنواع العبادة ١٨٦
النوع الخامس: كفر الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات ١٩١
المقصود بالصدق: ١٩١
أدلة الصدق كثيرة جدًّا في كتاب الله تعالى: ١٩٢
لوازم الصدق ومقتضياته: ١٩٤
نقيض الصدق كفرُ الجحودِ والتكذيب: ١٩٤
تعريف كفر الجحود لغة واصطلاحًا: ١٩٥
أنواع كفر التكذيب والجحود: ١٩٧

الأدلة على كفر الجاحد المكذب: ١٩٨
النوع السادس: استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه ٢٠١
معنى الاستحلال: ٢٠٢
الأدلة على كفر المستحلِّ: ٢٠٣
الافتراء على الله تعالى من أعظم أنواع الظلم والبغي ٢٠٥
كلام أهل العلماء في إثبات أن استحلال المحرمات كفر بواح: ٢٠٦
أنواع الاستحلال: ٢٠٩
النوع الأول: استحلال قلبي فقط من غير اقتران بالعمل الظاهر ٢١٠
النوع الثاني: أن يقع الاستحلال مُقارِنًا للعمل الظاهر ٢١٠
النوع الثالث: الاستحلال العملي المحض ٢١١
النوع السابع: الشك في حكم من أحكام الله عَزَّوَجَلَّ أو في خبر من أخباره (كفر الشك والتردد) ٢١٢
الأدلة على شرط اليقين في صحة الإيمان: ٢١٢
من لوازم شرط اليقين: ٢١٦
والشك ضد اليقين وهو ناقض من نواقض لا إله إلا الله ٢١٧
أنواع الشك كثيرة: ٢١٨
فمنها: الشك في وجود الله تعالى ٢١٨
ومنها: الشك في الإيمان والتردد فيه ٢١٨
ومنها: الشك في ركن من أركان الإيمان ٢١٨

ومنها: الشك في الأحكام الشرعية ٢١٩
ومنها: الشك في الرسالة ٢١٩
والأدلة على كفر الشك كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وكلام
العلماء، فمن ذلك: ٢١٩
النوع الثامن: من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم
..... ٢٢٦
الإجماع على كفر من لم يكفر الكافر: ٢٢٩
تنبيهات مهمة: ٢٣١
النوع التاسع: اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ، وأنه
يسعه الخروج عن شريعته ٢٣٨
الأدلة على وجوب الاكتفاء بالشرع وبما جاء به النبي ﷺ ٢٣٩
الأدلة على كفر من اعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام: ٢٤٠
شبهة والرد عليها: ٢٤٥
أوجه الكفر في هذا النوع: ٢٤٦
الطوائف الواقعة في هذا النوع: ٢٤٧
الأولى: غلاة الصوفية ٢٤٧
الثانية: الباطنية والفلاسفة ٢٤٧
الطائفة الثالثة: القاديانية والبهائية والبابية ٢٤٨
الطائفة الرابعة: العلمانيون ٢٤٨
الطائفة الخامسة: الليبراليون والدعاة إلى الحرية المطلقة ٢٤٨

السادسة: المدرسة العقلية الحديثة ٢٤٨
السابعة: المشرِّعون والقانونيون والدستوريون ٢٤٨
الثامنة: القرآنيون ٢٤٩
النوع العاشر: كفر الإعراض ٢٥٠
الأدلة على أن الانقياد شرط من شروط لا إله إلا الله. ٢٥١
الإعراض عن الدين من نواقض الإيمان ٢٥٥
ورد ذكر الإعراض في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا ٢٥٧
وورد في القرآن الكريم ذكر التولي بمعنى الإعراض، وترك الطاعة مثل: ٢٥٩
وورد لفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة في مواضع من القرآن، ٢٦٠
معاني الإعراض في الكتاب والسنة: ٢٦٢
بأي شيء يقع الإعراض؟ ٢٦٣
الإعراض المكفر وغير المكفر ٢٦٣
أسباب الإعراض: ٢٦٧
هل يعذر المُعرِض الجاهل؟ ٢٦٧
الأول: جهل ناتج عن عدم وجود العلم وعدم إمكانيته: ٢٦٧
الثاني: جهل سببه التفريط في التعلم والإعراض وعدم طلب الحق، وهذا غير معذور على الإطلاق ٢٦٨
خاتمة حتى لا نقع في هذا الناقض: ٢٦٩
النوع الحادي عشر: النفاق الاعتقادي ٢٧١

أساس النفاق: ٢٧٣
أنواع النفاق ٢٧٤
النوع الأول: النفاق الأكبر ٢٧٥
النوع الثاني: النفاق الأصغر: ٢٧٨
المسلم قد يحدث له النفاق الأكبر عند ظهور الفتن: ٢٧٩
من خصال النفاق الأكبر الاعتقادي: ٢٨١
١- تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به. ٢٨١
٢- بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به. ٢٨١
٣- المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ. ٢٨٢
٤ ـ موالاة الكفار باطنًا ومحبتهم والانتماء لهم ومظاهرتهم على المسلمين. ٢٨٢
٥ ـ التشكيك في الدين، وإثارة الشبهات والطعن فيه وحرب أهله ٢٨٣
٦ ـ بغض الجهاد، والطعن في المجاهدين، وتثبيطهم وصدهم عنه ٢٨٣
٧ ـ الاستخفاف بالدين والاستهزاء والسخرية من المتمسكين بالسنة .. ٢٨٣
٨ ـ محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ٢٨٤
٩ ـ عدم قبول الشرائع، والإعراض عن الدين ٢٨٤
١٠ ـ عبادة الدنيا والافتتان بها والانغماس في الشهوات. ٢٨٤
النوع الثاني عشر: كفر الإباء والاستكبار ٢٨٥
الأدلة على كون شرط القبول أحد شروط لا إله إلا الله: ٢٨٥

لوازم ومقتضيات القبول القلبي: ٢٨٧
وضد القبول: كفر الإباء والاستكبار والامتناع ٢٨٨
تعريفه الإباء والاستكبار: ٢٨٨
من أمثلة كفر الإباء والاستكبار: ٢٩٠
١ـ كفر إبليس لعنه الله ٢٩٠
٢ـ كفر الذين صدقوا الرسل بقلوبهم ٢٩٠
٣ ـ ومن ذلك أيضًا: كفر أبي طالب عم النبي ﷺ ٢٩١
٤- ومن ذلك أيضًا: من يمتنع من قبول حكم معلوم من الدين بالضرورة.
..... ٢٩١
٥ ـ ومن ذلك أيضًا قتال أبي بكر للمرتدين مانعي الزكاة بكل طوائفهم. ٢٩١
٦ـ كذلك الامتناع عن أداء الفرائض مع القدرة عليها وعدم العذر بتركها
..... ٢٩٢
قاعدة: من علامة كفر الإباء والاستكبار اختلاق المعاذير والجدال بالباطل
مع الامتناع عن الانقياد ٢٩٤
ذم المقاييس والقياس الفاسد ٢٩٧
أمثلة على القياس الفاسد: ٢٩٨
١ ـ عبادة الأصنام بدعوى أنها تقرب إلى الله زلفى ٢٩٨
٢ ـ قياس المشركين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة أنهم قد عصوا الله في
ثيابهم..... ٢٩٨
٣ ـ قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة على المذكَّى ٢٩٩

٤ ـ وكذلك لما أخبر الله أن الأصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم ٢٩٩
٥ ـ كذلك أكثر أنواع وضروب الشرك جاءت من باب القياس الفاسد والاعتراض الباطل على نصوص التوحيد ٢٩٩
النوع الثالث عشر: شرك المحبة ٣٠١
نعني بهذ الشرط: ٣٠١
الأدلة على كون المحبة شرطًا من شروط الإيمان: ٣٠٤
لوازم ومقتضيات المحبة: ٣٠٦
شرك المحبة: ٣٠٦
الأصل في الشرك العملي الشرك في المحبة القلبية: ٣٠٧
الحب التام مستلزم للانقياد التام ٣٠٩
أنواع المحبة وأحكامها ٣١٠
فالمحبة الشرعية أقسام: ٣١٠
١ـ محبة الله ٣١٠
٢ – محبة الرسول ﷺ ٣١٠
٣ – محبة الأنبياء والمؤمنين ٣١١
أنواع المحبة المحرمة: ٣١٢
النوع الأول: المحبة الشركية: ٣١٢
١ ـ شرك قوم نوح ﷺ ٣١٢
٢ ـ غلو اليهود في محبة عُزَيْر ﷺ ٣١٤

٣ـ غلو النصارى في محبة عيسى ﷺ ٣١٤
٤ـ الغلو في محبة الأولياء الصالحين أصحاب الأضرحة ٣١٤
٥ـ المحبة للبدع الشركية ٣١٥
٦ـ ومن الشرك في المحبة نفي المحبة عن الله تعالى: ٣١٦
٧ـ كذلك الموالاة الشركية لأهل الكتاب أو للمشركين عامة ٣١٧
النوع الثاني: المحبة المحرمة: ٣١٨
النوع الرابع عشر: كفر البغض والكره ٣٢٠
الأدلة على كون البغض والكره للشرع من نواقض الإيمان: ٣٢٠
الواجب على العبد أن يكون حبه وبغضه موقوفًا على الشرع: ٣٢١
أنواع البغض وبيان ما هو الشركي منها: ٣٢٢
١ـ البغض التعبدي: ٣٢٢
٢ـ البغض الكفري ٣٢٣
٣ـ البغض المحرم ٣٢٣
٤ـ البغض المستحب: ٣٢٤
٥ـ البغض المكروه: ٣٢٦
٦ـ البغض الطبيعي الفطري ٣٢٧
البغض الكفري المخرج من الملة: ٣٢٨
صور من البغض الشركي: ٣٢٩
الأول: أن يبغض العبدُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ ٣٢٩
أ ـ قول الملاحدة بنفي وجود الرب سبحانه وتعالى ٣٢٩

ب ـ ادعاء الربوبية أو ادعاء بعض صفات الرب ٣٢٩
ت ـ ويدخل تحته أيضًا من يتهم ربه بالظلم أو المحاباة ٣٢٩
ج ـ ومن ذلك أيضًا: أن يبغض العبد توحيد الله بعبادته وإخلاصه بالعمل
..... ٣٣١
وبغض التوحيد له علامات كثيرة منها: ٣٣٢
الثاني: بغض الإسلام وحكم الله وشرعه ودينه وأمره ونهيه أو يبغض التحاكم إليه أو شيئًا من الدين أو يحب ما حرم الله ونهى عنه مع بغض ما أمر به وافترضه. ٣٣٤
الثالث: بغض أحد من الملائكة. ٣٣٥
الرابع: بغض أحد من الرسل أو سبُّه أو الطعنُ فيه أو انتقاصُه أو رميُّه بالنقائص وبما لا يليق ٣٣٦
الخامس: أن يبغض الرسول ﷺ لذاته أو أفعاله وهديه أو شرعه ودينه وسنته أو شيئًا مما جاء به. ٣٣٧
السادس: بغض القرآن أو آية منه، أو اعتقاد نقصه، أو تحريفه، أو اعتقاد حيفه وظلمه، أو اعتقاد أنه يخضع للنقد والتعديل والإصلاح كأي مُنتَج بشري
..... ٣٣٨
السابع: بغض السنة والأحاديث وردها أو شعيرة من شعائر الله ٣٤٠
الثامن: بغض الصحابة أو أهل الإيمان والدين أو العلماء أو المجاهدين ٣٤٠
التاسع: بغض العرب ٣٤٢
وجه كون بغض العرب ناقضًا من نواقض الإيمان: ٣٤٤

بغض بعض الأحكام الشرعية قد يكون سببًا في زوال الإيمان، وحبوط العمل: ٣٤٨
الأولى: أن يكره هذا من باب الجبلة والطبيعة، وما يتوقعه من فعله من الألم ٣٤٩
الحالة الثانية: أن يكره كون الشرع جاء به ٣٥٠
النوع الخامس عشر: الشرك في الخوف **٣٥٨**
الأدلة على كون الخوف من أصول الإيمان الاعتقادية: ٣٥٨
الخوف من الله تعالى أصل كل خير في الدنيا والآخرة ٣٥٩
الخوف من لوازم الإيمان وموجباته ٣٦٠
الخوف المحمود ٣٦١
الخوف الواجب: ٣٦١
والخوف المستحب: ٣٦١
فالخوف المحمود ٣٦٢
القليل من العبادة يكفي مع الخوف ٣٦٢
لا يجمع الله على عبد خوفين: ٣٦٣
والخوف من الله تعالى يحرق نار الشهوات في قلب العبد، وشدة حاجة العبد له: ٣٦٤
والخوف من الله تعالى علامة الإيمان الراسخ في القلب ٣٦٥

بأي شيء يستجلب الخوف من الله تعالى ٣٦٦
فائدة: أيهما أفضل: مقام الخوف أم مقام المحبة؟ ٣٦٧
الخوف الشركي ٣٦٨
هل الخوف من الجن شرك أكبر؟ ٣٧٠
أ ـ فيكون خوف جبلة وطبيعة: لا إثم فيه ولا حرج ٣٧٠
ب ـ وقد يكون الخوف من الجن شركًا: ٣٧١
وما يفعله بعض جهلة العوام والطغام ٣٧٢
هذا؛ ويمكنك التخلص من الخوف من الجن بالمواظبة على: ٣٧٢
أنواع الخوف وبيان ما هو شرك وما هو عبادة وقربى: ٣٧٣
النوع الأول: الخوف من الله تعالى ٣٧٣
النوع الثاني: خوف السِّر ٣٧٤
النوع الثالث: ترك الواجب أو فعل المحرم مخافة الناس ٣٧٤
النوع ا لرابع: الخوف الطبيعي ٣٧٤
النوع السادس عشر: الشرك في الرجاء ٣٧٦
تعلق المؤمن بربه في كل أوقاته: ٣٧٧
حياة المؤمن بين الخوف والرجاء ٣٧٧
الرجاء بضاعة الصالحين عند هجوم الموت والسكرات ٣٧٩
حسن الظن بالله يحمل العبد على حسن الرجاء ٣٨٠
الشرك في الرجاء: ٣٨٠

تعريف الشرك في الرجاء: ٣٨١
أنواع الرجاء ٣٨٢
النوع الأول: رجاء محمود، وهو رجاء العبادة ٣٨٢
النوع الثاني: رجاء جائز مباح ٣٨٢
النوع الثالث: الرجاء المذموم ٣٨٣
فالرجاء الشركي (رجاء السِّرِّ) الأكبر نوعان: ٣٨٣
الرجاء الشركي المخرج من الملة: ٣٨٤
أما الرجاء الشركي شركًا أصغر ٣٨٥
النوع السابع عشر: كفر الجهمية ٣٨٦
أنواع وأقسام المرجئة: ٣٨٧
الأول: الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب. ٣٨٧
أوجه غلط المرجئة: ٣٨٨
إجماع السلف على كفر الجهمية: ٣٨٨
إجماع السلف على كفر من قال بخلق القرآن ٣٩٣
النوع الثامن عشر: إنكار القدر والتكذيب به ٣٩٦
الأدلة من القرآن والسنة على إثبات القدر: ٣٩٦
مراتب الإيمان بالقدر ٤٠٠
المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات
والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا ٤٠٠

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة . ٤٠١
المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ٤٠١
المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك
..... ٤٠١
الكفر بتكذيب القدر وإنكاره: ٤٠٢
القدرية الغلاة الأولى فريقان: ٤٠٢
تاريخ القول ببدعة القدر ٤٠٣
ذم السلف للقدرية ٤٠٤
الجبرية (الجهمية): ٤٠٥
سبب التسمية: ٤٠٦
معنى الجبر: ٤٠٦
الرد على الجبرية ٤٠٦
النوع التاسع عشر: الشرك في التوكل ٤٠٩
تعريف التوكل: ٤٠٩
مسألة: التوكل على الله والأخذ بالأسباب ٤١٠
الأمر الأول: أنّ التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب. ٤١٠
الأمر الثاني: تُتخذُ الأسباب وإن كانت ضعيفة في نفسها. ٤١١
الأمر الثالث: أن لا يعتمد عليها، وإنما يجعل اعتماده على الله تعالى .. ٤١٢
يتأكد التوكل على الله في بعض المواطن: ٤١٣

عند النوم: ٤١٣
عند نزول الفاقة: ٤١٣
عند الإعراض عن الأعداء: ٤١٤
إذا أعرض الناس عنك: ٤١٤
عند مسالمة الأعداء: ٤١٤
عند مواجهة الأعداء: ٤١٤
عند نزول المصائب وحلول الكرب: ٤١٤
عند الخروج من المنزل: ٤١٥
إذا تسرب إلى النفس شيء من التطير: ٤١٥
الشرك في التوكل: أن يتوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ٤١٦
التوكل على غير الله تعالى له ثلاثة أنواع: ٤١٦
النوع الأول: توكل الإنابة والاستعمال وهو مباح جائز ٤١٦
النوع الثاني: التوكل الشركي الأصغر: ٤١٧
النوع الثالث: التوكل الشركي الأكبر (توكل السِّرِّ) ٤١٧
صور التوكل الشركي (توكل السِّرِّ): ٤١٧
١ ـ التوكل على الأصنام والأوثان في جلب المنافع ودفع المضار ٤١٧
٢ ـ الذين يتوكلون على الأموات والأولياء من أصحاب الأضرحة
والمقامات والمشاهد ٤١٨
٣ ـ التوكل على الطواغيت ٤١٩
٤ ـ التوكل على الجن والشياطين ٤١٩
٥ ـ التوكل على السحرة والمشعوذين والدجالين ٤١٩

٦ ـ التوكل على التمائم والخرزات ونحوها ٤٢٠
النوع العشرون: الشرك في الطاعة ٤٢١
الدين هو الطاعة: ٤٢١
إجماع الأمة على محاربة وقتال تارك الطاعات الممتنع عن أدائها ٤٢٣
فرع: الله وحده هو الذي يملك التحليل والتحريم، فمن اعتقد غير ذلك فقد ارتكب ناقضًا من نواقض الإيمان: ٤٢٣
الشرك في الطاعة: ٤٢٥
الطوائف التي وقعت في هذا النوع من الكفر الاعتقادي: ٤٢٩
١ ـ الملوك والأمراء ٤٢٩
٢ ـ الأحبار والرهبان الذين يُحلُّون ما حرم الله ويحرمون ما أحل ٤٢٩
٣ ـ علماء السوء ٤٢٩
٤ ـ شيوخ القبائل وحكام البادية ٤٣٠
٥ ـ علماء الشيعة الروافض ٤٣٠
٦ ـ طوائف من الصوفية..... ٤٣٠
٧ ـ العلمانيون والليبراليون ٤٣١
٨ ـ العقلانيون ٤٣١
النوع الحادي والعشرون: شرك الحاكمية ٤٣٣
شرك الحاكمية بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ٤٣٥
الشرك في الحاكمية ٤٣٧
الطائفة الأولى: الخوارج وممن قال بقولهم ٤٣٧

الطائفة الثانية: المرجئة ٤٣٧
صور من الكفر الاعتقادي الأكبر في قضية الحاكمية: ٤٣٨
١ ـ المنكر لحكم الله تعالى وشرعه ٤٣٨
٢ ـ الذي يُقِرُّ بحكم الله تعالى، لكن يرى أن حكم غيره أفضل من حكمه، ٤٣٨
٣ ـ الذي يجوز تحكيم غير حكم الله تعالى جنبًا إلى جنب مع حكم الله تعالى ٤٣٩
٥ ـ من يعتقد أن بعض الشرع صالح للتطبيق وبعضه غير صالح، ٤٣٩
٦ ـ من يعتقد جواز تحكيم السُّلُوم والعادات العرفية والأعراف القبلية المناهضة للشرع ٤٣٩
النوع الثاني والعشرون: كفر سوء الظن بالله تعالى ٤٤٠
حسن الظن يكون مع إحسان العبد ٤٤١
أكثر الناس قد أساء الظن بربه تعالى ٤٤٢
جناية العبد بسوء ظنه بالله تعالى: ٤٤٤
حكم سوء الظن بالله تعالى ٤٤٤
فالأول: سوء الظن المخرج من الملة ٤٤٤
ومن صور سوء الظن المخرج من الملة: ٤٤٥
وأما الثاني: فسوء الظن الذي هو كبيرة من الكبائر ٤٤٧
النوع الثالث والعشرون: ٤٤٩
اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ٤٤٩

تعلق المؤمن برحمة الله تعالى وسعة جوده وكرمه: ٤٤٩
اليأس والقنوط صفة الكافر ٤٥٢
من أقوال السلف في اليأس والقنوط: ٤٥٥
تعريف القنوط من رحمة الله تعالى: ٤٥٦
هل القنوط هو اليأس؟ ٤٥٧
أ ـ أن ظاهر القرآن يدل على أن اليأس أشدّ من القنوط، ٤٥٧
ب ـ أنه لا فرق بينهما ٤٥٨
ج ـ أن الفرق بينهما باعتبار بعض الصفات، لا باعتبار أصل المعنى ... ٤٥٨
النوع الرابع والعشرون: استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ٤٦١
النوع الخامس والعشرون: شرك التعظيم ٤٦٩
ما هو التعظيم؟ ٤٦٩
معنى المثل لغة: ٤٧٠
الأول: الشبيه والنظير ٤٧٠
الثاني: المثل المضروب ٤٧٠
الثالث: الصفة ٤٧٠
معنى المثل الأعلى اصطلاحًا: ٤٧٠
الأول: أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا ٤٧١
الثاني: أن المثل الأعلى بمعنى: شهادة أن لا إله إلا الله، ٤٧١
الثالث: أن المثل الأعلى بمعنى النزاهة عن المثل إما مطلقًا ٤٧١
الرابع: أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا وما تستلزمه من معاني ٤٧٢

لوازم ومقتضيات التعظيم؟ ٤٧٢
١ ـ اعتقاد الكمال المطلق لله تعالى ٤٧٢
٢ ـ إثبات ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه ٤٧٢
٣ ـ تنزيه الله تبارك الله تعالى عما لا يليق به ٤٧٢
٤ ـ تنزيه الله تعالى عن جميع صفات النقص النسبي ٤٧٣
٥ ـ تعظيم ما عظمه الله تعالى ٤٧٣
٦ ـ عدم مجاوزة الحد في تعظيم الأشخاص ٤٧٣
٧ ـ الاحتراز من تقديس أو تعظيم ما لم يأذن الله بتعظيمه ٤٧٣
٨ ـ تعظيم ما نهى الله عنه ٤٧٤
٩ ـ عدم معارضة الأمر والنهي ٤٧٤
١٠ ـ عدم المعارضة بين حُكْمه القدري وحُكْمه الشرعي ٤٧٤
الشرك في التعظيم ٤٧٥
كيف يقع شرك التعظيم؟ ٤٧٥
فائدة: التلازم بين تعظيم حرمات الله وتعظيم شعائره: ٤٧٧
الأول: تعظيم ما أمر الله بتعظيمه ٤٧٧
الثاني: تعظيم ما حرّمه الله ونهى عنه ٤٧٧
وإنما يقع شرك في التعظيم في عدة صور: ٤٧٨
صور من شرك التعظيم: ٤٧٨
الشرك السادس والعشرون: كفر الولاء والبراء ٤٨٠
حقيقة الحب في الله والبغض في الله: ٤٨٢

الناس في ميزان الحب والبغض في الله: ٤٨٢
القسم الأول: من يُحب جملة ٤٨٢
القسم الثاني: من يُحب من وجه ويُبغض من وجه ٤٨٣
القسم الثالث: من يُبغض جملة ٤٨٣
من مظاهر الولاء المحرم للكفار: ٤٨٦
الباب الثالث: الشرك الأصغر وأنواعه ٤٨٩
الفصل الأول: تعريف الشرك الأصغر ٤٩١
علامات وقرائن يتميز بها الشرك الأصغر من الشرك الأكبر: ٤٩٢
هل الشرك الأصغر إذا مات عليه العبد ولم يتب منه داخل تحت المشيئة أم لا يغفر؟ ٤٩٥
الأدلة على كون الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر؟ ٤٩٧
أولاً: من الكتاب: ٤٩٨
ثانيًا: من السنة ٤٩٨
ثالثًا: فهم الصحابة رضي الله عنهم ٤٩٩
رابعًا: ٤٩٩
خامسًا: أن جنس الشرك أكبر من جنس المعاصي والذنوب ٥٠٠
سادسًا: أن الشرك الأصغر ذريعة إلى الشرك الأكبر ٥٠١
أقسام الشرك الأصغر: ٥٠١
أولاً: الشرك الأصغر الاعتقادي ٥٠١
ثانيًا: قولي: وهو ما يقع باللسان ٥٠٢

ثالثًا: فعلي: وهو ما كان بأعمال الجوارح ٥٠٣
فائدة: في أن كل شرك منه أصغر وأكبر من جنسه ٥٠٣
الفصل الثاني: أنواع الشرك الأصغر **٥٠٥**
النوع الأول: شرك النية والإرادة والقصد **٥٠٥**
النوع الثاني: الرياء **٥٠٩**
الفرق بين الرياء والسمعة: ٥١١
متى يكون الرياء شركًا أكبر ومتى يكون شركًا أصغر؟ ٥١٢
القسم الأول: شركٌ أكبر ٥١٢
القسم الثاني: قد يصدر من مؤمن، ويكون في بعض الأعمال، وهو: أن يكون العمل فيه قصدٌ لله وفيه قصدٌ لغير الله. ٥١٣
النوع الثالث: التعلق بالتمائم **٥١٤**
هل تعليق التمائم من الشرك الاعتقادي أم العملي؟ ٥١٤
الأدلة على كون التمائم من الشرك الأصغر: ٥١٥
من أي شيء تكون التمائم؟ ٥١٧
النوع الرابع: شرك الأسباب **٥١٨**
عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسباب: ٥١٨
١ـ السبب لا يجعل سببًا لشيء إلا بعلمٍ ٥١٩
٢ ـ لا يتخذ شيئًا من الأعمال الدينية سببًا إلا أن تكون مشروعة. ٥١٩
٣ ـ اعتقاد أن السبب له تأثير حقيقي..... ٥١٩
٤ ـ عدم الاعتماد على الأسباب بالكلية والتوكل عليها أو خوفها ٥٢٠

٥ ـ إرجاع ونسبة السبب إلى الله فهو الخالق لها الموجد للسبب. ٥٢٠
٧ ـ أن الأخذ بالأسباب المأذون فيها شرعًا لا ينافي التوكل على الله تعالى
..... ٥٢٠
٨ ـ الذي يلغي عمل الأسباب وتأثيرها بزعم التوكل على الله فقد ناقض
الحكمة الإلهية في تشريع الأخذ بالأسباب. ٥٢٠
كيف يقع الشرك في الأسباب: ٥٢١
الاعتماد على الأسباب، والاطمئنان لها، والتوكل عليها، والثقة بها،
ورجاؤها أو الخوف منها، أو الاعتقاد بأنها بذاتها مؤثرة بنفسها. ٥٢٢
الشرك في الأسباب يقع من طائفتين: ٥٢٢
الأولى: الجبرية والأشاعرة ٥٢٢
سبب هذه العقيدة الفاسدة: ٥٢٢
الطائفة الثانية: مذهب القدرية المعتزلة ٥٢٤
ترك الأخذ بالأسباب طعن في الحكمة الإلهية: ٥٢٤
النوع الخامس: التبرك الشركي ٥٢٧
أنواع التبرك المشروع: ٥٢٧
النوع الأول: التبرك بأمرٍ شرعيٍّ معلومٍ ٥٢٨
النوع الثاني:. التبرك بأمرٍ حسيٍّ معلومٍ مما أذن فيه الشرع. ٥٢٨
النوع الثالث: التبرك بهيئةٍ شرعيَّةٍ ٥٢٨
النوع الرابع: التبرك بالأمكنة: ٥٢٩

النوع الخامس: التبرك بالأطعمة، وهناك أنواعٌ مِن الطعام جعل الله فيها بركة ٥٢٩
النوع السادس: التبرك بالأزمنة ٥٣٠
مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في التبرك: ٥٣٠
الشرك في التبرك ٥٣٣
الشرك في التبرك على نوعين: ٥٣٣
الأول: شرك أكبر مخرج من الملة ٥٣٣
النوع الثاني: الشرك الأصغر في التبرك: ٥٣٤
هل يجوز وصف أحد بالبركة؟ ٥٣٤
ما ورد في النهي عن التبرك الشركي: ٥٣٥
النوع السادس: التطير والتشاؤم ٥٣٧
التطير والتشاؤم من عقائد أهل الجاهلية: ٥٣٧
الفرق بين التشاؤم والتطير ٥٣٨
مسألة: بأي شيء يكون التشاؤم؟ ٥٣٩
مسألة: كيف يقع الشرك الأصغر عن طريق التطير والتشاؤم؟ ٥٤٠
فالشرك يقع: ٥٤٠
علاج الطيرة المحرمة: ٥٤٠
١ ـ تحقيق الإيمان بالقدر ٥٤١
٢ ـ تحقيق التوكل على الله تعالى ٥٤١
٣ ـ أن يمضي العبد فيما عزم عليه متوكلا عليه ٥٤٢

٤ ـ ألا يلتفت إلى ما خالج قلبه من الوساوس والخطرات ٥٤٢
٥ ـ الدعاء ٥٤٣
٦ ـ تبشير المؤمن بالفأل الحسن والكلمة الطيبة ٥٤٣
النوع السابع: الاستسقاء بالأنواء ٥٤٤
من الشرك الاعتقادي: الاستسقاء بالأنواء ٥٤٤
معنى الاستسقاء بالأنواء: ٥٤٥
الأدلة على تحريم الاستسقاء بالأنواء: ٥٤٦
صور وأوجه الاستسقاء بالنجوم: ٥٤٨
هل يجوز نفي تأثير الكواكب والنجوم بالكلية؟ ٥٤٩
النوع الثامن: الجزع والتسخط على القدر وعدم الصبر ٥٥١
من أمثلة التسخط المكفِّر: ٥٥٢
متى يُعدُّ الجزع وعدمُ الرضا بالقدر من الشرك الأصغر؟ ٥٥٢
بأي شيء يقع التسخط على قدر الله تعالى؟ ٥٥٣
النوع الأول: أن يكون بالقلب ٥٥٣
النوع الثاني: أن يكون باللسان ٥٥٣
النوع الثالث: أن يكون بالجوارح ٥٥٤
النوع التاسع: التوسل الشركي ٥٥٥
ورد التوسل في كتاب الله تعالى في موضعين: ٥٥٥
الموضع الأول: الأمر به كعبادة من العبادات القلبية ٥٥٥

والموضع الثاني: في الإنكار على الذين صرفوا هذه العبادة لغير الله تعالى ٥٥٦
أنواع التوسل: ٥٥٨
أولاً: التوسل المشروع ٥٥٨
الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة: ٥٥٨
الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد ٥٥٩
الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه ٥٦٠
ثانيًا: التوسل الشركي الممنوع ٥٦٠
النوع العاشر: الغلو ٥٦٢
الغلو حرام منهيٌّ عنه شرعًا ٥٦٢
تعريفه: ٥٦٣
مسألة: لماذا يُعَدُّ الغلو من الشرك الاعتقادي الأصغر؟ ٥٦٣
الأدلة على تحريم الغلو ٥٦٣
أقسام الغلو ٥٦٧
١ ـ غلو قلبي: ٥٦٧
٢ ـ غلو قولي لفظي ٥٦٨
٣ ـ غلو عملي ٥٦٨
٤ ـ غلو اعتقادي ٥٦٨
حكم الغلو ودرجاته ٥٦٨

الأول: الغلو الكفري ٥٦٨
الثاني: غلو معصية وهو داخل في الشرك الأصغر ٥٦٨
جناية الغلو على الدين: ٥٦٨
النوع الحادي عشر: الشرك الأصغر في التوكل ٥٧١
الأول: شرك أكبر ٥٧١
النوع الثاني: الشرك الأصغر ٥٧٢
النوع الثاني عشر: الشرك الأصغر في المحبة ٥٧٣
إطلاق العبودية على كل مُعظَّم من المحبوبات ٥٧٣
النوع الثالث عشر: عبادة الدنيا ٥٧٨
وهذا القصد قصد شركي، وضابطه: ٥٧٩
النوع الرابع عشر: ٥٨٠
إرادة الدنيا بعمل الآخرة..... ٥٨٠
كراهة ربط العبادة بالمصالح والفوائد الدنيوية: ٥٨١
إرادة الدنيا بعمل الآخرة سبب في هلاك العبد ٥٨٢
النوع الخامس عشر: الشرك الأصغر في العبادات القلبية ٥٨٦
النوع السادس عشر: الشرك الأصغر في الخوف ٥٨٨
النوع السابع عشر: التوكل الشركي الأصغر ٥٩٣
النوع الثامن عشر: الشرك الأصغر في الرجاء ٥٩٧
وجوب تعلق القلب بالله تعالى وحده ٥٩٨
الشرك في الرجاء: ٥٩٨

من تعلق بغير الله ورجاه خُذِل من تلك الجهة: ٥٩٩
عِظم العطاء مع عِظم الرجاء: ٦٠٠
النوع التاسع عشر: شرك اتباع الهوى ٦٠١
تعريف الهوى: ٦٠١
اتباع الهوى نوع من الشرك ٦٠٢
حصول الضلال من لوازم اتباع الهوى: ٦٠٤
تحذير السلف من مجالسة أهل الأهواء: ٦٠٥
اتباع الهوى يحمل العبد على الكفر الأكبر ٦٠٧
درجات اتباع الهوى: ٦٠٨
١ـ ما يكون كفرًا أكبر مخرجا من الملة ٦٠٨
٢ ـ ما يكون بدعةً منكرةً ٦٠٨
٣ ـ ما يكون كسائر الكبائر ٦٠٩
٤ ـ ما يكون كسائر المعاصي والسيئات ٦٠٩
النوع العشرون: كفر النعم وجحدها وعدم شكرها ٦١٠
شكر النعمة قائم على ثلاثة أركان: ٦١٠
كيف يقع كفر النعمة من العبد؟ ٦١١
الأول: انتفاء إقرار القلب بكونها ليست من الله ٦١١
الثاني: أن ينسب نعمة الله تعالى للمخلوق مع نسيان الخالق ٦١٢
قاعدة: قد يطلق لفظ الكفر في النصوص الشرعية ويراد به كفر النعمة: .٦١٢

خـــاتمـــة ٦١٥
فهرس الموضوعات ٦١٨